ISSN: 2581-3455

العدد الثالث - المجلد الأول

يوليو - ديسمبر ٢٠١٨

الجيل الجديد

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

مركز الدراسات العربية والإفريقية، مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

ISSN: 2581-3455
NO.3-2018

الجيل الجديد

(مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية)

مركز الدراسات العربية والإفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند
العدد الثالث - المجلد الأول، يوليو- ديسمبر 2018

أنا البَحرُ في أحشَائِه الدُرُّ كَامِنٌ
فهل سَأَلُوا الغَوّاصَ عَن صَدَفَاتِي؟

(حافظ إبراهيم)

الجيل الجديد

(مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية)

رئيس التحرير
أ. د. رضوان الرحمن

مساعد التحرير
محمد محبوب عالم

الهيئة الإدارية:

- أ. د. محمد أسلم الإصلاحي
- أ. د. بشير أحمد الجمالي
- أ. د. مجيب الرحمن
- د. محمد قطب الدين
- د. عبيد الرحمن طيب
- د. خورشيد إمام
- د. محمد أكرم نواز
- د. محمد أجمل القاسمي

مراسلات التحرير
Prof. Rizwanur Rahman
Editor in Chief,
Centre of Arabic & African Studies
SLL& CS, JNU, New Delhi- 110067
Tel: 011-26704644
Email: aljeelaljadeed2017jnu@gmail.com
Website: www.aljeelaljadeed.in

يصدرها
أ. د. رضوان الرحمن
مركز الدراسات العربية والإفريقية
مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند-110067

الهيئة العلمية والاستشارية

- أ. د. خلدون صبح (سوريا)
- د. أحمد علي إبراهيم (العراق)
- د. حنان الفياض (قطر)
- د. عارف بن شجعان العصيمي (السعودية)
- د. نورة علي خليل (الإمارات)
- د. كاسيه أبو بكر (ماليزيا)
- د. حمّام (إندونيسيا)
- أ. د. نعمان خان (الهند)
- أ. د. ثناء الله الندوي (الهند)
- أ. د. حبيب الله خان (الهند)
- أ. د. أشفاق أحمد (الهند)
- أ. د. مشير حسين الصديقي (الهند)
- أ. د. مسعود عالم الفلاحي (الهند)
- د. نعيم الحسن الأثري (الهند)
- د. سعيد الرحمن (الهند)
- د. قمر شعبان الندوي (الهند)
- د. أختر عالم (الهند)

الأفكار المنشورة في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة بأي شكل من الأشكال. يتحمل الكاتب جميع الحقوق الملكية الفكرية المترتبة للغير.

شروط النشر في المجلة:

- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديميا.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على 160 كلمة، وأن يترجم الملخص إلى اللغة الإنجليزية، ترجمة معتمدة.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على 6 كلمات ترتب هجائياً.
- أن يكون المقال مطبوعا ببرنامج (Word)، ونوع الخط (AL-Mohanad) وحجم الخط 14 في كتابة المتن، بمسافة 1.0 بين سطور المتن، وحجم 16 في العناوين الرئيسية والفرعية للمتن، و10 للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط 12 في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم 10.
- أن لا يتجاوز عدد الكلمات 4000، بما فيها ملخص البحث بالعربية والإنجليزية، والمصادر والمراجع، وأن لا تتجاوز الأخطاء الإملائية 9.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل.
- ترفق قائمة مفصلة بالمصادر والمراجع وفق طريقة MLA، نهاية البحث مرتبة هجائيا.
- يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:
- عند ذكر المرجع للمرة الأولى:
- **الكتب:** لقب المؤلف، اسم المؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ (مكان النشر: الناشر، عدد الطبعة إن وجد، تاريخ النشر)، ج، ص: . مثلا : الندوي، واضح رشيد الحسني، **أعلام الأدب العربي في العصر الحديث**، (لكناؤ: دار الرشيد، 2009م)، ص:25.
- **المقالات:** اسم المؤلف، عنوان المقال "بين فاصلتين مزدوجتين"، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، ج، ص: .
- عند تكرار المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص: .
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخريج كالآتي: (التوبة: 1) .

المحتويات

رقم	البحث	الكاتب	الصفحة
	كلمة التحرير	أ. د. رضوان الرحمن	8
	الدراسات الإسلامية والفكرية		
1	سعيد الأعظمي الندوي وجهوده في الصحافة العربية	د. محمد فرمان الندوي	10
2	اتجاهات متغيرة معاصرة في أدب الأطفال العربي	غلام نبي	28
3	تأثير الاغتراب في أشعار وفاء عبد الرزاق	محمد شريف	43
	الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية		
4	البارسي في الرحلات العربية	د. محمد عفان	55
5	رائدات النسوية في الرواية الأردوية	محمد علي أختر	79
6	جماليات فن البديع في شعر العباس بن الأحنف وديك الجن الحمصي	ردينة القاسم	93
7	صورة المرأة في الرواية اليمنية روايات محمد عبد الولي نموذجا	د. أحمد محمد قاسم عتيق	101
8	عبقر والشعراء	زكريا يونس محمد	128
9	تجربة إبداعية في روايات القصيبي	محمد منت الله	138
10	قضية البدون في الكويت في ضوء رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي	تجمل حق	151
11	روايات أحلام مستغانمي: مقاربة جندرية مابعد الاستعمارية	محمد ميكائيل	164
	الإبداعات الأدبية		
12	في محكمة الخلود (نص متخيّل على نص أمام العرش لنجيب محفوظ)	د. سناء الشعلان	179
13	معنى الأمومة	محمدعلي الوالي كرواتل	183
14	حدادك لا ألبسه هو من يلبسني	هاجر عبد الباقي	186
15	المحطة	الأندلسي محمد الأمين	187
16	غمض جفونك	عبد الله محمد السلمي	189
	القصص المترجمة		
17	سومو الشرير	عبد الواسع	191

18	البَط فِي الطائرة	إيناس سي محمّد	198
19	مهر الزواج	ولي الله السنابلي	200
20	كبير محاسبي الهرم	هاني السعيد	204
	استعراض الكتب		
21	من علمني؟	محمد محبوب عالم	208
22	الجواهر الفريدة من مناهل الأدب العربي	د. محمد ريحان الندوي	213
23	نشأة المعاجم والمصطلحات العربية الطبية	آصف إقبال	216
24	دليل المؤسسات المعنية باللغة العربية في الهند دليل المكتبات المعنية باللغة العربية في الهند	غياث الإسلام الصديقي الندوي	219
	مقابلات		
25	حوار مع الأستاذ واضح رشيد الندوي	محمد محبوب عالم	221
26	حوار مع الأديبة د. سناء الشعلان	خولة خمري	231
	أخبار علمية وأدبية وثقافية		
27	"الملتقى التنسيقي لرؤساء أقسام اللغة العربية"	أ. د. مسعود عالم الفلاحي	235
28	محاضرة حول "وضع التعليم العالي بالعراق في مرحلة ما بعد داعش"	محمد فهيم	240
29	ندوة وطنية حول "أدب الأطفال"	غياث الإسلام الصديقي الندوي	241
30	ندوة دولية حول "أدب المقالة في الخليج العربي"	توصيف الرحمن	243
31	ندوة دولية حول "الاتجاهات العامة في التفسير البلاغي والبياني"	سعيده واجل مير	244
32	**رسائل القراء**		245

كلمة التحرير

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد!

تزامنًا مع الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية التي يتحدث بها الملايين حول العالم، نتشرف بتقديم العدد الجديد لمجلتكم ومجلتنا ومجلة الباحثات والباحثين ولكل من يهتم بالدراسات العربية مجلة "الجيل الجديد"، بموضوعات منوعة على نفس الطريق التي سلكها منذ انطلاقها، وهي المجلة التي تحرص دائما على النهوض بمستوى البحث العلمي، ونشر الفكر والثقافة عن طريق تقديم مواضيعها المتنوعة والمفيدة، وتشجيع الباحثات والباحثين -خاصة الذين يواصلون الدراسات العليا في جامعات مختلفة في أرجاء العالم- على نشر إنتاجاتهم العلمية والبحوث المبتكرة، ومنح فرصة للأكاديميات والأكاديميين لتبادل الآراء العلمية، ومعالجة الموضوعات الجديدة ذات الصلة بالدراسات العربية.

بعد صدور العدد الأول من المجلة، لقد أصبح عندنا أصدقاء كثيرون من جميع أنحاء العالم يشاركون في إثراء المجلة بمشاركاتهم القيمة من البحوث، القصص، القصائد، الخواطر وغيرها من الفنون الأدبية الأخرى. فبالطبع، تجمعنا صفحات هذه المجلة بما تحويه من مواد علمية وفكرية وثقافية.

لقد قطعت المجلة شوطا كبيرا خلال فترة وجيزة في سبيل سعيها لتحقيق أهدافها. فمن بواعث السرور أن مجلس البحث العلمي والدراسات العليا بجامعة البعث، سوريا، اعتمد هذه المجلة كمجلة علمية محكمة.

يحتوي هذا العدد على جملة بحوث قيمة تناولت بعضها الموضوعات الإسلامية والفكرية بينما عالجت أخرى الموضوعات اللغوية والأدبية والثقافية. هذا ويضم العدد القصص القصيرة بالإضافة إلى القصص المترجمة من لغات العالم المختلفة إلى العربية وهذا باب جديد قررنا إضافته نظرا إلى ما تقوم به الترجمة من دور بالغ الأهمية في إغناء اللغة وتطويرها ونقل المعارف والثقافات بين شعوب العالم وتعريف الناس في هذا البلد بعادات الناس وأعرافهم وتقاليدهم وأفكارهم وسلوكهم في ذلك البلد. يضم

العدد أيضا حوارَين مفعمين بمعلومات جديدة عن شخصيتين بارزتين هندية وعربية. كما يضم استعراضات الكتب الصادرة حديثا والتقارير والبرامج، ورسائل القراء التي تحمل انطباعات قراء المجلة إزاء ما تحويه من بحوث ومواد أخرى.

في الأعداد القادمة، نحن بانتظار مشاركاتكم المتميزة سواءً كانت أدبية أو لغوية أو ثقافية أو فكرية. وأرسلوا لنا أراءكم واقتراحاتكم وانطباعاتكم إزاء كل ما تحويه المجلة من البحوث والقصص القصيرة والقصص المترجمة والخواطر والقصائد والحوارات وما إلى ذلك، لأن آراءكم تعنينا كثيرا، ومن خلال الرسائل تطَّلِع المجلة على إعجاب القراء بها ورغبتهم وشوقهم في قراءتها. لذا تعد رسائل القراء في مجلة الوقودَ الذي يحرّك تلك المجلة ويدفعها إلى إحراز مزيد من التقدم، ولا تنسوا أن هذه المجلة منكم وإليكم.

فإن العدد الذي بين أيديكم ظهر بفضل جهود متواصلة بذلها أعضاء أسرة المجلة من هيئة التحرير واللجنة العلمية ولجنة التحكيم. فلا يسعنا إلا أن نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى جميع من حكم وصوب وقوم وساهم حتى تحافظ المجلة على استمراريتها ونزاهتها، وتتقدم نحو تحقيق أهدافها.

آملين أن يكون العدد في مستوى تطلعات الباحثين والقراء، ومتمنين أن يأتي العام الميلادي الجديد بالأمن والسلام في كل أنحاء العالم، وأن يكون عام خير وبركة ورفاهية وازدهار للجميع.

أ. د. رضوان الرحمن
رئيس التحرير
مركز الدراسات العربية والإفريقية
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

سعيد الأعظمي الندوي وجهوده في الصحافة العربية

د. محمد فرمان الندوي *
Email: mohdfarmannadwi@gmail.com

ملخص البحث:

لم تخل الهند بعد ما أشرقت شمس الإسلام على أرضها من المولعين باللغة العربية والمشتغلين بالأدب العربي، وقد احتلت مكانةً بارزةً بإسهامات أبنائها في المجالات الكثيرة وخاصة في اللغة العربية والأدب العربي، بين البلدان الأخرى، حتى عُدت في رأس قائمة بلدانها التي اعتنت باللغة العربية. ومن المعلوم أن دار العلوم لندوة العلماء قد أنجبت العديد من العلماء والكتاب والأدباء والصحفيين الذين نالوا شهرة واسعةً بفضل ما بذلوا من جهود جبارة في مجالاتهم المعنية بهم. ويعد سعيد الأعظمي الندوي ممن لهم دور ريادي في مجال الصحافة العربية في الهند، فإنه علم من أعلام الصحافة العربية المعاصرة في الهند.

في هذه الورقة العلمية، سأتناول مختلف جوانب حياة الأعظمي الندوي مع التركيز الخاص على ما بذله من جهود قصوى في مجال تطور الصحافة العربية فضلا عن اللغة العربية وآدابها في الهند.

كلمات مفتاحية: الأعظمي، البعث الإسلامي، الدراسات الإسلامية، الرائد، الصحافة العربية، الندوي.

Abstract:

India has occupied a prominent place since the spread of Islam here, with the contributions of its scholars in many areas, especially in the Arabic language and literature, among other countries. Even, India has been considered at the top of the non-Arab countries that have made special focus on the Arabic language and literature. It is well known that Nadwatul Ulama has produced many scholars, writers, and journalists who have gained excellent reputation thanks to their tremendous efforts in their concerned fields. Saeedur Rahman Azmi Nadwi is one of those

* أستاذ الأدب العربي بدار العلوم لندوة العلماء، أترا براديش، الهند، ومساعد التحرير لمجلة "البعث الإسلامي" الصادرة عن مؤسسة الصحافة والنشر، ندوة العلماء، لكناؤ، الهند.

outstanding scholars who have played a leading role in the field of Arabic journalism in India. Mr. Azmi Nadwi is considered one of the towering scholars in the field of contemporary Arabic journalism in India.

In this paper, I will discuss various aspects of Mr. Azmi's life with special focus on his efforts towards Arabic journalism as well as Arabic language and literature in India.

مقدمة:

لعبت الشخصيات الإسلامية دوراً هاماً في توسعة نطاق نشر اللغة العربية في أرجاء الهند، وكان منها أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن والشاعر أبو عطاء السندي والإمام رضي الدين والقاضي عبد المقتدر والشيخ أحمد التهانيسري والإمام علي بن حسام الدين المتقي والشيخ زين المخدوم وغلام علي آزاد البلكرامي والإمام ولي الله الدهلوي والشيخ محمد أعلى التهانوي والعلامة مرتضى الحسيني البلكرامي وصديق حسن خان القنوجي وفيض الحسن السهارنفوري.

في عصر الاحتلال الإنجليزي قام العلامة شبلي النعماني والإمام عبد الحي الفرنكي محلي والعلامة حميد الدين الفراهي والعلامة السيد عبد الحي الحسني والشيخ محمد أنور شاه الكشميري والعلامة السيد سليمان الندوي بجهود مشكورة.

وبعد تحرير الهند من براثن الإنجليز قام بمجهودات كثيرة في اللغة والأدب العلامة عبد العزيز الميمني والعلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي والشيخ مسعود عالم الندوي والشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي والأستاذ محمد الحسني والمحقق أبو محفوظ الكريم المعصومي والسيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي، والشيخ سعيد الأعظمي.

رائد الصحافة العربية في الهند:

ومن هؤلاء الأعلام الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، فإن حياته حافلة بإنتاجات أدبية، وثروات علمية، وقد جعل اللغة العربية والأدب العربي موضوعاً له منذ 1952م، واستفاد من المحدث، الأديب، الشاعر الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي وأديب العربية الكبير العلامة تقي الدين الهلالي المراكشي والعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي، ولا يزال يواصل سيره في هذا المجال، فكتب لمجلة البعث الإسلامي الصادرة عن ندوة العلماء، التي هو رئيس تحريرها، في 60 عاماً، 600 مقال أدبي وفكري

باللغة العربية، ولصحيفة الرائد النصف الشهرية 1250 كلمةً (كلمة الرائد)، على أقل تقدير، ماعدا المقالات والبحوث التي كتبها للندوات الأدبية، والمقالات التي دبج يراعه حول وفاة العلماء والفضلاء والمفكرين المسلمين، أضف إلى ذلك تدريسه اللغة العربية والأدب العربي والنقد الأدبي، وعمادة كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء إلى مدة، وخطابته باللغة العربية في جامع ندوة العلماء منذ أكثر من خمسين عاماً، وخطابته في حفلات النادي العربي بالمدارس الإسلامية، وخاصة في دار العلوم لندوة العلماء.

وهو أديب ضليع وصحافي بارع، ولغوي ماهر، وأستاذ جليل، درّس "شذا العرف في فن الصرف " للشيخ أحمد الحملاوي و"قطر الندى وبل الصدى"، و"شرح شذور الذهب" لابن هشام، ولا يزال يدرس المعلقات السبع ودلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني و"المفصل في علم العربية" للزمخشري، ودواوين الشعر العربي وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، والصحافة العربية وغيرها. فتقديراً لجهوده الأدبية نال جوائز أدبيةً كثيرةً، من بينها جائزة رئيس جمهورية الهند عام 1994م.

تعريف وجيز بالشيخ سعيد الأعظمي:

وُلد الشيخ سعيد الأعظمي الندوي في 14 مايو عام 1934م في "إله داد فوره" ببلدة مئو، أترا برديش، الهند. وكانت أسرته أسرةً علميةً، وكان أبوه المحدث محمد أيوب الأعظمي عالماً كبيراً، وظل مديراً لجامعة مفتاح العلوم بمئو إلى 25 عاماً، وكان شيخ الحديث فيها إلى مدة عشر سنوات. كما كان أستاذ الحديث في دار العلوم لندوة العلماء، وشيخ الحديث في جامعة تعليم الدين بدابيل، غجرات. وكان أخوه الأكبر الشيخ عزير الرحمن الأعظمي عالماً كبيراً، وأخوه الأصغر الدكتور مسيح الرحمن الأعظمي متحلياً بالثقافتين الدينية والعصرية. وكان جده الشيخ محمد صابر أيضاً من أفاضل الأتقياء والأصفياء.

تعلم الشيخ عند والده الشيخ محمد أيوب وأخيه الشيخ عزيز الرحمن الأعظمي، ثم التحق بجامعة مفتاح العلوم، وتخرج فيها عام 1949م، ثم تخصص في الأدب العربي بدار العلوم لندوة العلماء عام 1952م، وكان من أساتذته الكبار في مئو الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ عبد اللطيف النعماني، ووالده الشيخ محمد

أيوب الأعظمي. وكان من أساتذته في دار العلوم لندوة العلماء، الشيخ المفتي محمد سعيد والشيخ عبد الله عباس الندوي، والشيخ عبد الحفيظ البلياوي، والشيخ أبو العرفان الندوي، والشيخ حليم عطاء، والشيخ محمد إسحاق السنديلوي، والشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي، واستفاد بوجه خاص من أبي الحسن علي الندوي. كما ذهب إلى العراق واستفاد من أديب العربية الكبير الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي عام 1958م، وقضى عنده أحد عشر عاماً.

إن حياة الشيخ الأعظمي الندوي حافلة بالنشاطات والوظائف، فقد ساهم في إصدار مجلة "البعث الإسلامي" عام 1955م، كما ساعد في إصدار صحيفة "الرائد" عام 1959م، وفي صحيفة "تعميرِ حيات" باللغة الأردية عام 1963م، وظل إماماً وخطيباً في جامع ندوة العلماء منذ مدة لا بأس بها، وظل نشيطاً في توسعة نطاق رابطة الأدب الإسلامي العالمية، حتى كان عضو مجلس الأمناء لها، وكان المشرف الإداري لدار العلوم لندوة العلماء. كما كان عميد كلية اللغة العربية وآدابها. وبعد وفاة أبي الحسن علي الندوي أُنتخب مديراً لدار العلوم لندوة العلماء، وأسس جامعة انتغرل بلكناؤ، ولا يزال باقياً على منصب نائب الرئيس لهيئة التعليم الديني، وانتخب عضواً لدار المصنفين وهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند.

قام الشيخ برحلات كثيرة في الهند وخارجها، ومن أهم الدول التي سافر إليها، وقام فيها بالدعوة الإسلامية المملكة العربية السعودية، وجمهورية مصر العربية، والكويت، وقطر، وعمان، والإمارات العربية المتحدة، وباكستان، وبنغلاديش، ونيبال، وسنغافورة، وفيجي، وأستراليا، وبريطانيا، وتركيا وغيرها.

مجلة البعث الإسلامي وعلاقته بها:

صدرت عن ندوة العلماء عام 1932م مجلة "الضياء"[1]، تحت إشراف وتوجيه العلامة السيد سليمان الندوي، والعلامة الأديب الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي. وكانت هيئة رئاسة المجلة تتكون من الأستاذين الجليلين الشيخ مسعود عالم الندوي والشيخ أبي الحسن علي الندوي، واستمر صدورها إلى أربع سنوات، ثم احتجبت. ولم

[1] -أحمد، أشفاق، **النثر العربي المعاصر في الهند**، (نيو دلهي: دار عمر للطباعة والنشر، 2013م)، ص: 238.

يكن لندوة العلماء لسان حال باللغة العربية، فظلت الحاجة باقيةً إلى مجلة تكون خير واسطة بين الهند والعالم العربي، وتكون منبراً أدبياً، تستطيع أن تبلغ به ندوة العلماء نداءها إلى الناس كافة.

وعلى كل، فقد كان في بداية الخمسينيات من القرن العشرين المنتدى الأدبي، الذي أنشأه الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى، وكان هذا المنتدى يعقد حفلات أسبوعية، ونشط أعضاؤه، وكان الشيخ سعيد الأعظمي من أعضائه المتحمسين له، وكان يكتب كل أسبوع مقالاً، فيقدم في الحفلات الأسبوعية.

ولما كثرت المقالات دار في خلد أعضاء المنتدى أن يهتموا بطباعتها، ويجعلوها ذكريات حلوة، فكان هذا الاقتراح قد أخذ بقلب الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى كل مأخذ، لكن تشاور الشيخ محمد الحسني والأستاذ سعيد الأعظمي في إصدار مجلة عربية لنشر أمثال هذه المقالات، وحينما قُدِّم هذا الاقتراح أمام أعضاء المنتدى لم يوافقوا عليه تماماً، واعتبروه محالاً، لكن رأي الأستاذ محمد الحسني لم ينثلم، واستشار في هذا الشأن والده الطبيب السيد عبد العلي الحسني فشجعه على هذا العمل، ووعد بتوفير كل نوع من المعونات. وفي جانب آخر، أخبر الأستاذ محمد الحسني والأستاذ سعيد الأعظمي بهذا الأمر الشيخ أبا الحسن علي الندوي، فكان تشجيعه وعنايته بالموضوع كثيراً، وهو الذي سمّى هذه المجلة بـ"البعث الإسلامي".

صدور العدد الأول للمجلة:

صدر العدد الأول من المجلة في شهر أكتوبر عام 1955م[2]، المصادف صفر 1375هـ، وكان رئيس التحرير والمدير المسئول لهذه المجلة الأستاذ محمد الحسني، وكان الأستاذ سعيد الأعظمي والأستاذ محمد اجتباء الحسيني مديري التحرير لهذه المجلة، ومنذ فبراير عام 1959م استقل الشيخ سعيد الأعظمي بإدارة التحرير، لأن الأستاذ محمد اجتباء الندوي غادر إلى سوريا لمواصلة التعليم العالي. وظلت المجلة تصدر بانتظام واستمرار، حتى تلقت في مدة قريبة ثقة الخاصة والعامة.

لقد أبدى كثير من العلماء انطباعاتهم نثراً وشعراً، وقال الشيخ عبد اللة

[2] -الندوي، د.سليم الرحمن خان، **الصحافة الإسلامية في الهند: تاريخها وتطورها**، (لكناؤ: المجمع الإسلامي العلمي، ط1، 2010م)، ص: 297.

عبدالغني خياط (عضو هيئة كتار العلماء والخطيب في المسجد الحرام):

"الجهاد كما يكون بالسيف والسنان،.... يكون أيضاً بالحجة والبرهان، والحجة والبرهان تختلف فيهما الوسائل والدروب.

أنعت هذه المجلة بالمجاهدة، لأنها طيلة أيام، بل أعوام صدورها.... حتى الآن سائرة في جهادها، ماضية على المخطط الإسلامي المرسوم لها، لم تعقها العواصف الهوج إذ تهب عليها، ولا الأغراض السياسية التي كثيراً ما تعرقل السير بسيرتها، ولا المصالح النفعية التي هي الهدف المنشود من وراء الإصدارات للمجلات أو الصحف.

كم تمنيت أن يكون لي شرف الانتماء إليها، والاندماج في سلك كتابها لأودي واجباً إسلامياً، لكني كثيراً ما تصرف الظروف، بل الواجبات الإسلامية الأخرى.

إني أبارك خطواتها المسددة الموفقة العظيمة الهادية في خدمة الإسلام والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة"[3].

أصدرت مجلة البعث الإسلامي أعداداً ممتازة خاصة بموضوعات مهمة، خلال رحلتها العلمية، وهذه الأعداد تسلط ضوءاً كاشفاً على خبايا زواياها، وتبين حقائقها. وصدرت هذه الأعداد الخاصة تحت رعاية الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي إلا العدد الأول الممتاز عن الدعوة الإسلامية، فقد كان خلال إعداده في رحلته إلى العراق، ولاشك أن إصدار هذه الأعداد لجهاد طويل في مجال الصحافة يخلد به الزمان على مر العصور.

دراسة لافتتاحياته ومقالاته المنشورة في البعث الإسلامي:

كان الشيخ سعيد الأعظمي الندوي عضواً في أسرة المجلة منذ أول يومها، فكان مدير التحرير في المرحلة الأولى، وكان أول مقال نُشر في العدد الأول للمجلة هو: الشاعر محمد إقبال يناجي العرب[4]. وأول افتتاحية كتب الشيخ لمجلة البعث الإسلامي هي في المجلد الثالث حول "من عام إلى عام"[5].

---

[3] -مجلة البعث الإسلامي، ج28، 4/ محرم الحرام 1408هـ / أكتوبر ونوفمبر 1983م.

[4] -المرجع نفسه، أكتوبر 1955م، ص: 23.

[5] -المرجع نفسه، أكتوبر 1957م، ص: 1-4.

وتدل نظرة على الافتتاحيات والمقالات على أنها كتبت في فترات مختلة، وكلما نشبت فتنة أو ثارت ثائرة أو اشتبكت طائفية رد عليها الشيخ الأعظمي رداً شنيعاً، ودفنها في عقر دارها، ومعلوم أن الافتتاحيات تكون ترجماناً للأوضاع الحاضرة وتعبيراً عن الظروف الجارية، وهذه الأوضاع تتجدد وتتنوع، وتتأزم وتتعقد، فلابد من معالجتها وحل معضلاتها في ضوء الإسلام وشريعته الغراء.

الإسلام هو الملجأ الوحيد للإنسانية جمعاء:

صدر في الآونة الأخيرة كتاب بقلم صوئيل هنجتون، واسمه: صراع الحضارات، فقد أبدى فيه صاحبه هذه الفكرة: إن المشكلة الأساسية للغرب ليست هي الأصولية الإسلامية، بل هي الإسلام نفسه.

فما إن صدر هذا الكتاب حتى نفشت ريشة قلم رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي الشيخ الأعظمي، وأثبتت أن الإسلام هو الملجأ الوحيد للإنسانية جمعاء، بدون نزاع ولا خلاف، وهو معقل الإنسانية، وموئلها الذي يأوي إليه كل من كان خائفاً مذعوراً، وهنا عدة افتتاحيات حول هذا الموضوع:

1	دين الاتزان والشمول	المجلد الثاني والعشرون	العدد التاسع
2	الرؤية الإسلامية في الحضارة الإنسانية	المجلد الثالث والعشرون	العدد الثاني
3	شريعة الله لا تتطور مع المفاهيم المتطورة	المجلد الثامن والعشرون	العدد الثاني
4	إلى الإسلام من جديد، لماذا؟	المجلد التاسع والعشرون	العدد الأول
5	الإسلام والعالم المعاصر	المجلد الثلاثون	العدد العاشر
6	الأمة الإسلامية وشريعة الله والمسلمون التقدميون	المجلد الحادي والثلاثون	العدد الأول
.1	جرِّبوا الإسلام من جديد	المجلد الثالث والثلاثون	العدد الثاني
.2	لا تحسروا مد الإسلام الحضاري	المجلد السادس والثلاثون	العدد السادس
.3	الإسلام في مواجهة الحقد العالمي	المجلد التاسع والثلاثون	العدد الثالث
.4	الإسلام والصراع الحضاري	المجلد الحادي والأربعون	العدد الرابع

قضايا العالم الإسلامي وموقف المسلمين نحوها:

العالم الإسلامي محدق بالأخطار والتحديات المتنوعة، فهناك قضايا دولية، وقضايا إقليمية، ويعيش المسلمون حياة الذل والاضطهاد، فما من قطر في العالم

الإسلامي إلا ويتعرض أهله للشدائد والمحن، لكن شيخنا متفائل في مثل هذه الأوضاع، بشرط أن يكون الإيمان والعمل الصالح، فكتب افتتاحيات لمجلة البعث الإسلامي، وهي تسلط ضوءً كاشفاً على هذا الجانب المهم:

1	قصة الإيمان مع أهله	المجلد الثاني عشر	العدد الثالث
2	لا داعي للتشاؤم	المجلد السابع	العدد العاشر
3	جبهة واحدة يا دعاة الإسلام!	المجلد السابع عشر	العدد السابع
4	أول ثمرة للمشروع الأمريكي	المجلد الخامس عشر	العدد الثالث
5	مقياسنا للانتصار	المجلد الخامس عشر	العدد السادس
6	مشكلاتنا ثمرة لشتاتنا	المجلد الثامن عشر	العدد الثامن
7	المطامع الماركسية في باكستان وأفغانستان وإيران ودول الخليج	المجلد الثالث والعشرون	العدد الثامن
8	مؤامرة مكثفة لتصفية العناصر الإسلامية	المجلد الخامس والعشرون	العدد الأول
9	هذا هو الاستشراق فما عدتنا نحوه؟	المجلد السادس والعشرون	العدد التاسع
10	الفاشية الإسلامية وزعماء الحضارات المادية	المجلد الثاني والخمسون	العدد الخامس
11	واقدساه! ومن للمسجد الأقصى	المجلد الخامس والعشرون	العدد الثالث
12	ثورة إيران في ميزان الواقع والتاريخ	المجلد السادس والعشرون	العدد الرابع
13	محاولات مسلحة ومخططات مدبرة للقضاء على الإسلام	المجلد السادس والثلاثون	العدد الأول
14	مأساة البوسنة والهرسك الجديدة	المجلد السابع والثلاثون	العدد التاسع
15	المسجد البابري، له الله وحده	المجلد الثامن والثلاثون	العدد الثامن
16	محنة الشيشان وسياسة تكميم الأفواه	المجلد الخامس والأربعون	العدد الثاني
17	صلبيات جديدة في عصر العلوم والانفتاح	المجلد التاسع والأربعون	العدد التاسع
18	تشكيلة جديدة للمناهج الدراسية الإسلامية	المجلد التاسع والأربعون	العدد العاشر
19	برامج علنية لهدم الإسلام	المجلد الثالث والخمسون	العدد السادس
20	أحلام مزعجة يعيشها الغرب	المجلد الثالث والخمسون	العدد الأول

الأدب الإسلامي: حاجته ومعنويته:

اللغة وسيلة من وسائل البيان، ميّز الله تعالى بها الإنسان وفضله بها على المخلوقات الأخرى، وهي صفة مميزة بين الحسن والقبيح، ويعبر بها الإنسان عما في ضميره من المشاعر والأحاسيس، قال الله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ

الْبَيَانَ" (الرحمن:1-4)، فهناك أربع صفات بارزة: الرحمة، وهي أوسع صفة من صفات الرحمن، فالله هو الرحمن الرحيم، ثم القرآن، وهو مهيمن على الكتاب السابقة، والإنسان وهو أشرف المخلوقات الأرضية والسماوية، والبيان وهي أعلى صفة تميز بها عن غيره من المخلوقات.

فاللغة هي طريقة أداء ما في قلب الإنسان بأسلوب بسيط، أما الأدب فهو الطريقة المؤثرة التي تبلغ كلام المتكلم إلى نفوس المخاطبين، فاللغوي يحتاج إلى تركيب الألفاظ والكلمات وحفظ المفردات في ضوء القواعد، أما الأديب فهو يستعمل طرقاً مؤثرة من البلاغة: البيان والمعاني والبديع، فإن استعمال هذه الأدوات يجعل كلام جميلاً، بذلك يصل الكلام إلى القلب.

هذا في جانب، وفي جانب آخر، قد استعمل الأدب آلة لتسلية النفس واللذة الفنية والمتعة الذوقية، وقد احتكره المغرضون من الأدباء، فقدموا نظرية الأدب للأدب، لا للكون والحياة والإنسان، فشاع سوء التفاهم وسوء الاستعمال لهذا المصطلح، وأورث فساداً شاملاً ودماراً كبيراً.

إن الشيخ الأعظمي أديب العربية، يعرف خطورة هذا الموضوع، ويعرف كيف يستعمل هذا المصطلح للأغراض الخسيسة والأهداف التافهة، فكتب في مجلة البعث الإسلامي عدة افتتاحيات، وهي كما يأتي:

1	أدب الحوار في خدمة الدعوة	المجلد الخمسون	العدد الثامن
2	الفكر الإسلامي وصلته بالأدب والبيان	المجلد الخامس والأربعون	العدد العاشر
3	بين أدب الأصالة وأدب الحداثة	المجلد التاسع والثلاثون	العدد الرابع
4	الأدب الإسلامي الرائد ووظيفته في بناء الإنسان	المجلد الثامن والثلاثون	العدد الثامن
5	الدعوة والأدب صنوان متعاضدان	المجلد السابع والثلاثون	العدد العاشر
6	الأدب والإيمان نعمة من الله على الإنسان	المجلد السادس والثلاثون	العدد الثامن
7	أدب الدعاء والذكر والرسول صلى الله عليه وسلم	المجلد الثالث والثلاثون	العدد التاسع
8	الأدب والدين والحياة	المجلد الثاني والثلاثون	العدد السادس
9	رابطة الأدب الإسلامي وتطلعات المستقبل	المجلد الثلاثون	العدد التاسع
10	الأدب الإسلامي وحاجته ودوره في الحياة	المجلد السادس والعشرون	العدد الواحد والثاني

الشخصيات الدينية ودورها في بناء السيرة:

يعتقد الشيخ سعيد الأعظمي أن الشخصيات المثالية تكون نموذجاً عالياً في بناء السيرة، لأن الدين الإسلامي قد انتشر بجهودهم، فقد واصلوا الليل بالنهار، والنهار بالليل، وسهروا الليالي، وقد استناروا من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه كان أسوة حسنة، قال الله تعالى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" (الأحزاب:21)، وقد صحب الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم والتزموا بصحبته، وهكذا نال التابعون التربية من الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك الأئمة المجتهدون والعلماء الفطاحل، حتى وصل الدين إلى العصر الحاضر، فالشخصيات الإسلامية هي الأساس في تربية الأجيال، وإذا فقدت الدنيا هذه الشخصيات حرمت نماذج وأمثلة، وبقيت النظريات والأفكار والأيدلوجيات فقط، فالحاجة ماسة إلى أن يتكرر ذكر هذه الشخصيات أمام الأجيال الناشئة، وقد وقف الشيخ الأعظمي مواهب وصلاحيات لبيان سيرة هذه الشخصيات، فكلما انتقلت شخصية إلى رحمة الله تعالى كتب محاسنها وتراجم حياتها، ونبذة من سيرتها العطرة، حتى يستفيد القراء من هذه الشخصيات، فأول مقال نشر في مجلة البعث الإسلامي في العدد الأول هو "الشاعر محمد إقبال يناجي العرب"، ثم كتب حول إقبال الشاعر بمناسبة ذكرى وفاته في فبراير عام 1978م، وإلى القراء بعض هذه المقالات:

1	وداعاً شيخ الأزهر د. عبد الحليم محمود	المجلد الثالث والعشرون	العدد الرابع
2	إلى الرفيق الأعلى محمد الحسني	المجلد الرابع والعشرون	العدد الأول
3	إنا لله وإنا إليه راجعون (أبو الأعلى المودودي)	المجلد الرابع والعشرون	العدد الرابع
4	لماذا يبكي المسلمون على ضياء الحق	المجلد الثالث والثلاثون	العدد السابع
5	عبد العزيز بن باز فقيد العلم والدين والدعوة إلى الله	المجلد الرابع والأربعون	المجلد السابع
5	فقيد الأمة الإسلامية وخسارة القدوة الإيمانية (الشيخ أبو الحسن علي الندوي)	المجلد الخامس والأربعون	المجلد السابع

وفي طليعة هذه الشخصيات سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكتب عدة افتتاحيات حول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام، منها: نبي الرحمة وازدواجية العقيدة والشريعة، في المجلد السادس والأربعين، العدد السابع.

وقد خصّص الشيخ باباً في مجلة البعث الإسلامي، باسم: إلى رحمة الله تعالى، فيذكر فيه كل من ارتحل إلى رحمة الله تعالى، من العلماء الربانيين، والمشايخ العظام والأدباء والشعراء والمؤرخين، والأساتذة الكبار وأعلام العالم الإسلامي. فمنذ سنة ديسمبر 1979م يكتب هذا الباب بقلمه السيال باستمرار، لا يدانيه فيه أحد، وإن ذكر أعلام هذا العمود يستغرق صفحات كثيرة وكثيرة.

وهناك موضوعات عديدة في مجلة البعث الإسلامي مثل: دراسات قرآنية، حديث وسيرة، عقيدة وعبادة، دعوة وتوجيه، الشباب المسلم، الإسلام والحضارة الإسلامية، فقه وتشريع، اقتصاد، تعليم وتربية، دراسات وأبحاث، تاريخ وحضارة، رجال من التاريخ، لقاءات ومشاهدات، طب وعلوم، ديانات ومذاهب، الفن واللغة والأدب، الأدب الإسلامي، القومية الغربية، الحضارة الغربية والغزو الثقافي، العالم الإسلامي والعربي، أوروبا وأمريكا، الاستشراق والاستعمار، الاشتراكية والشيوعية، المرأة، قضية فلسطين، شاعر الإسلام محمد إقبال، نافذة على تاريخ الهند، رجال من الهند، جهود الشيخ الندوي، واحة ندوة العلماء الخضراء، خدمات البعث الإسلامي، موضوعات عامة.

فكرة إنشاء صحيفة "الرائد":

إن دار العلوم لندوة العلماء مؤسسة تعليمية، وحركة توجيهية، تعنى بتربية الطلاب وتثقيفهم علمياً عملياً وخلقياً ودينياً، فقد تنوعت نشاطاتها بعقد حفلات عربية أسبوعية، على مستوى الصفوف، وشهرية على مستوى ندوة العلماء، وكانت الحاجة ماسة إلى منصة عربية يتمرن الطلاب من خلالها على تعلم اللغة العربية كتابةً وصحافةً، فصدرت صحيفة "الرائد" عن ندوة العلماء تحقيقاً لهذا الغرض السامي، عام 1959م.

جاءت هذه الفكرة في ذهن السيد محمد الرابع الحسني الندوي، وكان قد سمى هذه الصحيفة "الرائد"، واستشار في هذا الأمر من الشيخ سعيد الأعظمي الندوي، فقام بتأييده، وحصل المسئولون عن الصحيفة على الترخيص من الحكومة، وتمت جميع إجراءات الصحيفة خفيةً، وكان كاتبها الشيخ عليم الدين، وطبعت الصحيفة في مطبعة تنوير، بلكناؤ. ولما طبعت الصحيفة ورآها الناس اعتبروها مفاجأةً، وكان

صدورها مفاجأة للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي.

كان صدور هذه الصحيفة تحت إشراف النادي العربي، بدار العلوم ندوة العلماء، وما زالت تصدر بكل استمرار. وكانت مساهمة الشيخ سعيد الأعظمي منذ بدايتها ملموسة بارزة، من ترتيب المقالات وكتابتها، وقراءة الملازم، وتصحيحها واشتراء الأوراق وإرسالها إلى الطباعة ثم كتابة عناوين المشتركين وإيصالها إلى صندوق البريد، ولم يأل الشيخ جهداً في إنجاز هذه الأعمال.

قد ذكر الشيخ سعيد الأعظمي عن صحيفة "الرائد":

"هي جريدة نصف شهرية، ونستأنف الآن السير إلى رحاب ندوة العلماء، ودار العلوم التابعة لها في عام تسعة وخمسين وتسع مائة وألف، وفي نفس هذا العام في شهر يوليو صدرت جريدة الرائد نصف شهرية، نظراً إلى حاجة طلاب دار العلوم الذي كانوا في مراحل النمو، وكانوا مقبلين على تعلم اللغة العربية وإتقانها كتابةً وخطابةً، فكانوا لابد لهم من صحيفة. تكون لهم بمنزلة معلم، أو مدرسة تشرف على عملهم الأدبي، وعلى مدى تعلمهم هذه اللغة الشريفة وأداء دورها في الحياة والمجتمع.

أما الأهداف التي سجلت وراء إصدار هذه الصحيفة والأسباب التي كانت تدعو إلى ذلك فلنستوحيها من خلال ما كتبه رئيس تحرير الجريدة في أول عدد صدر في شهر يوليو لعام تسعة وخمسين وتسع مائة وألف سعادة الأديب الكبير رئيس قسم اللغة العربية يوم ذاك، سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء اليوم"[6].

ويقول الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي:

"هذا يوم كانت هذه الصحيفة ملكاً شخصياً ولكنها سرعان ما تحولت إلى ندوة العلماء التي اتخذتها وسيلة لعرض النشاط الإسلامي والعربي على البلاد العربية والتعريف بندوة العلماء إلى العرب الذين كانوا لا يعرفون عنها شيئاً، ومن ثم كان دور هذه الصحيفة في مجال الصحافة العربية في الهند دوراً مشرفاً وموضوعياً ومخلصاً، وكان سبباً لطول عمرها واستمراريتها لتحقيق الأهداف التي ذكرناها.

[6] - الندوي، سعيد الرحمن الأعظمي، **الصحافة العربية: نشأتها وتطورها**، (لكناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر، 2010م)، ص: 68-69.

صدرت الرائد في عام 1959م، ولا تزال تصدر مرتين في الشهر بانتظام واستمرارية، يرأس تحريرها الآن فضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي، من كبار أساتذة اللغة العربية وآدابها، وعميدها إلى مدة لا بأس بها، وقد يحل الآن منصب رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، وله براعة كبيرة في مجال الصحافة العربية وتجربة فريدة فيها منذ مدة طويلة، لا يدانيه في ذلك أحد في الهند اليوم"[7].

كلمة الرائد وموضوعاتها المتنوعة:

كتب الشيخ الأعظمي عمود "كلمة الرائد" بكل استمرارية، ولا تزال تستمر هذه السلسلة، فهو يكتب مقالتين في شهر، تتنوع الكتابات في هذا العدد، فهناك سياسية، ودينية وقومية ووطنية، إنّ قائمة لكلمات الرائد نسردها سرداً إجمالياً حتى تتجلى مساهمة الشيخ الأعظمي في تطوير اللغة العربية والأدب العربي والصحافة العربية في العالم الإسلامي.

صدرت صحيفة "الرائد" النصف الشهرية عن ندوة العلماء، وحظيت بالقبول، ولقيت ترحاباً كبيراً من جميع الأوساط العلمية والأدبية، وذلك لأنها كانت ترجماناً لعواطف القراء، وضمائرهم. وقد كانت هنا مجلات، لكنها تشتمل على دراسات وبحوث، ولم تكن هنا صحيفة تعنى بالأجيال الناشئة، وتقدم لها غذاءاً دسماً، ومادة غزيرة للغة والأدب، حسب مستواها وذوقها، فكان صدورها مفاجأة سارّةً لها، فجاء في أوانها وفي مكانها.

ومما يبعث على الفرح والسرور أن المشرف على "ركن الأطفال" كان شيخنا سعيد الأعظمي، فكانت منه عناية فائقة بالموضوع، وكان في دار العلوم لندوة العلماء مجلس عربي باسم "النادي العربي"، ومن نشاطات هذا المجلس إنشاء ملكة اللغة العربية كتابةً وخطابةً ونطقاً وحواراً، وقد شقت ندوة العلماء طريقاً جديداً لإنشاء هذه المواهب في الطلاب، فأحرزت النجاح مأةً في المائة، ولما صدرت هذه الصحيفة كان من ورائها أن يتدرب الطلاب على تعلم اللغة العربية كتابةً وخطابةً ونطقاً وحواراً، فوجدوا مجالاً أوسع

[7] -المرجع نفسه، نفس الصفحة.

من خلال هذه الصحيفة. وكان منشئ الصحيفة ورئيس تحريرها الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي، وكان مساعده الخاص في إصدار هذه الصحيفة الشيخ سعيد الأعظمي الندوي.

فإن الدكتور الأعظمي لا يزال يكتب من العدد الأول في هذه الصحيفة من دون انقطاع. أولاً كان مشرفاً على "ركن الأطفال"، ويكتب فيه ما يدور في خاطره من الأحاسيس والانطباعات الموافقة لأذهان الطلاب، ثم تعين له عمود خاص، وهو "كلمة الرائد" تحت هذا العمود لا يزال يكتب منذ مدة غير قصيرة.

نذكر هنا بعض موضوعات كلمة الرائد:

الشخصيات الإسلامية:

يعرف الشيخ كل المعرفة أن الشباب يتأثرون كثيراً بالرجال البارزين، فيقلدون حياتهم، فأحب أن يقدّم أمام الطلاب تحت هذا العمود عدداً من تراجم هؤلاء الرجال البارزين، فكتب حول هذه الشخصيات، وذلك في أسلوب يوافق تماماً نفسية الشباب الجدد.

- فاجعة عظيمة تنزل بندوة العلماء (وفاة الدكتور السيد عبد العلي الحسني) 29/ذو القعدة 1380هـ.
- دقائق مع إقبال (أول أكتوبر 1964م)
- عبرة على السباعي (10رجب 1384هـ)
- الأستاذ عبد الباري في ذمة الله (15صفر 1396هـ)
- هلا نتعظ بذكرى الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي(8 شوال 1399هـ)
- الشيخ معين الدين السجزي (10 ذو القعدة 1399هـ)
- ساعة مع الشيخ أحمد السرهندي (26 ذو الحجة 1399هـ)
- فضيلة الأستاذ أديب العربية الشيخ محمد ناظم الندوي (27/صفر 1421هـ)
- فضيلة الأستاذ شفيق الرحمن الندوي (4/جمادى الأولى 1423هـ)
- مأمون الهضيبي المرشد السادس للإخوان (9 ذو الحجة 1424هـ)
- في ذمة الله الملك فهد (25 جمادى الثانية 1426هـ)
- أمير الكويت الشيخ جابر (15/ذو الحجة 1426هـ)

- حاكم دبي الشيخ مكتوم بن راشد (15 ذو الحجة 1416هـ)

المناسبات الإسلامية:

إن المناسبات الإسلامية مثل الهجرة، وولادة الرسول صلى الله عليه وسلم والإسراء والمعراج، ورمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى والحج وما إلى ذلك لها قيمة كبيرة في تنشيط الحياة الإنسانية، وقد أدت هذه الأعمال في كسب الحسنات وادخار الأجر والثواب في ميزان العمل دوراً ملموساً، ولاشك أن الله قد وضع هذه الأوقات المستجابة والأيام الحانية والساعات المباركة في نظام الليل والنهار، فإن رجلاً كان ضئيل الأعمال الحسنة، لكنه اغتنم رمضان وساعاته الميمونة فعمل الأعمال الصالحة ونجح نجاحاً باهراً، وقد استعمل القرآن الكريم لانتهاز هذه الفرص كلمة التذكير، فقال: "وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"(الذاريات:55).

اختار العلماء في كل زمان ومكان موضوع التذكير، فكلما جاءت هذه المناسبات قاموا بتذكير الخاصة والعامة نحو هذه المناسبات بالكتابة والخطابة، فلم يكن الشيخ سعيد الأعظمي مقصراً في هذا الجانب، فقد انتهج منهج الخطابة والكتابة كلتيهما، أما الخطابة فقد توافر له منبر جامع ندوة العلماء، وقد خطب أيام الجمع من على هذا المنبر، فجُمعت خطبُه في صورة كتاب: باسم "خطب الجمعة في ضوء الكتاب والسنة" وهي الآن تحت الطبع.

أما الكتابة فقد اختار لها صحيفة "الرائد"، وكتب مقالات كثيرة حول هذا الموضوع، وهي حول العام الهجري والهجرة النبوية والسيرة النبوية، ورمضان شهر الصيام والقرآن والحج والتضحية، وجُمعت هذه المقالات في صورة كتاب باسم "صور من واقع الدين"، نذكر أهم موضوعاتها:

- تحية العام الجديد (أول يوليو 1965م، صفر 1385هـ)
- مرحباً بالعام الهجري الجديد (ذو الحجة 1424هـ)
- ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم (يوليو 1965م، وربيع الأول 1385هـ)
- المقياس الجديد(أول يوليو 1966م)
- من حضيض الجاهلية إلى قمة المعنوية (ربيع الأول 1424هـ)
- ربيع القلوب (رمضان 1393هـ)

- صلتنا برمضان (رمضان 1393هـ)
- سلاح الصيام في وجه الطغيان (شوال 1389هـ)
- إلى بيت الله العتيق (ذو الحجة 1411هـ)
- لا سعادة بدون التضحية (ذو الحجة 1414هـ)

الدعوة الإسلامية:

الدعوة الإسلامية حاجة الساعة، ونداء الوقت، ولن يفلح قوم نبذوا الدعوة الإسلامية وراءهم ظهرياً، لا سعادة ولا كرامة في الدنيا بدون الدعوة الإسلامية، كانت الأمم والجماعات في العالم كثيرة وكثيرة، ولم تكن الوظائف والمناصب شاغرةً، وكانت التجارة والزراعة والصناعة والفلاحة على قدم وساق، وكان لها ذيوع وشيوع، الشيء الذي فقده المجتمع الإنساني وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبعث الله تعالى لهذه الغاية أمة بأسرها، قال الله تعالى: "كُنتُمْ خيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلناسِ تأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتنهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتؤْمِنونَ باللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكَانَ خيْرًا لَهُمْ مِنهُمُ الْمُؤْمِنونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (آل عمران:110).

كتب الشيخ الأعظمي مقالات كثيرةً حول هذا الموضوع، وجُمعت هذه المقالات الدعوية في صورة كتاب، والكتاب في 300 صفحة، وطُبع من مكتبة الفردوس، لكناؤ، الهند. وصدرت له طبعتان، الطبعة الأولى في عام 2007م، والطبعة الثانية في عام 2008م.

موضوعات هامة:

كما كتب الشيخ الأعظمي حول قضايا العالم الإسلامي، ومسئولية الشباب نحو الأوضاع الراهنة، وقدسية الحرمين الشريفين، والدفاع عن جزيرة العرب، وحضارة الإسلام وحضارة الغرب، وصدام الحضارات. وتناول أيضا الأمراض المنتشرة في المجتمعات المسلمة، ووقوع الناس فريسةً لها، فاستنكر هذه الأمراض، وقدّم حلولاً ناجعة للابتعاد عنها. يعتقد الشيخ الأعظمي بأن العدو الأكبر هو الغرب المتحضر الذي هجم بخيله ورجله على المجتمعات الإسلامية، فحرمها من الطهارة والأخلاق، والتقوى، والصبر والإخلاص، وأوقع الناس في كثير من البليات المتفشية مثل الحسد والحقد

والضغينة والخيانة والغل، فلابد من التنبيه لخيراته ومآسيه، حتى يأخذ الإنسان ما كان صافياً نزيهاً، ويبتعد عن كل ما كان نتناً وقذراً، نظراً إلى هذه القاعدة: خذ ما صفا، ودع ما كدر.

لكن بالرغم من كون الغرب معارضاً للإسلام لابد لنا من الاعتناء بإصلاح نفوسنا، وإصلاح مجتمعاتنا، لأن العدو يعيش في داخل نفوسنا، وقد أوصى سيدنا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أحد عماله: "فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم. وإنما نعادي عدونا، ونُنْصر عليهم بمعصيتهم"[8].

خاتمة البحث:

هذا غيض من فيض ذلك البحر الذي تتلاطم أمواجه في الأدب العربي، ولو أحصينا جميع ما كتب وألف الشيخ الأعظمي لاستغرق ذلك سفراً كبيراً، ومجلداً ضخماً، غير أننا نقدم في خاتمة البحث النتائج التي استخرجناها من حياته وجهوده الصحافية الأدبية:

- إن الشيخ الأعظمي رجل دؤوب، مشتغل بأعماله لا يكل ولا يمل ولا يضطرب ولا يئن، بل يؤدي مسئوليته بكل أمانة ودقة.
- هذا العصر الذي تجمعت فيه وسائل الشر، ولا تزال تجري الغارة ضد الأدب، ويستخدم الأدب لغرض خسيس، ولمطلب حقير، فالحاجة إلى أن يجعل الأدب موضوعاً مستقلاً وتدرس جميع نواحيه، حتى يتمكن المشتغل به من الدفاع عن حوزة الإسلام بهذا الطريق أيضاً.
- الصحافة الهادفة هي خير وسيلة لإبلاغ الرسالة إلى الآخرين، فالشيخ بدأ حياته بالصحافة، وهو يركّز جميع عنايته على الصحافة كوسيلة من الوسائل لإيصال كلامه إلى الآخرين.
- إن الثقة بالنفس هي العمدة في استمرار الأعمال، ذلك لأن الإنسان إذا فقدها حرم خيراً كثيراً، تتجلى هذه الميزة في حياة الشيخ الأعظمي.
- ظل منصب الأستاذية أشرف المناصب في كل عصر، شغل الشيخ هذا

[8] -الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **مختارات من أدب العرب**، الجزء الثاني (تعليق: أبو الفضل عبد الحفيظ البلياوي)، (لكناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر، 2011م)، ص:54.

المنصب، وهو يفتخر بأن يكون أستاذاً، ومدرساً للطلاب.

- ما زالت اللغة العربية والأدب العربي موضوعه الخاص طول حياته، فلم يكتف بتدريس الكتب في اللغة العربية فقط، بل ألقى محاضرات وخطب الجمع باللغة العربية، وآثر أن يكون كلامه في عامة الأحوال باللغة العربية. وقد كتب مقالات كثيرة تبلغ إلى أكثر من ألف، وآلاف من الصفحات. وهذا كله في سبيل ترويج اللغة العربية والأدب العربي. هذا ما ظهر لي، وأدعو الله أن يكثر أمثاله فينا، ويوفقنا للسير على طريقه المعبد بفضله ومنه، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أحمد، أشفاق، النثر العربي المعاصر في الهند، نيو دلهي، دار عمر للطباعة والنشر، 2013م.
- الفاروقي، جمال الدين والآخران، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية، دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2013م.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مختارات من أدب العرب، الجزء الثاني (تعليق: أبو الفضل عبد الحفيظ البلياوي)، لكناؤ، مؤسسة الصحافة والنشر، 2011م.
- الندوي، د.سليم الرحمن خان، الصحافة الإسلامية في الهند: تاريخها وتطورها،لكناؤ، المجمع الإسلامي العلمي، ط1، 2010م.

الندوي، سعيد الرحمن الأعظمي، 48 سال شفقتون كى سايه مين، لكناؤ، مكتبة الفردوس الإسلامية، 2012م.

- الندوي، سعيد الرحمن الأعظمي، الصحافة العربية: نشأتها وتطورها، لكناؤ، مؤسسة الصحافة والنشر، 2010م.
- الندوي، محمد فرمان، مولانا داكتر سعيد الرحمن اعظمي ندوي كي علمي وادبي خدمات ايك نظر مين، لكناؤ، لك مروه ايجوكيشنل فاونديشن.

الصحف والمجلات:

- صحيفة "الرائد" (نصف شهرية) لكناؤ، مؤسسة الصحافة والنشر، دار العلوم ندوة العلماء.
- مجلة "البعث الإسلامي"،(مجلة شهرية) لكناؤ، مؤسسة الصحافة والنشر، دار العلوم ندوة العلماء.
- مجلة "التنوير" (مجلة علمية وأدبية سنوية)، حيدر آباد، قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة العثمانية، 2016م.

اتجاهات متغيرة معاصرة في أدب الأطفال العربي

غلام نبي*
Email: ghulamnabiid@gmail.com

ملخص البحث:

تناول البحث موضوع أدب الأطفال العربي من حيث المفهوم والتطور والاتجاهات المتغيرة المعاصرة في أشكال أدب الأطفال الداخلية والخارجية. منذ بداية أدب الأطفال العربي بمصر في السبعينات من القرن التاسع عشر إلى فترة الثمانينات من القرن العشرين تقريبا كان أدب الأطفال في حالة فقيرة وبائسة من ناحية الطباعة والصور والرسوم والألوان وغيرها من الميزات الهامة والشروط اللازمة لنشر كتب الأطفال ذات الجودة العالية. مع ظهور الجيل الجديد من الكتاب في مجال أدب الأطفال، والدراسات الحديثة في علم نفس الطفل والتربية، ودور النشر المتخصصة لكتب الأطفال في لبنان ومصر والإمارات وغيرها من البلدان العربية، والازدهار الهائل في قطاع النشر والطباعة، وعناية الحكومات بأدب الأطفال على المستوى المحلي خلال السنوات القليلة الماضية نشهد تطورا ملحوظا في معيار أدب الأطفال. وفي السنوات القليلة الماضية قفز أدب الأطفال في العالم العربي قفزات نوعية في التطرق إلى الموضوعات، وهذا الاتجاه المتغير يكسر تقليدات ومحرمات في أدب الأطفال، ويفتح بابا للكتاب لمعالجة جميع أنواع المضامين التي يحتاجها الأطفال لتنميتهم الشاملة.

كلمات مفتاحية: اتجاهات متغيرة، أدب الأطفال، الشكل، المضمون.

Abstract:

In an attempt to take an overview of Arabic Children's Literature in terms of its internal and external qualities, this research paper has tried to look into the current changing trends regarding the production of Children's literature in the Arab world. Before the eighties of 20th century, Arabic Children's Literature was, to a large extent, impregnated with morality, ideology and didacticism in terms of its contents and ideas whose circle was very narrow.

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي، الهند.

In the last two-three decades, Children's literature in the Arab world has seen many changes in its internal and external forms. Socio-political climate of the Arab world, special attention of the governments towards children, emergence of a new generation of specialised Arab writers and child rights NGOs, tremendous boom in publishing sector and new concept of children's care have played an important role in improving the quality of Children's Literature in Arabic language. In addition to this, the canvas of topic and theme dealt in Arabic literature for children is getting bigger day by day. In order to shape all round development of children, more realistic social issues like death, disability, divorce, child abuse, war, gender equality and many more are being raised in children's books by contemporary writers.

أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي:

ظهر أدب الأطفال بمفهومه الجديد في العالم العربي بعد سنوات كثيرة من ظهوره في البلدان الأوروبية. وقد استخدم مصطلح[1] "أدب الأطفال" لأول مرة في الدوريات والمقالات العربية في عام 1930م، ولكنه لا يمكن إنكار وجود أدب الأطفال على الإطلاق باللغة العربية. هناك الكثير من الأدلة المكتوبة والموثوق بها لإثبات أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يدربون أبنائهم على الفنون الأدبية المختلفة من الشعر والخطابة وفنون الحرب والقتال، ويرسلون أطفالهم مع الأمهات المرضعات إلى المناطق الريفية ثم لا يعودون بهم إلى الحياة الحضرية حتى يبلغوا الثامنة أو العاشرة من عمرهم ليتمكن أطفالهم من تعلم اللغة العربية الخالصة ونطقها، وينهلوا من روح الحرية[2]. وفوق كل هذا، عثر المنقبون عن آثار مصر القديمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أول تسجيل في تاريخ البشرية لأدب الأطفال وحياة الطفولة ومراحل نموها، ويرجع تاريخه إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد مكتوبا على أوراق البردي ومصورا على جدران

[1] -زلط، الدكتور أحمد، **أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال**، (القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية، 1994م)، ص: 12.

[2] -حميد، مدثر، طاهرة، دكتورة قرة العين، "أدب الأطفال العربي وتطوره"، **مجلة القسم العربي**، 2015م، العدد: 22، ص: 151.

المعابد والقصور والقبور[3]. يقول الدكتور محمود حسن اسماعيل: "إلا أن أدب الأطفال في مصر القديمة كانت له أهداف أخرى غير التسلية، في مقدمتها تربية الأطفال وتنشئتهم في إطار ثقافة وحضارة وطقوس دينية خاصة"[4].

عندما جاء الإسلام، ظهر مفهوم جديد وشامل لحقوق الطفل وتربيتهم. أكد الإسلام بشدة على رعاية الأطفال وحقوقهم وتعليمهم. وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على الاهتمام بتربية الأطفال وتعليمهم وحقوقهم. يقول الله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا"(سورة التحريم، الآية: 6)، وفي سورة لقمان، قال سبحانه تعالى: "وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم"(الآية: 13). وبالإضافة إلى الآيات القرآنية، نجد في الأحاديث الشريفة نصوصا كثيرة تتعلق بالطفولة، والعناية بالأطفال، وتربيتهم، وتعليمهم، والعطف عليهم، وتدريبهم على الصلوة والصوم، وأفعال الخير. كان النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالأطفال كما روي عن أنس رضي الله عنه قال: "كان النبي أرحم الناس بالصبيان والعيال"(الحديث)[5] أمر الرسول الكريم الآباء وأولياء الأمور بتحمل المسئولية تجاه أولادهم وأسرتهم، كما ورد في الحديث "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته..."(الحديث)[6].

عندما بدأت النهضة الأدبية الحديثة في مصر بعد غزو نابليون عام 1798م، شهدت مصر نوعا جديدا من الأدب الذي يستهدف غرس القيم الأخلاقية والتعليمية في الأطفال من خلال الترجمة والتعريب في أعقاب اتصالات العرب بالأوروبيين وآدابهم. قام رفاعة رافع الطهطاوي(1801م -1873م) بدور هام في ترجمة القصص الكلاسيكية

---

[3] -اسماعيل، الدكتور محمود حسن، **المرجع في أدب الأطفال**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 2004م)، ص: 35.

[4] -المرجع نفسه، ص: 36.

[5] -البرهانفوري، العلامة علاء الدين علي المتقي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، المجلد السابع، 1993م)، ص: 155.

[6] -البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 2002م)، ص: 618.

الأوروبية وإدخالها في المناهج الدراسية لقراءة الأطفال في مصر. هناك لمحة واضحة عن أدب الأطفال في كتابه المسمى بـ " المرشد الأمين في تربية البنات والبنين". ثم جاء محمد عثمان جلال (1828م -1889م) إلى المشهد. يعتبر ديوانه "العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ" أول محاولة عربية مهدت الطريق للكتاب إلى إرساء دعائم أدب الطفولة. ترجم فيه حكايات لافونتين الخرافية باللغة الفرنسية إلى اللغة العربية[7]. بعد الطهطاوي وعثمان جلال، لم يعط أحد فكرا جديا لأدب الأطفال حتى جاء أحمد شوقي (1868م -1932م). أثناء دراسته في فرنسا، تعرف أمير الشعراء على أدب الأطفال وأعجب خاصة بالأديب الفرنسي لافونتين، فنظم بعض القصص والحكايات للأطفال على غرار حكايات لافونتين مثل " الصياد والعصفورة " و"فأر الغيط وفأر البيت " على ألسنة الحيوانات والطيور. في مقدمة الشوقيات، دعا الشعراء إلى الكتابة للأطفال، ولكن دعوته لم تلق ترحيبا كبيرا.

وبصرف النظر عن بعض أعمال علي فكري ومحمد الهراوي المبنية على الوعظ والنصيحة والتعليم في النثر والشعر للأطفال في تلك الفترة، لم يكن هناك شيء يستحق الذكر. في الواقع، لم يكن الكتاب العرب مستعدين عقليا لهذا النوع الجديد من الأدب بسبب الانتقادات التي واجهوها بعد الكتابة للأطفال، لأن الكتابة للأطفال كانت تعتبر ضعفا فنيا للكتاب في تلك الأيام، ولذلك كان كتاب أدب الأطفال يحاولون إخفاء أسمائهم وهوياتهم من زملائهم. لم يكشف الكاتب الشهير كامل كيلاني سر كتابة القصص للأطفال لصديقه نجيب محفوظ لفترة طويلة[8].

بدأ أدب الأطفال كنوع أدبي معترف به ينتشر في العالم العربي منذ ستينات القرن العشرين فصاعدا. وأدخل أدب الأطفال كموضوع منفصل في بعض الجامعات والكليات. وافتتحت عدة مكتبات للأطفال في أنحاء العالم العربي[9]. وجاء الكثير من مجلات الأطفال إلى حيز الوجود. ظهر جيل جديد من الكتاب بعد شوقي مثل كامل

[7] -زلط، **أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال**، ص: 19.

[8] -شبلول، أحمد فضل، **أدب الأطفال في الوطن العربي**، ص 39.

[9] -مقدادي، موفق رياض، "أدب الأطفال العربي: واقع وتحديات"، **مجلة الدراسات**، 2014م، العدد: 1، المجلد: 41، ص: 129.

كيلاني، وعطية الإبراشي، وأحمد نجيب، وعلي الشرقاوي، ويعقوب إسحاق، وزكريا تامر، وسليمان العيسى، ويعقوب الشاروني وغيرهم في مختلف البلدان العربية، وعرضوا إبداعاتهم المتنوعة من القصص، والدراما، والأغاني والأناشيد للأطفال. تم تبسيط العديد من الأعمال الكلاسيكية العربية مثل "ألف ليلة وليلة" و"كليلة ودمنة" وقدمت للأطفال في شكل قصص قصيرة. بدأ العلماء يقومون بأعمال البحث في مجال أدب الأطفال. وكل هذا، مهّد الطريق إلى إرساء دعائم أدب الأطفال وتطوره في العالم العربي.

اتجاه متغير معاصر في الشكل والمظهر:

في العقود الثلاثة الأخيرة، شهد أدب الأطفال في العالم العربي عددا كبيرا من التغيرات والاتجاهات الجديدة في أشكاله الداخلية والخارجية. قد أدى كل من المناخ الاجتماعي السياسي في العالم العربي، واهتمام الحكومات بشكل خاص تجاه أدب الأطفال، وظهور المنظمات غير الحكومية، والازدهار الهائل في قطاع النشر، ومفهوم جديد لرعاية الأطفال وعوامل أخرى مختلفة، إلى هذه التغيرات في أدب الأطفال[10]. في أواخر القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين ظهر جيل جديد من الكتاب العرب الذين تخصصوا في مجال أدب الأطفال واختاروه كمهنتهم، وأنتجوا بعض الأدبيات ذات النوعية العالية التي تتماشى إلى حد كبير مع معايير أدب الأطفال المقدم للناشئين في الدول المتقدمة كما تراعي الجوانب النفسية للأطفال وتقوم بترويج تنميتهم الشاملة. إن الكتب المصورة الجذابة، وتأليف الكتب وتصنيفها حسب المراحل العمرية المختلفة للأطفال، واستخدام الألوان الجذابة، والرسوم التوضيحية الجيدة، هي بعض اللمحات من التغيرات الخارجية في أدب الأطفال العربي بعد التسعينات من القرن العشرين التي تعد بداية مرحلة الانطلاق لأدب الأطفال في العالم العربي. وهذا الاتجاه المتغير المعاصر في أدب الأطفال العربي سيظهر بسهولة لكل من يقارن بين كتب الأطفال المطبوعة قبل الثمانينات من القرن العشرين وبعدها.

[10] -بشور، الدكتورة نجلاء نصير، **أدب الأطفال العرب**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013م) ص: 23.

وبشأن الاتجاه المتغير في أشكال أدب الأطفال الخارجية خلال السنوات القليلة الماضية تقول الدكتورة نجلاء نصير بشور: "من حيث الشكل هناك تطور هام في كتاب الطفل حيث نرى الرسوم الأكثر جاذبية وخيالا، البعض منها يستقي من التراث العربي والإسلامي كمصدر له، والبعض يعتمد على الثقافة الغربية، والبعض الآخر يعتمد مزيجا من الإثنين معا. أما الألوان فباتت أكثر جاذبية وتداخلا مع النص بشكل يجعل من الصفحة فيها لوحة متكاملة، بل إن العديد من الرسوم تحكي القصة بشكل متواز مع تلك المكتوبة وتكملها. حتى شكل الكتاب أصبح متنوعا، يكسر القالب التقليدي، فهناك المربع والمستطيل عرضا، والكبير والصغير. كما اعتمدت أنواع أكثر جودة من ذي قبل، حتى أن بعضها اعتمد ورقا فنيا مميزا"[11].

اتجاه متغير معاصر في الموضوع والمحتوى:

في الآونة الأخيرة، ظهرت بعض الاتجاهات الجديدة المتعلقة بموضوعات ومحتويات أدب الأطفال في العالم العربي. إن الكتب العربية للأطفال كانت تكتب عامة من وجهة نظر الكاتب والأديب بأسلوب وعظي وتعليمي، وتعالج موضوعات تقليدية محدودة من مواضيع دينية وأخلاقية وتعليمية كان يعتبرها الكاتب مناسبة وكافية للأطفال دون رعاية اهتمامات الأطفال وحاجاتهم ورغباتهم وقضاياهم. قد واجهت القضايا الاجتماعية والموضوعات الواقعية إهمالا إلى حد كبير من قبل كتاب كبار لأدب الأطفال في العالم العربي. يقول عميد أدب الأطفال العربي يعقوب الشاروني: "إن جيل كامل كيلاني وما بعده حتى عام 1970م كانوا يرون أن الطفل رجل صغير أو امرأة صغيرة، وكل ما يفعلونه خارج عن سلوك الكبار يعد خطأ، أما الجيل التالي للكيلاني فاهتم بأن يعبر عن البيئة المحلية وقضايا الإنسان المعاصر مثل تنمية الإبداع والتفكير العلمي وقبول الآخر وعدم التمييز بين الفتى والفتاة، وتنمية الشعور بالانتماء

[11] -المرجع نفسه، ص: 30.

إلى الوطن والمحافظة على البيئة وقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة والطفل العامل وأطفال الشوارع مع الاهتمام بالمستقبل"[12].

بعد التسعينات من القرن العشرين، بدأت تتغير وجهات نظر كتاب أدب الأطفال تجاه الأطفال والناشئين، وبدأوا يتناولون في كتاباتهم الموجهة للأطفال القضايا والموضوعات التي تتماشى مع وجهات نظر الأطفال وحاجاتهم النفسية ومستوياتهم العقلية، وتعبر عن آلامهم وأفراحهم وأحزانهم في الحياة. تعبر الدكتورة نجلاء نصير بشور عن آرائها حول هذا الاتجاه الجديد والتغير المعاصر في موضوعات ومحتويات أدب الأطفال بهذه الكلمات: "يبدو من المواضيع المختارة أن هناك نظرة جديدة للطفل من قبل الكتاب، بأنه طفل ذكي ويستطيع مواجهة التحديات، وذلك كتعبير عن تطور النظرة إلى الطفل والأساليب التربوية المتبعة في التعامل معه، فالطفل أصبح هو الشخصية الفاعلة في القصة، يعبر عن مشاعره، واهتماماته، وتطلعاته وقلقه وتمرده"[13]. وبالإضافة إلى هذا، قد وجدت تلك الموضوعات والمضامين التي كانت تعتبر في بداية الأمر من القضايا المحرمة والحساسة للناشئين والأطفال طريقها إلى أدب الأطفال.

ويقول الناقد الكبير والكاتب المصري الشهير في مجال أدب الأطفال يعقوب الشاروني: "لقد أصبح أدب الأطفال قادرا على تناول كل ما يخطر على البال من موضوعات، وتكمن موهبة الكاتب في طريقة وأسلوب هذا التناول، بما يتناسب مع قدرة الطفل على الفهم والاستيعاب"[14]. عندما ألقي نظرة على محتويات ومضامين أدب الأطفال في العالم العربي نجدها تدور عامة حول الموضوعات الدينية، والأخلاقية، والوطنية، والاجتماعية التقليدية المتكررة، وقلما نجد الموضوعات الواقعية التي يجب تقديمها للناشئين في عصرنا هذا من أجل توعيتهم وإعدادهم لمواجهة أي مشاكل ممكنة الوقوع في حياتهم القادمة.

---

[12] -فتحي، مرورة، "الكتابة للطفل: كتب الرواد لا تناسب أطفال الكيبورد"، **جريدة التحرير الإخباري المصرية**، تاريخ النشر: 30 يناير، 2018م، تاريخ الزيارة: 31 مارس 2018.

[13] -بشور، **أدب الأطفال العرب**، ص: 24 -25.

[14] -الشاروني، **أدب الأطفال: فن وعلم**، ص: 6.

أما التحدث عن التربية الجنسية مع الأطفال أو معالجة قضايا التحرش الجنسي والاعتداء على الأطفال فكانت تعتبر قضية محرمة وحساسة في أدب الأطفال. في عام 2014م نشرت الكاتبة اللبنانية سمر محفوظ براج كتابا باسم " خط أحمر". هذا أول كتاب عربي للأطفال يتناول موضوع التحرش الجنسي بشكل طريف وذكي. يساعد هذا الكتاب في توعية الطفل بموضوع التحرش الجنسي، كما يعطيه الجرأة على مواجهة هذا الموقف فيما لو حصل معه والتحدث عنه بلا خجل وخوف. لقي هذا الكتاب استحسانا كبيرا في البلدان العربية بسب تقنية و أسلوب الكتاب الفريد لتناول الموضوع.

يجري الحوار بين الأم وابنها مازن هكذا...

"الخطّ الأحمر للسيارات؟ يعني مثل الإشارة الحمراء؟" سأل مازن.

"هناك خطوط حمر أخرى... أهم، ردّت ماما ،

"الوطن خطّ أحمر...

البيت والعائلة خطّ أحمر... جسمك أيضاً خطٌّ أحمر...الخ[15].

وعلاوة على ذلك، هناك قصص أخرى تعالج موضوع التحرش الجنسي مثل قصة "ريما في مأزق" لعواطف بصيص أبو حية، وقصة "جسم كشكش" لإلهام دويري وقصة " أرنوب يبوح سره" لميسون أسدي[16].

ومن أجل التعامل مع التوترات النفسية التي يمر بها الأطفال في حياتهم، بدأ الكتاب يعالجون موضوعات مثل الموت، والطلاق، وتنافس الأشقاء، والمرض، وموضوع الولادة وغيرها من المواضيع لمعالجة توترات الأطفال النفسية حول فكرة الموت والتعامل مع الضغوط الأسرية والإجابة على أسئلتهم اليومية لتنمية ذكائهم العاطفي وقدراتهم العقلية والمعرفية. فكتاب "أمي الجديدة"[17] لمريم سهيل الراشدي يتناول قضية تعدد

[15] -براج، سمر محفوظ، **خط أحمر**، (بيروت: دار الساقي، 2014م)، ص: 5 -4.

[16] -عيساوي، سهيل، "التحرش الجنسي في أدب الأطفال المحلي"، **مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية**، 2018م، (تاريخ الزيارة: 14 مايو 2018م.

[17] -الراشدي، مريم، **أمي الجديدة**، (دبي: دار العالم العربي للنشر والتوزيع، 2013م).

الزواج وعلاقة البنت مع أمها الجديدة، ويعالج كتاب "لي بدل البيت بيتان"[18] للشاعرة اللبنانية لوركا سبيتي موضوع الطلاق، ويتناول كتاب "سمسم في بطن ماما"[19] لفاطمة شرف الدين ولوركا سبيتي موضوع الولادة ويجيب بشكل دقيق ومرح عن تساؤلات الأطفال حول الموضوع. وهكذا قصة "جدتي والقمر"[20] لفاطمة شرف الدين وقصة "أبي لم يمت"[21] للكاتبة ميسون أسدي وقصة "أجنحة الملائكة"[22] لنادر أبو تامر تعالج موضوع الموت. يقول الكاتب الفلسطيني لأدب الأطفال سهيل عيساوي: "في اعتقادي أن الموت جزء من الحياة، ومن الطبيعي أن يطرح الموضوع بجسارة، لأن الطفل يعرف أن قريبه قد مات أو جاره أو صديقه أو ابن بلده أو أي انسان آخر، كذلك في ظل الحروب الأهلية والإقليمية والطائفية المنتشرة في الشرق الأوسط، والقنوات الفضائية ترصد لنا فصول الموت ببساطة وبلاهة وبرودة، وقصف وموت الأطفال بنيران الحرب الشرسة، وتحت الأنقاض، والموت جوعا، وغرقا في عمق البحار، بلا قبر أو جنازة أو وداع، وخاصة أن العالم أصبح قرية واحدة صغيرة، والأطفال على اطلاع تام بكل ما يحدث في العالم الواقعي والعالم الافتراضي"[23].

في قصة "جدتي والقمر" تتمشى البنت الصغيرة كل مساء مع أمها، وتسأل القمر عن جدتها التي رحلت. هذه قصة رقيقة مكتوبة بطريقة سلسة تساعد الطفل على قبول فكرة الموت والفراق. يفهم الطفل من خلال هذا الكتاب أن الموت هو جزء من دورة الحياة. وبالإضافة إلى هذا، يهتم الكتاب الآن بتناول القضايا المتعلقة بتغذية وصحة الأطفال، فتشجع قصة "ملفوفة جدتي"[24] للكاتبة اللبنانية سحر نجا محفوظ الأطفال على أكل وتقبل أنواع مختلفة من المأكولات التي قد لا تروقهم، كما تتناول قصة

---

[18] -سبيتي، لوركا، **لي بدل البيت بيتان**، (بيروت: دار الساقي للنشر والتوزيع، 2017م).

[19] -شرف الدين، فاطمة، سبيتي، لوركا، **سمسم في بطن ماما**، (بيروت: دار الساقي للنشر والتوزيع، 2015م).

[20] -شرف الدين، فاطمة، **جدتي والقمر**، (الشارقة: دار كلمات للنشر والتوزيع، 2008م).

[21] -عيساوي، سهيل ابراهيم، "الموت في قصص الأطفال"، **مجلة ديوان العرب الإلكترونية**، 2017م، (تاريخ الزيارة: 5 يناير 2018م).

[22] -المرجع نفسه.

[23] -عيساوي، **الموت في قصص الأطفال**.

[24] -محفوظ، سحر نجا، **ملفوفة جدتي**، (الشارقة: دار كلمات للنشر والتوزيع، 2013م).

"أمي...والتدخين"[25] للكاتبة سمر محفوظ براج وقصة "حين قرر أبي"[26] لسماح إدريس موضوع الإدمان والمخدرات. وفي قصة "حين قرر أبي" تساعد الأسرة الأستاذ سليم على ترك التدخين بمرح وذكاء.

وهناك عدد كبير من القصص المعاصرة التي تتحدث عن الاختلافات الفردية بين الأطفال، والأطفال المعوقين، وذوي الاحتياجات الخاصة ونضالهم في الحياة، وكيف لا يمكننا أن نجعل مجتمعا شاملا بدونهم. فإن قصة "رسالة من نور"[27] لبشرى محمد البيومي، و"مغني المطر"[28] لزكريا محمد و"هي، هما، هن"[29] لنهلة غندور، كلها تدور حول الأطفال المعاقين الذين يؤدون دور البطل الرئيسي في القصة، ورغم إعاقتهم يحققون إنجازات كبيرة بقدراتهم الفائقة الموهوبة. ركز كتاب هذه القصص عنايتهم البالغة على شمولهم في التيار الرئيسي، وترويج فكرة تقبل الآخرين وفهم أكبر للاختلافات الفردية والإعاقة. نشر الأستاذ المساعد صباح عبد الكريم عيساوي في قسم أدب الأطفال بجامعة دمام بحثا بعنوان "أصوات الأقليات: أدب الأطفال والإعاقة"، وذكر فيه أكثر من عشرين قصة باللغة العربية، تدور كلها حول موضوعات الإعاقة المختلفة من الشلل، وضعف البصر والسمع وغيرها. وعلاوة على ذلك، يكتب الكتاب المعاصرون بعض القصص العربية الجديدة ذات الصلة بقضية المحافظة على البيئية لغرس روح حماية أرضنا ومخلوقاتها في الأطفال والناشئين. وفي هذا الباب، نجد كتاب "النمر الأخير"[30] المترجم إلى اللغة العربية على يد جلال حسين خليل للكاتبة الزمبابوية لورين سينت جون. هذه قصة مثيرة تعالج موضوع حماية الحيوانات المعرضة للانقراض. وقصة "معجزة في الصحراء"[31] ليعقوب الشاروني تتناول قضية المحافظة على البيئة كما

---

[25] -براج، سمر محفوظ، **أمي والتدخين**، (بيروت: أصالة للنشر والتوزيع، 2011م).

[26] -إدريس، سماح، **حين قرر أبي**، (بيروت: دار الآداب، 2009م).

[27] -البيومي، بشرى محمد، **رسالة من نور**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م).

[28] -محمد، زكريا، مغني المطر، (رام الله: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، الطبعة الثانية، 2011م).

[29] -غندور، نهلة، **هي هما هن**، (بيروت: دار الخياط الصغير للنشر، 2010م).

[30] -جون، لورين سانت، **النمر الأخير**، ترجمة: جلال حسين خليل، (الشارقة: دار كلمات للنشر والتوزيع، 2013م).

[31] -الشاروني، يعقوب، **معجزة في الصحراء**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2013م).

يعالج كتاب "سر الحياة"[32] لهديل غنيم موضوع أزمة الماء، ويسلط الضوء على أهمية الماء كوسيلة هامة في حياة الإنسان، ويلقي درس التنمية المستدامة، ويحرض الأطفال على استخدام الماء وفق حاجاتهم والحفاظ عليه للأجيال القادمة ويمنعهم من الإسراف فيه.

ومنذ بداية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، شهد أدب الأطفال انعطافة كبرى في الروايات الموجهة للناشئين العرب. لم تكن المكتبات العربية تضم بين جنباتها قسما خاصا بأدب اليافعين. لكن العقد الأخير شهد في العالم العربي زيادة كبيرة في الإنتاج العربي الذي يخاطب الناشئين العرب. وجاءت هذه الزيادة ببطء ولكن بخطى ثابتة، كما ترى الناقدة الشهيرة مارسيا لينكس كويلي في مقالة لها نشرتها على موقع قنطرة الإلكتروني بعنوان "انعطافة كبرى في الروايات الموجهة للناشئ العربي"[33]. فقد وجدت الأعمال الجيدة الصنع أدبيا طريقها إلى واجهات متاجر الكتب ورفوف المكتبات العربية، بل وأضحى بعضها جزء من المناهج المدرسية الإلزامية. بدأت الموجة الجديدة من الأعمال الأدبية الموجهة لليافعين والمراهقين قبل ثلاثة عشر عاما، ربما عام 2005م برواية "الملجأ" للأديب اللبناني الشهير سماح إدريس. ومنذ ذلك الحين، بدأ الكتاب العرب بمن فيهم الكاتبات العربيات فاطمة شرف الدين، وسمر محفوظ براج، وتغريد عارف النجار، وأحلام بشارت وغيرهن كتابة القصص التي تستهدف شريحة الأطفال من اليافعين. وبالإضافة إلى هذا، في عام 2013م، عاد من جديد أدب اليافعين ليشهد دفعة جديدة، وذلك بإطلاق "جائزة أفضل كتاب لليافعين" في "جائزة اتصالات لكتاب الأطفال[34].

وطبقا لعلماء النفس والتربويين، تعتبر مرحلة الطفولة الأخيرة أو المراهقة فترة الضغط والاقتحام. خلال هذه الفترة، يخضع اليافعون لتغييرات جسدية ونفسية وعاطفية وشخصية بشكل كبير، ويواجهون التحديات المختلفة والأزمات النفسية والعاطفية

---

[32] -غنيم، هديل، **سر الحياة**، (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2008م).

[33] -كويلي، مارسيا لينكس، "انعطافة كبرى في الروايات الموجهة للناشئ العربي"، **موقع قنطرة الإلكتروني**، 2017م، (تاريخ الزيارة: 10 مارس 2018م).

[34] -قائمة الجوائز في الفئات المختلفة، موقع جائزة اتصالات الرسمي، تاريخ الزيارة: 1 يناير 2016م.

بسبب الصراع الداخلي والخارجي. بدأ الكتاب لأدب الأطفال في الدول المتقدمة يكتبون حول الموضوعات والقضايا التي تخاطب مشاكل وتحديات اليافعين وتقوم بتلبية حاجاتهم الأساسية من ناحية نفسية وعاطفية وخلقية. تحفل مكتبات الأطفال في الدول المتقدمة بآلاف الكتب من هذا النوع، وأشهرها سلسلة "هاري بوتر" للكاتبة البريطانية جيه. كيه. رولينغ. وأما في أدب الأطفال العربي، فهذا النوع من الرواية للشباب والشابات حديث النشأة. ومع ذلك، بدأ الكتاب العرب يتابعون هذا الاتجاه الجديد، ويكتبون روايات تناسب لهذه الشريحة من اليافعين. فروايات "فاتن" للكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين، و"غدي و روان" للكاتبتين المشاركتين من لبنان فاطمة شرف الدين وسمر محفوظ براج، و"اسمي الحركي فراشة" للكاتبة الفلسطينية أحلام بشارات، و"ست الكل" للكاتبة الأردنية تغريد عارف النجار هي البعض من الروايات الشهيرة التي تخاطب جمهور الشباب والشابات. وإن رواية "فاتن" لفاطمة شرف الدين هي قصة فاتن وهي فتاة قروية ذكية وطموحة، تجبر على ترك المدرسة والانتقال إلى بيروت للعمل كخادمة. بإرادتها القوية ترسم فاتن مخططا للخروج من هذا المأزق الذي تجد نفسها فيه. وبمساعدة بعض الأصدقاء ومثابرتها على قرارها للتحرر والنهوض بنفسها إلى مستقبل أفضل، تنجح فاتن أخيرا في تحقيق طموحاتها وتصبح ممرضة في أحد المستشفى.

تعد نورة أحمد النومان أول كاتبة إماراتية قدمت مفهوم الخيال العلمي بمعناه الشامل في أدب الأطفال العربي، وفازت روايتها "أجوان" التي كتبتها الأديبة المبدعة على غرار الخيال العلمي المكتوب للأطفال في الدول المتقدمة، بجائزة اتصالات المرموقة لأدب الأطفال في فئة الخيال العلمي لعام 2013م. تتابع بطلة الرواية "أجوان" وهي فتاة تبلغ من العمر 19 عاما، منظمة شنيعة في الفضاء بين الكواكب لإنقاذ ابنها الرضيع من سيطرة المنظمة التي اختطفت ابنها وكانت ترغب في تحويله إلى جندي خارق للعادة. تعكس حبكة الرواية المخاوف السياسية المعاصرة في البلدان العربية، حيث يرغب الرجال الذين لديهم أجندة خفية للحصول على السلطة في تحويل الأقليات أو الشعوب المهمشة إلى جيوش خاصة بهم عن طريق استغلال آلامهم ومعاناتهم. تم نشر تكملة لـ "

أجوان" باسم "ماندان" في عام 2014م. وتقول النومان إنها كتبت الرواية لأنها لم تتمكن من العثور على رواية الخيال العلمي في اللغة العربية لابنتها للقراءة، مشيرة إلى أن المواد المناسبة من الخيال العلمي لسن المراهقة كانت غير موجودة تقريبا في اللغة العربية[35].

خاتمة البحث:

يمكن القول إن أدب الأطفال باللغة العربية بعد التسعينات من القرن العشرين قفز قفزات نوعية في جميع الأمور اللازمة لإنتاج المواد الأدبية ذات الجودة العالية للأطفال مثل الطباعة والرسوم والألوان والمضامين واللغة والأسلوب وتقنية الكتابة للأطفال في أعمارهم المختلفة. بدأت تتغير وجهات نظر الكتاب تجاه الطفل فيرونه كفرد مستقل يتمتع بعالم خاص، يفرح ويحزن ويواجه المشاكل والتحديات مثل الرجال، فبدأ الكتاب يستلهمون أفكار أعمالهم الأدبية من بيئة الطفل الخاصة وحياته الاجتماعية، ويقدمونها في طبق جديد مزين بالرسوم والصور الملونة الخلابة التي تستهوي قلوب الأطفال والناشئين، ولا يترددون في تناول الموضوعات الشائكة مثل التحرش الجنسي، والطلاق، والحرب وغيرها. يتضاءل تدريجيا اللون التعليمي والوعظي من صفحات أدب الأطفال ويحل محله اللون الترفيهي والقواعد المحكمة لمخاطبة الأطفال مع رعاية نفسياتهم ومستواهم العقلي. إن الفوز بجائزة "استريد ليند غرين" أكبر جائزة لأدب الأطفال في العالم من قبل مؤسسة تامر الفلسطينية للتعليم المجتمعي في عام 2009م، وترجمة العديد من كتب الأطفال العربية إلى عدة لغات عالمية تبشر بأن أدب الأطفال العربي سيقطع مسافة بعيدة في إنتاج المواد الأدبية ذات الجودة العالية في السنوات القادمة إذا قامت بتحسين الهوامش الأخرى خاصة فيما يتعلق بالاختيار من المواضيع الأكثر جرأة وتنوعا.

[35] -جمعة، مريم، "نورة النومان: رواية الخيال العمي الإماراتية قادمة"، **جريدة البيان** https://www.albayan.ae/، تاريخ النشر: 28 فبراير 2018م، تاريخ الزيارة: 3 مايو 2018م.

المصادر والمراجع:

- إدريس، سماح، حين قرر أبي، بيروت، لبنان، دار الآداب، 2009م.
- إسماعيل، الدكتور محمود حسن، المرجع في أدب الأطفال، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2004م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، بيروت ، دار ابن كثير،ط1، 2002م.
- براج، سمر محفوظ، أمي والتدخين، بيروت، أصالة للنشر والتوزيع، 2011م.
- براج، سمر محفوظ، خط أحمر، بيروت، دار الساقي، 2014م.
- البرهانفوري، العلامة علاء الدين علي المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، مؤسسة الرسالة، المجلد السابع، 1993م.
- بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال أهدافه وسماته، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1996،2م.
- بشور، الدكتورة نجلاء نصير، أدب الأطفال العرب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013م.
- البيومي، بشرى محمد، رسالة من نور، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م.
- جون، لورين سانت، النمر الأخير، ترجمة جلال حسين خليل، الشارقة، دار كلمات للنشر والتوزيع، 2013م.
- الراشدي، مريم، أمي جديدة، دبي، دار العالم العربي للنشر والتوزيع، 2013م.
- زلط، الدكتور أحمد، أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، القاهرة، دار النشر للجامعات المصرية، 1994م.
- سبيتي، لوركا، لي بدل البيت بيتان، بيروت، دار الساقي للنشر والتوزيع، 2017م.
- الشاروني، يعقوب، أدب الأطفال: فن وعلم، الشارقة، اسم الناشر غير مذكور، 2003م.
- الشاروني، يعقوب، معجزة في الصحراء، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2013م.
- شبلول، أحمد فضل، أدب الأطفال في الوطن العربي: قضايا وآراء، الإسكندرية، مصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، 2000م.
- شرف الدين، فاطمة، جدتي والقمر، الشارقة، دار كلمات للنشر والتوزيع، 2008م.
- شرف الدين، فاطمة، لوركا، سبيتي، سمسم في بطن ماما، بيروت، دار الساقي للنشر والتوزيع، 2015م.

- عبد الفتاح، الدكتور إسماعيل، أدب الأطفال في العالم المعاصر(رؤية نقدية تحليلية)، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000م.
- عيساوي، صباح عبد الكريم، أصوات الأقليات: أدب الأطفال والإعاقة، قسم اللغة الإنجليزية، جامعة الدمام، المملكة العربية السعودية، لم يذكر اسم الناشر وسنة الطباعة.
- غندور، نهلة، هي هما هن، بيروت، دار الخياط الصغير للنشر، 2010م.
- غنيم، هديل، سر الحياة، القاهرة، مكتبة الأسرة، 2008م.
- محفوظ، سحر نجا، ملفوفة جدتي، الشارقة، دار كلمات للنشر والتوزيع، 2013م.
- محمد، زكريا، مغني المطر، رام الله، فلسطين، مؤسسة تامر للتعليم الجتمعي، ط2، 2011م.
- النجار، تغريد، ست الكل، عمان، الأردن، دار السلوى للطباعة والنشر، 2013م.
- نجيب، أحمد، أدب الأطفال: علم وفن، القاهرة، دار الفكر العربي، 1991م.
- النومان، نورة أحمد، أجوان ، القاهرة، دار نهضة مصر، 2012م.
- Hallowell, Lillian, A book of Children's Literature, New York, Third Edition, 1966.

المجلات المطبوعة والإلكترونية:

- جمعة، مريم، "نورة النومان: رواية الخيال العلمي الإماراتية قادمة"، جريدة البيان https://www.albayan.ae/ .
- حميد، مدثر، طاهرة، دكتورة قرة العين، "أدب الأطفال العربي وتطوره" مجلة القسم العربي، 2015م،
- عيساوي، سهيل ابراهيم، "التحرش الجنسي في أدب الأطفال المحلي" مجلة الحوار المتمدن الإلكترونية، 2014م.
- عيساوي، سهيل ابراهيم، "الموت في قصص الأطفال"، مجلة ديوان العرب الإلكترونية، 2017م.
- فتحي، مرورة، "الكتابة للطفل: كتب الرواد لا تناسب أطفال الكيبورد" جريدة التحرير الإخباري المصرية، https://www.tahrirnews.com/ .
- كويلي، مارسيا لينكس، "انعطافة كبرى في الروايات الموجهة للناشئ العربي" موقع قنطرة الإلكتروني، https://ar.qantara.de/.
- مقدادي، موفق رياض، "أدب الأطفال العربي: واقع وتحديات"، مجلة الدراسات، 2014م، العدد: 1، المجلد 41.
- الهيتي، الدكتور هادي نعمان، "ثقافة الأطفال"، مجلة عالم المعرفة، 1988م، العدد 123.

تأثير الاغتراب في أشعار وفاء عبد الرزاق

محمد شريف *
Email: msvelloor@gmail.com

ملخص البحث:

الأدب العربي العراقي ثريّ بتآليفات وإنجازات قيمة في معظم فنونه الإبداعية منذ زمن قديم. ففي العصر الحديث أيضا ، إنّه يحتلّ مكانه المرموق بفضل جهود كُتّاب بارعين من الجيل الجديد. ومن بين هؤلاء المبدعين المتميزين، الكاتبة العراقية الشهيرة وفاء عبد الرزاق، التي تنتمي إلى البصرة العراقية وتقيم مغتربة بمدينة لندن منذ مراهقتها. فهذه الكاتبة التي أثبتت مقدرتها الفائقة في كلّ من فنون الرواية والقصّة والشعر العربيّة ، تحاول في مؤلّفاتها الجمع بين القيم التي استوحتْها من تجربتها بالثقافة العربية والثقافة الغربية.

فهذه المقالة تحاول التعرف على شخصيتها البارزة وإسهاماتها الأدبية وأسلوبها الأنيق المتألق مع تركيز خاص على "الاغتراب" الذي أثّرها في عملها الأدبي خاصة في أشعارها. كما ستتناول موقفها تجاه العراق وحنينها إليه بحيث تعتقد بأن الكتابة وسيلة وحيدة لتخفيض المآسي وآلام الاغتراب في لندن.

كلمات مفتاحية: أشعار، اغتراب، حنين، عراق، لندن، وفاء عبد الرزاق.

Abstract:

Arabic literature in Iraq is rich in works and achievements in most of its creative arts since ancient times. In the modern era too, it occupies its prestigious place due to the efforts by brilliant writers of the new generation. Wafa Abdul Razzaq, who belongs to Basra is among outstanding writers and has been living in London as an alien since teenage. This writer, who has proved her great ability in both Arabic

* مدرس اللغة العربية، المدرسة الابتدائية الحكومية، ولاية كيرالا، الهند.

fiction and poetry, tries to combine the values which are drawn from her experience with Arab culture and Western culture.

This article attempts to find her outstanding personality, literary contributions and elegant style, with a special focus on the "alienation" which has influenced her literary work, especially her poems. It will also address her attitude toward Iraq and her nostalgia for it, believing that writing is the only way to reduce the tragedies and afflictions of alienation in London.

مقدمة:

للعراق حضور دائم في ميدان إثراء الفنون الأدبية والفنية بجهود جبارة لأدبائها المتميزين في كل مرحلة من مراحلها. ومن بين هؤلاء المبدعين الجدد في الأدب العربي العراقي الكاتبة العراقية الشهيرة وفاء عبد الرزاق، التي تنتمي إلى البصرة العراقية وتقيم بمدينة لندن. ويجدر الالتفات إليها تثمينا لإسهاماتها الغالية في ميداني الأدب والثقافة. فهذه المقالة هي محاولة متواضعة للاطلاع على هذه الشخصية البارعة في الأدب العربي المعاصر وإسهاماتها الأدبية وأسلوبها الأنيق وتأثيرات تجرباتها المغتربة في كتاباتها.

نظرة عابرة عن شخصية وفاء عبد الرزاق:

وفاء عبد الرزاق موسوعة أدبية على قيد الحياة، وُلدت سنة 1952م في مدينة البصرة، جمهورية العراق، وتعيش حاليا في لندن. واشتهر اسمها كشاعرة وقاصة وروائية حيث لا تزال تساهم إسهامات ضخمة في الأدب العربي المعاصر. وهي رئيسة مؤسسة رابطة الإبداع من أجل السلام بلندن حيث تعمل كسفيرة السلام لكي تؤكد التعايش السلمي والمحبة الراقية والخضوع الكامل لأجل الآخر وغيرها من الرسالات الإنسانية والمفاهيم العالية. كان زوجها مشجعا على تقدمها في مجال الأدب العربي دائما حيث سعد بقبوليتها في العالم. والكاتبة تتذكر إياه عند افتتاح ملف تكريمها "أول من فرح بهذا الخبر زوجي رفيق العمر على السراء والضراء وأصبح مدمنا للمثقف ومتابعا لما يكتبه الإخوة من إهداء ونقد ودراسة"[1]. درست الكاتبة العلوم الابتدائية من

[1] -الغرباوي، ماجد، **وفاء عبد الرزاق: أفق بين التكثيف والتجريب،** (أستراليا: مؤسسة المثقف العربي، ط1، 2011م)، ص: 394.

مدرسة الحرية الثانوية وأكملت التخصص في دبلومة محاسبة من جامعة البصرة. عملت كمذيعة في تلفزيون البصرة لبضع سنوات حيث كان لها برنامج عن الشعر الشعبي إعدادا وتقديما تحت عنوان جذاب "مزامير الجنوب" حتى صار ديوانها يحمل هذا الاسم "مزاميز الجنوب". ولها مكانة مرموقة بين الأدباء المعاصرين حتى وصفها د. علي حسين عبد المجيد الزبيدي، أكاديمي بارع بـ"الملكة ونخلة العراق الوارفة". قالت مرة عن صيرورتها في العالم العربي المعاصر حيث عبرت عما في ذهنها "إنها عُرفت عربيا قبل أن تعرف في بلدها العراق"[2].

تجاربها الشعرية:

هيا نصطفي وفاء عبد الرزاق نخلة شامخة عراقية لكي نستفيد من تجربتها الكتابية ونسير معها وهلة لنتمتع بعطرها الأدبي الراقي الأصلي حيث نفضّلها من بين جميع المثقفين والمبدعين. ومن إبداعاتها المتميزة أن تصوغ حروفها الحدباء لتشكل القصائد أجملها وأبهاها حتى تقوم بتعطير الأراضي التاريخية وذكرياتها الطفولية التي خلّفتها في العراق منذ زمن طويل. إنها بدأت كتابة الشعر منذ نعومة أظفارها بالتحديد في سنها التاسع. كانت أسرتها تلازم قرض الشعر بشقيه الفصيح والشعبي. روايتها الشعرية "تفاصيل لا تسعف الذاكرة" وقصصها الشعرية" وجوه، أشباه، أخيلة" كلتاهما دليلان على أن اللمسات الشعرية لم تفارقها وقامت بتأليف القصة الشعرية والرواية الشعرية حيث تقول عن شاعريتها "لازمني الشعر منذ تلك اللحظات ولا أظنه سيفارقني حتى أموت، وقد تجلى الشعر في كل حالاتي الكتابية حتى القصصية والروائية تجدني شاعرة"[3].

يمكننا أن نفهم ماهية الشعر في قاموسها حيث تقول "الشعر بكاء حبيس في أضلع وفاء، قسوة حزن وفراق، نار تسري من القلب إلى القلب، طفل، نبتة جدار،

[2] -الزبيدي، د. وليد جاسم، **فنتازيا النص في كتابات وفاء عبد الرزاق،** (أستراليا: مؤسسة المثقف العربي، ط1، 2015م)، ص: 9.

[3] -الطائي، د. أثير، وفاء عبد الرزاق شامخة كالنخيل ومبدعة بحروفها العربية، تاريخ النشر: 28 نوفمبر 2011م، http://www.ankawa.com/forum/index.php?topic=546181.0، تاريخ الزيارة: 25 نوفمبر 2017م.

طفل، ماء، شجرة.. كل ما يمت للحياة بصلة هو الشعر"[4]. وهي تقول عن أسلوبها في كتابة الشعر "بطبيعتي أحب التحرر ولا أهوى القيود كما لا أهوى من يملي علي شروطه وإن استمعت إليه بصمت، في النتيجة لا أحقق إلا ما أراه مناسبا حسبما أراه أنا..."[5]. ولها رأي خاص بالشعر في تعيين قطعة شعرية شعرا "الشعر ليس بعدد الضربات أو التفعيلات، بل التخيل الذي لا يقف عند حدود معينة"[6].

طريقتها وتوجهها إلى مجال الأدب راقية بكل معناها لأنها تحرك أقلامها المنيرة لأجل الأطفال الذين نسوا الألعاب وحرموا الأثياب وشُرّدوا من وطنهم الأم وفقدوا طفولتهم الجميلة وأصيبوا بأمراض مخيفة مثل السرطان ومرض الإيدز وغيرهما حيث آووا إلى ظلال الجسور أو في كوخهم البالي في حاراتهم التي تنبعث منها الرائحة الكريهة. الأطفال عندها ليسوا محدودين بالمحلّية بل نرى الأطفال الذين ينتمون إلى الدول المتنوعة محاوير كتاباتها الأدبية لأن قلبها يسعى دائما لإفشاء الخيرات والحسنات ولإتيان شؤون المهمّشين في المجتمع من النساء والصبيان. من تعبيرها عما في ذهنها "أمنيتي أن أرى البسمة على شفاه الأطفال المصابين بمرض السرطان في العراق، وفي العالم كله"[7]. قد نجحت الكاتبة في أن تقدم مثالا نموذجيا للمرأة لتتحرر من استبداد المجتمع باسم الجنس من خلال إبداعاتها الشعرية والقصصية والروائية كما أنها قد أكدت حاضرا ومستقبلا للمرأة العراقية وللمرأة العربية في أرجاء العالم. ولم تتحير ولو وهلة في مقاومة التقاليد البالية حيث تحاول أن تجعل المرأة مسيطرة بالقوى السياسية وجادلت أن تحفظها من العبودية الاجتماعية لئلا تواجه المعضلات الدينية والمشاكل الاجتماعية ولتتولد كائنات أخرى بأكمل القوة والهمة. هكذا شاعرتنا تتميز عن باقي الشاعرات في محاولاتها الفريدة متمنية مستقبلا زاهرا لهن في ساحات الأدب والثقافة بدون تمييز باسم الجنس.

---

[4] -الغرباوي، ماجد، **وفاء عبد الرزاق: أفق بين التكثيف والتجريب**، ص: 381.

[5] -المرجع نفسه، ص: 385.

[6] -المرجع نفسه، ص:385.

[7] -الطائي، د. إثير، **وفاء عبد الرزاق شامخة كالنخيل ومبدعة بحروفها العربية**، المرجع السابق.

الاغتراب في مجالها الأدبي:

وفاء عبد الرزاق كاتبة مغتربة والتي ينبض قلبها بالوطنية والأسى والحب على الدوام حيث تحترز قيمتها الأدبية الوارثة من سمرتها البصراوية بالرغم من أنها في قيد الاغترابة منذ وقت طويل. تعيش وفاء عبد الرزاق مغتربة بين ميناءين مختلفي الطبيعة، الأول هو ميناء البصرة مدينة عريقة متسمة بثقافة عالية وحضارة طيبة والثاني هو ميناء لندن مدينة عصرية متصفة بالتحرر الكامل والثقافة الغربية. تتسم الأديبة بكتابتها لأجل إحياء فكرتها من جديد حيث تتحدى الاغتراب قائلة "أنا امرأة لا يغيب عنها وجه وطنها وشعبها، تغيب كل الوجوه ويبقي الوطن حاضرا. من خلال هذا الحضور أكتب كي أحيا من جديد وأتحدى الاغتراب"[8].

لا يزال يقف أكثر العراقيين اللاجئين إلى البلدان الخارجية على ضفة الأمل حيث ينتظرون حياة جميلة وصباحا جديدا في العراق بالرغم من أنهم لصقوا بجو البلدان الغربية. ولا نستطيع أن نتجاهل عن رغبتهم الجامحة للعودة إلى وطنهم حتى يريدون أن يرجعوا ببطاقاتهم الجديدة إلى أهلها وأن يلصقوا جميعا إلى وطنهم الأم. ومن الجدير بالذكر هنا، أن الاغتراب قد جمعهم على منصة واحدة بفكرة وحيدة تدور حول الهموم والأمنيات، وحرّضهم على التأمل بالوطن وشعبه. ودرسوا من هذا الاغتراب قيمة التسامح والإنسانية ويقومون كقامة عظيمة ضد القومية والطائفية اللتين ظهرت أنيابهما في مجتمعنا هذا أشدّ ممّا كان في الزمن الماضي. وفي قول محمد سعيد حيث يقول إنه وجد الآن عدم رجوع لسندباد البحري[9] إلى بغداد بل رغب أن يعيش بعيدا عن وطنه أن يقضي ما تبقى من حياته في بلد آخر يسمحه الدفء والطمأنينة والسلام هكذا الآن بعض من المفكرين العراقيين اللاجئين إلى البلدان الغربية لا يريدون الرجوع إلى وطنهم الممتلئ بالجور والظلم "لكن هل يكفي هذا لنطلب من الآخرين

[8] -الطائي، نور كريم، **الشاعرة والروائية العراقية وفاء عبد الرزاق**، تاريخ النشر: 23 يوليو 2016م، http://www.azzaman.com/?p=171139، تاريخ الزيارة: 19 يناير 2017م.

[9] -هو شخصية خيالية وكان بحارا من مدينة البصرة العراقية. تعتبر حكاية السندباد البحري واحدة من أشهر حكايات ألف ليلة وليلة التي تدور أحداثها في الشرق الأوسط حيث زار عدة الأماكن السحرية والتقى بالكثير من الوحوش أثناء أبحاره في سواحل إفريقيا الشرقية وجنوب آسيا.

العودة، ممن لم يقتنعوا بحكمة سندباد وفضلوا البقاء بعيدا عن عتمة الوطن وحرائقه، وما خلفته الحروب على وجهه من ندوب وأحزان، هل من حق أحد أن يرغم هؤلاء على العودة"[10].

أما الحالة البائسة السائدة في العراق فلا تزال تمنع أدبائه المغتربين من عودتهم إلى وطنهم الأم حيث لا نستطيع أن نجبرهم عليها لأنهم هربوا من حرائق الوطن ولجأوا إلى جبل من البعد يعصمهم من طوفان الكراهية التي تعصف بالعراق. والعودة إلى الوطن من برودة المنفى بالنسبة إلى العراقيين اللاجئين حلم من الأمنيات المذبوحة حيث يضمون إلى صدورهم الذكريات الحلوة والطفولة الجميلة حتى يتمنون يوما يستطيعون فيه القدوم إليه، كما قال علي محمد سعيد "ولعل الأيام القادمة ستشهد عودة السندباد العراقي من شتى بقاع الله إلى حبيبته بغداد"[11]. وضعت الكاتبة في غربتها بلندن:

الرياحُ الأربع لا تنشرُ الحياةَ
أتركْ رداءَكَ
أوشكتُ أن أغيب
أسلمتُ أيّامي لوجهك
لي ثلاثُ مقاصير
رحيلٌ ورحيلٌ
ورحيلٌ يحرثه الرحيل
إلى أين ذاهب أنت يا كلكامش؟
من غربة عالقة بالنفس
إلى غربة تنغلقُ عليك
شامخةٌ فيك النخيلُ[12]

[10] -سعيد، علي محمد، **محنة الإنسان العراقي بين البقاء في المنفى والعودة إلى الوطن**، تاريخ النشر: 31 أكتوبر 2008م، http://www.alnoor.se/article.asp?id=34946 ، تاريخ الزيارة: 11 يناير 2018م.

[11] -المرجع نفسه.

[12] -عبد الرزاق، وفاء، **المجموعة الشعرية الكاملة**، (لبنان: دار العارف، 2016م)، ص: 363 -364.

تتخذ الشاعرة العراقية صور حياتها محورا هامّا في أشعارها الاغترابية وتجعل وطنها الأم علامة رئيسية فيها كما أنها كانت تشغف في قرض الأشعار منذ صغرها وتعتقد بأن أدواتها من الحبر والورق وسائط وحيدة لتخفيض المآسي وآلام الغربة في لندن حتى كتبت قصيدة مسماة بـ"حبر وورق":

أغافلُ التاريخَ
أشاغله بحبر عنّابي
أعطيه مفتاحا
وأسقط في اللحظة ضيفا
يترصَّدُ الغائبَ
يُعيدُ الشكَّ..
وأكتشفُ
أنّي مُثقَلة بالحبر.
أسافرُ بين العرق ومسام الجلد
أتحرَّرُ من نقيض الشكل
بين الرعدة والغيمة
أتأرجَحُ
سارقةً شفةَ النسيم
بين التوبة واللّه
أفجّرُ الحُنجرة
وأكتشفُ أنّي مثقلة بالحبر.
بين الهاجس والظنّ أفتحُ شُبّاكا
ألهو برئة أرض بكر
أرمي شراعي في لجِّ التكوين
وأكتشف
أنّي مثقلة بالحبر.
أي هذا الحبر

اخترق قرارَك
ألبسني صورتَك القُدرة
أزح خروجَكَ وأسفر
لعلَّ الأصابع تُدوِّخ حبرَها
إضرب عليّ سورَك
لا أرضى بغير النار سورا
أدمغُ بها ورقي
أجري الرمال الحُبالى
أصيِّرُ
كلَّ رملة سحابةً
أزفّها تحت وطن نجمة
كلَّ مساء للبحر
وأتركه يكتشف[13]

الحنين إلى الوطن:

تركت وفاء عبد الرزاق وطنها الأم وانتقلت إلى الإمارات العربية المتحدة في ستة عشر من عمرها، وبدأت تكتب الأشعار العربية أي الشعر الشعبي في لهجة العراق المحلية منذ تسع سنوات من نعومة أظفارها. وهي تقر بأن قدومها إلى الإمارات كان بداية لمرحلة النضج والنمو بالشكل العام حيث كانت تظهر شغفها الشديد في الرجوع إلى الوطن الذي كانت تعيش فيه حتى تود الشاعرة وطنها وتعبر عما في خاطرها في الحروف والكلمات:

هي روحي لا تعرفُ إلّاك
يا وطنًا ابحثُ عنه اقترب
فأنا امرأتُك المؤجَّلة
تضحكُ

[13] -المرجع نفسه، ص: 298 -299.

حين تقسمُ الطفولةُ[14]

الكاتبة تحتضن الوطن وتشتاق إلى رؤية أهله كما أن من ارتشف كأسا من الغربة لا يزال يطارده القلب الحنين حيث نرى المبدعة الحاضنة في قصيدتها "حوار بين شبرين".

العالم مجرّد شبر
تدلّى من حبله
وقيَّد يدي
التي لم تنل غير تخثّر الفصول.
المنسيَّةُ الملتصقةُ على حائط
يرفض أيّامَه
أنا
وأنا الوطن الذي
نزع وطنَه وتعرَّى للثلج
لا سلطان لي عليّ
يهدمني صداي
وأنا لستُ إليّ.
من ألفين أعصف بين خصمَين
بين نبيّ على صوتي
وربٍّ لم يرض بي ضيفة
ولو على قشَّة شبر[15]

إذا اطلعنا على موقفها تجاه العراق من حيث الوطن وجدنا أن لها رغبة شديدة في اللصوق به ولها حنين خالص له. نفهم من كلماتها الطيبة وردودها الحلوة في هذا الصدد، حينما سُئلت "هل لديك رغبة في إقامة مهرجان شعري في بلدنا العراق؟ فأجابت، طبعا سأقيم وبوُدّي ذلك إذا جاءتني دعوة على إيميلي أو هاتفيا من جهة ثقافية في العراق

[14] -المرجع نفسه، ص: 644.

[15] -المرجع نفسه، ص: 438 -439.

ولكن؟؟؟؟سأترك هذه الـ "لكن" بيد القارئ لعله يكتشف سرها"[16]. وقولها فيما يتعلق بذكرياتها الطيبة مع أسرتها وما تستفيد من مدينة البصرة أيضا "لا أقدم غير الطيب فهو وعائي الذي نشأت عليه وسقتني من مائه أسرتي ومدينتي البصرة"[17].

تجدر الإشارة هنا بأن وفاء عبد الرزاق قد حاولت أن ترفع صوتها لأجل وطنها الأم الذي عاشت فيه حيث تعده أجمل المكان وأبهاه بفضل الولادة. نجد في قصائدها وتأليفاتها الروائية والقصصية هموم شعب وغموم وطن حيث تسيطر على أهلها بصورة الحرب الشاسع والحقد السياسي وظلم لا مثيل له والجور العرضي وغيرها. تكتب الكاتبة هذه الجوانب السياسية والاجتماعية كأنها وُلدت لتحمل هذه المشاكل وتشير مصائب شعب العراق وأحلامهم غير المحققة وهي تحرك الأقلام لأجلهم وعن معاناتهم الفظيعة وخيانات السياسيين حيث كيف يلعبون بهم لأجل معيشتهم بدون الاطلاع على حقدهم وجورهم.

وتتمنى الكاتبة التي غادرت العراق في السادسة عشرة من عمرها، مستقبلا زاهرا لوطنها حيث تتوجه إليه حينما تتحلى بحلى السكينة والحرية الكاملة لكل مواطنيها. نستفيد من ردودها تجاه السؤال عن عودتها إلى العراق والاستقرار والعمل فيه أنها قد واجهت معانات كثيرة في طفولتها ومراهقتها حيث أجابت "إذا رجع العراق الذي تركته وقت طفولتي أرجع مؤكدا، لأني لا أريد أن تتشوه تلك الصورة التي لم تنسها عيون مراهقة في السادسة عشرة حين غادرته"[18].

أما بالنسبة إلى شاعرتنا وكاتبتنا وفاء عبد الرزاق فهي حزينة جدا عن وطنها الأم أينما حلت ونشأت لأن الوطن في قلبها نبضة من نبضات الحياة حيث تعشقه وتتحسر عليه في الآونة الحربية وغيرها من الفتن السياسية وتبتهج له في جل الأوقات السرورية له. ومن ميزاتها المهمة أنها تعالج قضايا الوطن حتى تنعكس صور فجيعة تتواجد في واقعنا المعاصر وتحاول أن تندمج في إبداعاتها المتميزة بصرف النظر عن

[16] -الطائي، د. أثير، **وفاء عبد الرزاق شامخة كالنخيل ومبدعة بحروفها العربية**، المرجع السابق.

[17] -المرجع نفسه.

[18] -المرجع نفسه.

الفنون الأدبية عندها شعرا كان نثرا. فيحسن لي أن آتي بقولها في ما مر "همي الكبير الوطن، بدءً من وطني إلى الوطن الكوني والإنسان أينما كان"[19].

الآن تعتني الجامعات العراقية بإبداعات وفاء عبد الرزاق الأدبية وتهتم بها حتى يصطفي أبناؤها لكي يبحثوا عنها ويحللوها كمواضيع لأطاريحهم الجامعية في دورة الماجستير أو مرحلة الدكتوراه. ومن بين الجامعات العراقية التي تهتم بشأنها الأدبي ومنجزاتها العربية جامعة واسط والواصل وتكريت وبغداد. ومن الجدير بالذكر هنا أن الدكتور علي عبد المجيد من جامعة بغداد قد قام بترجمة قصصها إلى اللغة الألمانية بالرغم من أن الترجمات لأعمالها قد تمت إلى اللغات المتعددة مثل الإنجليزية والفرنسية. ولها آراء عديدة وأفكار عميقة عن الاغتراب والمنفى والوطن الذي ولدت فيه حيث تجعل المنفى كفرصة عظيمة لتطلع على الثقافات العديدة والحضارات المتنوعة ولتكتب مزيدا عنها وتلقي في ميزانها العقلي والفكري ولتقارنها بثقافات العرب وما إلى ذلك. وهي تقول عن الغربة "الغربة لا تنصف بل تحفز على الكتابة وتثري كتاباتنا خاصة من ناحية التعرف على حضارات وثقافات أخرى تضيف لتجربتنا"[20].

قلب وفاء المغتربة دائما معلّق بعطور الماضي والتاريخ والحضارة العراقية العريقة حيث لا تزال تبدع عن وطنها المحب، فعلينا أن نصغي إلى حروفها ونصمت إلى كلماتها بأذن القلب ونقرأ نصوصها الإبداعية بعين الروح لنجد ما عندها من الفكرة لأنها لا تزال تعالج قضايا الأرواح العراقية المتمردة ومشاكلها العويصة، كما أنها تقوم بسرد الآلام العنيفة والمآسي الإنسانية داخل العراق وخارجه.

لا يمكن للكاتبة أن تبتعد عن وطنها الذي ولدت وترعرعت فيه كلّما تحرك قلمها باللغة العربية الفصحى أو العربية الدارجة في قالب نثري أو شعري عبر واحد من أنواع الفنون الأدبية مثل رواية وشعر. ولا يزال قلبها يرتبط بما في العراق من الذكريات الجميلة في الطفولة وإن بعدت المسافات بينه ولندن وإن لم تقم فيه بجسدها. إذا توغلنا في كتابات وفاء عبد الرزاق فنصل إلى أنها تتحدّث دائما عن العراق وتعالج الإنسان

[19] -الطائي، نور كريم، **الشاعرة والروائية العراقية وفاء عبد الرزاق**، المرجع السابق.

[20] -المرجع نفسه.

كمحور أساسي وما يقع في واقعه الموصوف بالعذاب والألم كما أنها تقوم ببيان الحروب ونتائجها الشنيعة وكيف تأتي على الأخضر واليابس فيه.

خاتمة البحث:

في الجملة، فإن وفاء عبد الرزاق امرأة لا يغيب عنها وجه وطنها وشعبها أينما حلت واستوطنت، ونبضات قلبها لا تزال تعطش لصلاحية وطنها واستقامتها ولتحقيق أمنيات شعب العراق ورغباتهم. إبداع الكاتبة لا نستطيع أن نجزئه عن الواقع الذي فيه العراق وتهتم بهويتها لئلا تصير هوية فارغة المشاعر برغم نظرها الأشياء والأحداث ووزنها في ميزان الاجتماع والعدالة. تشمّر الأديبة أن تجعل العراق مثالا نموذجيا بين بلدان العالم لتأكيد السلام والتسامح والتعايش السلمي وتتمنى أن يتحقّق قريبا حلمُها في هذا الصدد بالرغم من أن فيه ديانات متنوعة وثقافات مختلفة ونظريات شتى لكي يصير منبعا ومنهلا للأدب الكوني النموذجي.

المصادر والمراجع:

- الورقي، د. السعيد، اتجاهات الرواية العربية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، 2014م.
- الزبيدي، د. وليد جاسم، فنتازيا النص في كتابات وفاء عبد الرزاق، أستراليا، مؤسسة المثقف العربي، 2015م.
- الغرباوي، ماجد، "وفاء عبد الرزاق: أفق بين التكثيف والتجريب، أستراليا، مؤسسة المثقف العربي، 2011م.
- عبد الرزاق، وفاء، المجموعة الشعرية الكاملة، لبنان، دار العارف، 2016م.
- http://www.alnoor.se
- http://www.ankawa.com
- https://www.azzaman.com

البارسي في الرحلات العربية

د. محمد عفان *
Email: affanbgsbu@gmail.com

ملخص البحث:

لفتت طائفة البارسيين التي لا تعدو أن تكون حفنة بشرية في الهند المعروفة لكثافتها السكانية أنظار غالبية الرحالين العرب. فكل من فتح الله أنطاكي وأمينة السعيد ونوال السعداوي ومحمد المخزنجي وناصر العبودي يقفون لدى هذه الجماعة، وذلك لسببين رئيسيين؛ نجاحها الباهر في مجال الاقتصاد، وطريقتها في "تدفين" الميت. إن لهذه الطائفة دورا مهما في تصنيع الهند، وتحويل مدينة ممبئي إلى عاصمة اقتصادية، بالإضافة إلى أولويات في مجالات علمية وثقافية واجتماعية أخرى. أما رغبة الاطلاع على طقوس تدفين الميت أو التخلص منهم عبر "الدوخمات" أو أبراج الصمت فتثير فضول أغلبية السائحين. ولكن ليس هذان السببان وحدهما يستوقفانهم، بل إلى جانب ذلك هم يتعرضون لجميع ما يمسهم من معتقدات وسلوك وأعراف وطقوس. فقد تناولوا بالذكر الزرادشتية، ونبيها، وتوجيهاتها الدينية، ومبادئها الأخلاقية، وهجرة أتباعها إلى الهند، ثم انخراطهم في المجتمع الهندي مع احتفاظ بخصائصهم الإثنية، وإن اختلفوا فيما بينهم حسب نزعاتهم وميولهم وتجاربهم في إيجاز البيان وتفصيله.

كلمات مفتاحية: أبراج الصمت، الاقتصاد، البارسي، الرحلات، زرادشت، الهند.

Abstract:

The Parsis who are no more than a handful in India known for its population density, has attracted the attention of the majority of Arab writers who came to India and recorded their observations and impressions. Whether it is Fathallah Antaki or Amina Al-Saeed or Nawal Al-Saadawi or Mohammed Al-Makhzanji or Nasser Al-Aboudi almost all of them deal with this community, and that is basically for two main reasons: their outstanding success in the field of economy and their way of "burying" the dead. This community played very important role in enriching modern India. They transformed the city of Mumbai into

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة غلام شاه بادشاه، راجوري، جامو وكشمير، الهند.

financial capital. Besides they have several firsts in different scientific, cultural and social fields. As for the intense desire to see the rituals of burying the dead or disposing of them through "dokhma" or the towers of silence, it raises the curiosity of the majority of travellers. But these are not the only aspects that attract them; they also deal with their beliefs, moral values, customs and rituals. They mention Zoroastrianism, its prophet, its belief system, its moral principles, the migration of its followers to India, and their assimilation in Indian society while retaining their ethnic characteristics, though they differ in depiction according to their tendencies and experiences.

مقدمة:

هنا في بلادنا الهند، طائفة دينية عرقية ممتازة، هي في أقلية قليلة، جاءت مهاجرة إلى الهند قبل ألف سنة وأكثر، لأغراض تجارية ودينية، وذابت في المجتمع الهندي ذوبان السكر في الحليب، مساهمة في تحلية الحياة الهندية وتجميلها، مع احتفاظ بامتيازها العرقي، وموروثها العقدي والثقافي، في خضم الديانات والثقافات والفلسفات، حتى آن أوان صار بعض عطاءاتها أثاث كل بيت، وزينة كل شارع. ألا يعلم كلنا العلمين "غودريج" و"تاتا"؟ بلى! وإنه قد تقرر بين العامة أن يسمى كل دولاب حديد مهما كانت صناعته وإنتاجه ونوعه وماركته "غودريجا"...

هي طائفة "البارسيين" كما يسمون نسبة إلى موطنهم الأصلي "فارس"، أتباع الديانة الآفستية، أو المزدية" أو "الزرادشتية" كما اصطلح عليها الأوربيون ومعهم العالم فيما بعد، أو "المجوسية" التي راجت بين المسلمين رواجا أكثر من غيرها من الأسماء، أو "مزدا يسنا" التسمية التي يصر على استخدامها الأستاذة صبر. ج. هافيوالا لأن مصطلح الزرادشتية في رأيها "يفشل في بيان مبادئ هذه الديانة العظيمة وأهدافها وفلسفتها"[1] أو عبدة النار نظرا لقداستها عندهم وتقديسهم إياها.

يشكل البارسيون أقل من 0.007٪ من مجمل سكان الهند ولكن إسهاماتهم أكثر بكثير مقابل عددهم. كان دور هذه الطائفة الصغيرة في إثراء الهند المعاصرة ملموسا، وشملت إسهاماتهم مجالات التجارة والصناعة والقانون والأدب والدفاع

[1] -البروفيسور صبر ج. هافيوالا،"**مزدا يسنا [Mazda Yasna]** (ديانة يعتنقها البارسيون الهنود الزرادشتيون الإيرانيون) **ثقافة الهند**، أبريل -يونيو 2017م، المجلد: 68، العدد:2، ص:172.

والنضال الوطني والموسيقى والعلوم النووية؛ تخصصت "تاتاز" و"غودريجيز" و"وادياز" في بناء الصناعة الحديثة، ونال الدكتور هومي بهابها لقب أب البرنامج النووي، واشتهر المشير سام هورموسوجي فرامجي جمشيد جي مانيكشاؤ في مجال الدفاع، وناني بالكي والا وفيروز شاه مهتا وسولي سورابجي في مجال المحاماة، وزوبين مهتا وباناز ماساني في مجال الموسيقى والغزل والطرب، ومادام كاما وشابورجي شاكلاتوالا وكابتان بيرين نوروجي وإيم. ب. غودريج وجهانغير باتيل وغيرهم في ميدان الكفاح لتحرير البلاد، وفروخ دهوندي وبابسي سيدهوا في الأدب.

الديانة الزرادشتية:

البارسيون هم أتباع "الزرادشتية"، ديانة قديمة يرجع تاريخ ظهورها إلى ما قبل الميلاد بقرون وألفيات، ولتقادم الزمن يحيطها ويحيط نبيها زرادشت (زراشوسترا) غموض دعا بعض الباحثين إلى أن ينكروا وجود زرادشت أصلا؛ يقول أحمد أمين: "وقد كان وجود زرادشت نفسه موضع شك عند كثيرين، وموضع جدل طويل بين النافين والمثبتين، واختلف المثبتون في تاريخ وجوده على أقوال تتردد بين سنة 6000 قبل الميلاد و600 ق. م. وقد ألف الأستاذ "جاكسن Jackson" كتابا قيما في حياته كان له أثر كبير في ترجيح كفة المثبتين لوجوده، وقد وصل بحثه إلى أن زردشت شخص تاريخي لا خرافي، وأنه كان من قبيلة ميديا (في الجزء الغربي الشمالي من فارس)، وأنه ظهر أمره نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد، ومات نحو سنة 583 ق. م بعد أن عمر 77 سنة، وأن موطنه كان آذربيجان، لكن أول نجاح ناله كان في بلخ، وعلى أثر دخول الملك "بشتاسب" في دينه، وأن دينه انتشر في بلخ إلى فارس كلها"[2]. ولكن إذا كانت التحقيقات القديمة تضع حياة زرادشت ما بين 6000 و600 قبل الميلاد، ترى التقديرات الحديثة أن الأرجح والأصوب وجوده في الفترة ما بين 1500 و1000 ق. م.[3].

يعتبر زرادشت من أهم الشخصيّات الدينية والإصلاحية والأخلاقية التي أثرت على مجرى الحياة الروحية والإنسانية والحضارية في العالم. وظلت الزرادشتية مزدهرة كديني رسمي للفرس عبر ثلاث إمبراطوريات فارسية عظيمة؛ الأخمينية (550-330

[2] -أمين، أحمد، **فجر الإسلام**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2004م)، ص: 103.

[3] - A Study of World's Major Religions, Farida Khanam, Chaus Publishing Company, Aurangabad, 2014, P: 256

ق.م.) والبارثية (247 ق.م.-224م) والساسانية (224م-651م)، إلى أن كان الفتح الإسلامي في عام 637م الذي يعتقد أن الديانة اختفت بعده تقريبا من أرض مولدها"[4]. اعتنق أكثر أتباعها الإسلام، ولم يبق منهم على الدين القديم إلا القليل، ومنهم من هاجر إلى بلدان ومناطق أخرى لتصير الهند بينها موطن أكبر تجمع لهذه الجالية في العالم.

أما ما يتعلق بأساسيات هذه الديانة ومبادئها فهي ابتدأت بالتوحيد، الإيمان بـ"أهورامزدا" (إله النور والحكمة) خالق كل شيء، ومصدر كل خير وجمال في العالم، ثم تطورت إلى الثنائية، ظهر فيها "أهريمان" كإله الشر، ومصدر كل ظلم وظلام؛ هو من صميم ذات أهورامزدا وليس منه، وبين الإلهين صراع مستمر ينتهي آخر الأمر بانتصار أهورامزدا على أهريمان. وعلى المؤمن أن يعاون أهورامزدا بالأعمال الصالحة ليحظى برضاه، وبالعيشة الراضية بعد الموت.. أما الذي يعاون أهريمان من خلال أعماله السيئة فتنتظره عواقب وخيمة.

الزرادشتية تؤكد على الخيارات الأخلاقية، ووفقا لها المرء مخير غير مسير، حر الإرادة إن شاء أطاع إله الخير، وقام بالعمل الصالح، أو خضع لأهريمان، واستسلم لنوازع الشر، وانغمس في الأعمال السيئة، ومن ثم هو المسؤول عن أعماله. الخير للذين يعملون الخير، أما القائمون بسوء الأعمال فساء سبيلهم وساء مصيرهم. وهذه الأخلاقيات الزرادشتية تجمعها ثلاث كلمات أفستية (هماتا وهوكهاتا وهفارشتا)؛ النوايا الصالحة، والكلمات الطيبة والأعمال الطيبة.

كذلك توجد في هذا الدين تصورات البعث والعقاب و"الصراط" والجنة والنار. بعد أن يموت الإنسان تبقى روحه في حماية "الملك سروش يزد" لثلاثة أيام، واليوم الرابع هي تمر "بالصراط" أو "شيناوات"حيث يتم محاسبتها ومحاكمتها. الأرواح الخيرة تدخل الجنة، بينما الأرواح الشريرة تدخل مكانا مخصوصا للعقاب. وسيقوم البعث الذي يأتي بعده في الوجود عالم جديد خال من الشرور- وفي التعبير القرآني "لا لغو فيها ولا تأثيم" -تنعم فيه روح المؤمن الصالح بالحياة السعيدة الخالدة في ظلال رحمة ربها الكريم.

---

[4] Ibid: P: 256-

كما للزرادشتين عبادات وشعائر ومراسم، منها ما يخص الحياة اليومية، ومنها ما يتعلق بالمحطات الحياتية المهمة. معبد النار هو أقدس الأمكنة لديهم حيث يقوم السدنة بترتيل وتلاوة الصلوات والأدعية ليلا ونهارا، كما يقومون بالصلاة عدة مرات في اليوم. كما للطهارة أهمية بالغة في هذه الديانة، بل هي عبادة، وهي تشمل الإنسان وما حوله من كائنات. ويعتبر طقس "باريشنم" من أعظم وأهم مراسيم الطهارة والتطهير. كما تحمل العناصر الأربعة من ماء وهواء ونار وأرض القداسة، فلا يجوز تنجيسها بصورة ما، وإن فاقت النار دون العناصر الأخرى في قداستها لأنها رمز الطهارة المطلقة والنقاء الخالص والصفاء المجرد. كذلك يعتبر "نافجوت" أو التعميد من أهم طقوس هذه الطائفة، فبعد أداءه وحده يكون الفرد المولود فيها عضوا حقيقيا منها. ويتم القيام بمراسمه قبل أن يبلغ الطفل حلمه، يلبس فيه الطفل "السدرة" (الصديرية) التي تكون لاصقة بأعلى جسمه و"كوشتي" (المصنوع من 72 خيطا من الصوف الجيد يرمز إلى 72 بابا من الكتاب المقدس أفيستا) الذي يلفه حول خصره، ويقوم الزرادشتي بفكه ولفه مرات عديدة كل يوم لتذكير نفسه بالشعائر والأوامر الدينية. ومن مراسيمها المهمة أيضا ما يتعلق بالميت وتدفينه أو التخلص منه. يعتبر جثمان الميت نجسا منجسا يجب التخلص منه بصورة لا تؤثر في العناصر الأخرى، فيوضع على "الدوخما" أو "برج الصمت" ليلتهمه جوارح الطيور، وما يبقى من عظام تعمل فيها الشمس والمطر وتقلبات الفصول فيحيلها إلى كلس ورفات فيتحلل وينزل من منافذ شبكية إلى آبار ذات حصايا ورمال هي تستبقي البقايا وتدع سواها تخرخ من مسارب إلى البحار والأنهار.

من إيران إلى الهند:

ربما وجد الزرادشتيون في أرجاء شبه القارة الهندية قبل هجرتهم التاريخية إليها بعد الفتح الإسلامي، ولكن التاريخ الحقيقي لتواجد هذه الطائفة في الهند يبدأ من القرن الثامن الميلادي. ولعلها تجمعت هنا خلال هجرات عديدة طريقها البحر ووسيلتها السفن الصغيرة. والحقيقة أنه يصعب اليوم ترميم كل السياق التاريخي، خاصة أنّ المستند الرئيسي لتاريخ هذه الهجرة ليس كتاب تاريخ، بل كتاب شعر، قصيدة طويلة

للشاعر البارسي بهمان كاي كوباد نهاية القرن السادس عشر، وضعت بالفارسية، ونقلت إلى اللغات الهندية الأخرى.

يعرف كتاب الشعر هذا بـ"قصة سنجان"، قصة الهجرة من إيران إلى سنجان في الهند. يتحدّث الشاعر عن ثلاثة محن كبرى منيت بها ديانة زردشت عبر التاريخ: غزو الإسكندر المقدوني، وفتنة ماني، والعصر الإسلامي.

حسب قصة سانجان "Qissa-i Sanjan " إن أول قدوم كان من منطقة "خراسان الكبرى"، ومنح المهاجرون منهم الإذن بالإقامة في غوجرات من قبل الحاكم المحلي جادي رانا شرط تبنيهم للغة المحلية (الغوجراتية)، وبشرط تبني نسائهم للباس المحلي (الساري)، وبشرط تخليهم عن حمل السلاح[5]. وتجدر الإشارة إلى أن لقصة سانجان دورا مهما في تشكيل هوية البارسيين في الهند كطبقة عرقية مستقلة.

أما عن أسباب الهجرة فتختلف فيها الآراء. الرأى العام هو أنهم هاجروا خوفا من الاضطهاد الديني حفظا لعقائدهم وصونا لكرامتهم، ولكن هناك من يرى أن الاضطهاد الديني قد يكون سببا من الأسباب لا كل الأسباب، ولا يمكن استبعاد الدوافع التجارية أصلا... نتائج التحقيقات الناتجة عن الحفريات تدل على أن المهاجرين كانوا من التجار، وعلى علم بطرق التجارة، والمكان الذي اختاروه للإقامة كان مركزا تجاريا حيويا[6]. على أية حال بعدما أقاموا بالهند جعلوها دارهم ووطنهم، وعرفوا بالبارسيين، ويعيشون هنا منذ 1300 سنة كجزء لا يتجزأ من المجتمع الهندي مساهمين في تقدمه الاقتصادي والاجتماعي.

البارسي في الهند والعالم:

يقدر عدد البارسيين بستين أو سبعين ألف نسمة في الهند أو ما يقاربهما، بينما يقال إن عددهم عبر العالم حوالي 190000 نسمة. فهم يقيمون الآن بشكل رئيسي في إيران والهند، في حين أن هناك أعدادا منهم قليلة في باكستان وأفغانستان وآذربائجان،

[5] -وسام سعادة، **البارسيون: زردشتيو الهند ورواد التصنيع والتحديث وعبادة النار فيها**، رصيف 22 https://raseef22.com/ تاريخ النشر: 28 يناير 2017م، تاريخ الزيارة: 15 أكتوبر 2018م.

[6] -راجع: World's Smallest Business Community, Reshmi Lahiri Roy, International Journal of Interdisciplinary social sciences, vol. 6, no: 2, http://hdl.handle.net/10536/DRO/DU:30041789

وفي أجزاء من شمال أمريكا والمملكة المتحدة والمنطقة الأقيانوسية وسنغافورة. ووفقاً لتقديرات مسح Survey Fezana Journal (وهو اتحاد للجمعيات الزرادشتية لأمريكا الشمالية) لعام 2004، تضاءل عدد الزردشتين عبر العالم إلى حوالي 190000[7]. وعدد البارسيين في تناقص مستمر بصورة مقلقة لأسباب عديدة، فوفقا لتقرير يونسكو يتناقص عدد البارسيين في الهند بنسبة 10 ٪ في إحصاء كل عشر سنوات[8].

البارسي والتحديث والتصنيع:

عاش البارسيون في غوجرات وضواحيها "نافساري" و"بروش" و"كامبي" و"اوروادا" و"سورات" لحقب طويلة. وخلال القرن السادس عشر والسابع عشر كانت سورات مركزا تجاريا مهما للبرتغاليين والإنجليز والمغول، وهكذا وفرت هذه المنطقة فرصا للبارسيين ليتمركزوا فيها وفي ما جاورها نافساري ويقوموا بالتجارة... وخلال نفس الفترة، سنحت للبارسيين وخاصة المنتمين منهم إلى مدينة سورات حيث كان لشركة الهند الشرقية حضور ملموس فرصة نادرة للعمل كوسطاء بين بلاط مغل والتجار الأوروبين؛ إنجليز وبرتغاليين، وأمكن للبارسيين من هذه الوساطة معرفتهم لغة المغول أي الفارسية فضلا عن بعدهم عن العوائق الدينية والاجتماعية المتمثلة في أفكار وتصورات النجاسة والتدنس من جراء الاقتراب من الأجانب كما كان المتصور والمعمول في الهندوس. هذا الاحتكاك والتعامل مع البرتغاليين والإنجليز جاء بالبارسيين إلى مامباي في أوائل القرن السابع عشر .

مومباي مدينة الزحام والأحلام والأفلام قبل أن تمسها عصا الإنجليز السحرية وتحولها إلى ما هي الآن كانت جزرا، وقصة صعود مامباي هي قصة طلوع نجم البارسيين. وعلى لسان محمد المخزنجي: "ومع صعود المدينة البارق من وهاد الجزر إلى قمة الاقتصاد الهندي، صعد المجوس بسرعة صاروخية قبل أن تكتشف الصواريخ"[9].

---

[7] A Study of World's Major Religions, Farida Khanam, P: 274-

[8] Ibid, P: 275-

[9] -المخزنجي، محمد، **جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى**، (القاهرة: دار الشروق، 2011م)، ص: 371.

استغل البارسيون على أحسن وجه الإمكانيات والفرص التي وفر لهم هذا الاحتكاك؛ نهلوا من الثقافة الغربية وعبوا منها، كما استفادوا من الفرص التجارية، وتحولوا منذ القرن التاسع عشر الأكثر طائفة هندية على النمط الغربي، بل الإنكليزي في معاشها اليومي، وكوزموبوليتية في انتمائها إلى فضاء مدينيّ هو بومباي. وهكذا يشكل البارسيون إحدى الجماعات الأكثر ثراء، وتتركز فيهم مجموعة من أكبر العائلات الصناعية. ولا يمكن الحديث عنهم دون إغفال تصدرهم للثورة التصنيعية في البلاد، فإليهم يرجع فضل تحويل مومباي إلى عاصمة اقتصادية لجنوب آسيا[10].

يسجل للبارسيين في الهند عديد من الأوليات والإنجازات التي ساهمت في تنمية الهند اقتصاديا واجتماعيا، ومن أهم الأوليات التي ارتبط بها اسمهم، إنشاء بورصة بومباي في عام 1875 (أول بورصة في آسيا)، ومصنع تاتا للحديد والصلب (أول مصنع الصلب في الهند)، والبنك المركزي الهندي (أول بنك هندي)، وأول شركة طيران (طيران الهند)، وفندق تاج محل (أول فندق خمس نجوم، وأول مستشفى عام، كذلك أول مستشفى الحيوان.

هذه هي القصة الوجيزة لهذه الطائفة الصغيرة؛ لموطنها ونشأتها في إيران، ومعتقداتها وطقوسها، وهجرتها إلى الهند واستيطانها، وتميزها، ومكاسبها وإنجازاتها. ويسجل الرحالون العرب جميع هذه الجوانب والملامح في رحلاتهم.

البارسي في الرحلات العربية:

استرعت هذه الطائفة انتباه معظم الرحالين العرب إلى الهند، ودفعتهم إلى أن يتحدثوا عنها ولو اقتضابا، في جملة أو جملتين. بينما حصلت هذه الرحلات في فترات مختلفة تمتد إلى قرن ونصف تقريبا بداية من "الهند كما رأيتها" لفتح اللّه أنطاكي، و"مشاهدات في الهند" لأمينة السعيد في الأربعينيات قبل انقسام الهند، مرورا بـ"حول العالم في 200 يوم" لأنيس منصور في الستينيات، و"رحلاتي في العالم" لنوال السعداوي في السبعينيات، وصولا إلى "جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى" لمحمد المخزنجي و"في غرب

[10] https://raseef22.com/life/2017/01/28-

الهند: مشاهدات وأحاديث في شؤون المسلمين" لناصر العبودي في الثمانينيات. أما الاحتكاك بهذه الطائفة والتعامل معها ومشاهدتها عن كثب، فربما لم يسنح ذلك لمنصور فجاء كلامه على هامش حديثه عن المخاطر المزعوم أكثرها في الهند...أما زملاؤه الرحالون الآخرون فعرفوها معرفة دراسة ومشاهدة، وسجلوها حسب أذواقهم واهتماماتهم الخاصة، فبينما ينصب اهتمام أمينة السعيد على وضع المرأة البارسية، يثير "برج الصمت" فضول ناصر العبودي ومحمد المخزنجي كليهما، وعلى حين يفشل العبودي في إرواء فضوله، ويرتد خائبا شاكيا من الأبواب الحديدية الضخمة، ينجح المخزنجي في اختراق الأسوار وإن آل مصيره آخر الآمر إلى ما آل إليه مصير ناصر العبودي؛ وجد في وجهه آخر الأبواب الحديدية...إذ لا يجوز لغير البارسي النظر إلى النار المقدسة. في جانب آخر يتقابل كل من فتح الله أنطاكي ومحمد المخزنجي في الحديث عن هذه الطائفة بشيء من التفصيل: عن معتقداتها وطقوسها وتقاليدها، باختلاف يسير حيث تجذب طفولة البارسي والطقوس الخاصة بها عناية الأنطاكي، ويستوقف الموت وما يصاحبه من مراسم نظر محمد المخزنجي...

أما الشيء اللافت للنظر الذي جذب اهتمام الرحالين العرب بهذه الطائفة دون الطوائف والجماعات الهندية الكثيرة، الصغيرة منها والكبيرة، فحديث محمد المخزنجي قد يقدم لنا الكلمات المفتاحية لمعرفة هذه الطائفة. يقول: ..."الذي استوقفني وأثار فضولي في الزرادشتيين "المجوس" شيئان: أولهما هذا النجاح اللافت للانتباه في التجارة والصناعة ومن ثم مراكمة الثروات والتميز الاجتماعي الخارق للعادة، وثانيهما ما يتعلق بالطقوس، خاصة معابد النار، وطريقة دفن موتاهم.. في بطون جوارح الطير![11].. وفي رأينا ينسحب نفس السببين المذكورين على الرحالين الآخرين. فيقول فتح الأنطاكي في موضع من كتابه "الهند كما رأيتها": ... والفرس ويبلغ عددهم مئة ألف نسمة وقد عرفوا بالاقتصاد والنشاط في جمع المال... ويقول في موضع آخر: "يعد عبدة الشمس والنار أو المجوس من أنشط وأذكى التجار في الهند، وكثير منهم حازوا المناصب السامية والمراكز العالية في الإمبراطورية وفيهم عدد كبير من النوابغ الذين

[11] -المخزنجي، **جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى**، ص: 370.

حازوا أرفع الأوسمة والرتب الإنجليزية كالسردينشوا باتت والسر جيجيبوي والسر تاتا المحسن الكبير الذي أنشا أعظم معهد هندي للأبحاث العلمية.

والزردشتيون قوم متمدنون اقتبسوا كثيرا من المدنية الغربية وأولادهم مثقفون تثقيفا تاما ويسافر سنويا لطلب العلم في أرقى الجامعات الإنجليزية في لندن عدد كبير من أبناء الأغنياء والمتوسطي الحال منهم"[12].

وتقول أمينة السعيد: "وهناك طائفة أخرى قليلة العدد عظيمة القوة والنفوذ في الهند وهم البارسي أو عبدة النار الذين يعيشون في بمباي، ويسيطرون على التجارة والصناعة ودور المال. وقد أتقنوا هذه النواحي، وبرعوا فيها، فأصابوا من المال ما لا يحصى ولا يعد، وامتلكوا أعظم مصانع البلاد، وأكبر شركات الطيران والتصدير والفنادق فيها... إن "البارسي" أو عبدة النار في الهند فئة صغيرة إذا قيست بالمسلمين والهندوس، مع ذلك فهي طائفة هامة لا يصح إغفال شأنها، لمهارة أفرادها، وتفوقهم في ميادين التجارة والصناعة؛ فدانت لهم كنوز البلاد واقتنوا ثروات لا تحصى أموالها ولا تعد"[13].

أما نوال السعداوي فبينما هي سائرة في شارع من شوراع مدراس (تشينائي الآن) يجذب نظرها ماركة خاصة على اللوريات: "لاحظت أن معظم هذه اللوريات تحمل اسم "تاتا"، وسألت: من هو "تاتا"؟ فعرفته أنه مليونير هندي يملك اللوريات والفنادق وعددا من الشركات والمشروعات التجارية والصناعية في الهند. في كل مكان في الهند لا بد أن ترى اسم تاتا فوق أي شيء"[14].

هذا عن المكانة الاقتصادية والاجتماعية لهذه الطائفة. أما عن الجانب الآخر، أي ما يتعلق بطقوس الموت: فيقول أنيس منصور في إشارة خاطفة:.. "ومن الأجسام الحية والأجسام الميتة التي تحرم بعض الديانات الهندية دفنها، وإنما تتركها للصقور والنسور تمزقها وتأكلها وتطير بها.. أو تطير ببقاياها..."[15].

---

[12] -أنطاكي، فتح الله، **الهند كما رأيتها**،(مصر: مطبعة وديع أبو فيصل،د.ت)، ص: 42.

[13] -السعيد، أمينة، **مشاهدات في الهند**، (القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، 1946م)، ص: 39.

[14] -السعداوي، نوال، **رحلاتي في العالم**،(المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017م)، ص: 142.

[15] -منصور، أنيس، **حول العالم في 200 يوم**، (القاهرة: دار الشروق، 2002م)، ص: 37.

ويقول ناصر العبودي:.."وعادتهم إذا مات الميت منهم ألا يدفنوه كما يفعل المسلمون، ولا يحرقونه كما يفعل الهندوكيون، وإنما يلقون به في بئر في هذا المكان فتأتي إليه طيور جارحة قد اعتادت على ذلك فتقضي على جثته تمزقها وتنهشها حتى تدعها عظاما ما عليها لحم أو عصب"[16].

وأما نوال السعداوي فتصف ما رأت وسمعت على النحو التالي: "وهناك مجموعة "الفارسيين" وهم الذين يعبدون النار، ويعلقون جثث موتاهم في شجرة لتأكلها طيور معينة، اسمها "قالتشرز". في بومباي أخذنا أحد هؤلاء الفارسيين لنرى كيف تأكل الطيور الجثث. لم نر إلا الطيور الجائعة المفزعة تهبط فوق "برج الصمت". إنه برج عال بني خصيصا في وسط المدينة لتوضع فوق قمته جثث الموتى وتترك الطيور لتأكلها. داخل البرج بئر عميق تسقط فيه العظام بعد أن تتركها الطيور، وتذوب هذه العظام في حامض معين داخل البئر لتتلاشى تماما"[17]. ويبدو من دراسة الرحلات المذكورة أعلاها أن كلا من ناصر العبودي ونوال السعداوي ومحمد المخزنجي زاروا "دونجيروادي" أو المكان الذي يقع فيه أبراج الصمت. ونحن نؤخر الحديث عن المخزنجي لأن مغامراته لأجل استنطاق أبراج الصمت يقتضي شيئا من التريث والتفصيل.

المرأة البارسية:

بالإضافة إلى ما أسلفنا نجد جوانب أخرى لحياة البارسيين تستلفت الرحالين، وعلى رأسها وضع المرأة. فالمرأة البارسية تستوقف كلا من فتح الله أنطاكي وأمينة السعيدة بملامحها وثقافتها ومكانتها وسلوكياتها. وما يجمع بين الكاتبين أن كليهما يشيران بنبرة شاكية إلى مظاهر التغرب في نساء هذه الطائفة، بل إن انطباعات أمينة السعيد عنها تصل حد التحامل والحكم الذي لا تؤيده الحقائق.

يقول فتح الله أنطاكي متحدثا عن الجمال الذي يتميز بها البارسيون رجالا ونساء: "وقد اشتهر المجوس بجمال الخلق ورشاقة القوام والعيون الساخنة كما إنهم احتفظوا

[16] -العبودي، محمد ين ناصر، **في غرب الهند مشاهدات وأحاديث في شؤون المسلمين**،(دعوة الحق - العدد 180 - رابطة العالم الإسلامي) ص: 31.

[17] -السعداوي، **رحلاتي في العالم**، ص: 184.

بالجمال الإيراني القديم الذي كان مضرب المثل في العهود السابقة، وهم لم يختلطوا بالأجانب، لم تمتزج دماؤهم بدماء غيرهم من باقي الملل والنحل..."[18].

أما المرأة البارسية فيكتب عنها: "ولنساء المجوس قسط وافر من الحرية، وهن يظهرن في الأندية والمجتمعات سافرات الوجوه عاريات الصدور كالغربيين تماما كما أنهن يرقصن في المجتمعات مع رجالهن وأقاربهن وأصدقاء العائلة الأعزاء"[19].

أما أمينة السعيد فترى أن: "للمرأة البارسية من الخصائص ما يميزها من غيرها، فهي بيضاء اللون، وللدماء الفارسية التي تجري في عروقها أثر في هذا. وبفضل اتساع ذهن البارسي وتسامحهم حسن مركز نسائهم؛ وبفضل المال الوفير تفتحت أمامهن أبواب العلم، فاخترن الأجنبي منه، وتخرجن في الجامعات الإنجليزية بنجاح، ولكنهن مع الأسف اتبعن خطوات أهل طائفتهن من حيث التشبه بالسكسون في الحياة والتصرفات وأسلوب الحديث والتواء اللسان".

ثم تعلق على أسباب هذا التغرب قائلة: وقد يكون السبب في تعلق المرأة البارسي بأهداب الأجنبي، ما يمليه شعور الأقليات من تصرفات شاذة في بعض الأحيان؛ وقد يكون السبب أيضا وفرة المال، فامتلأت بالغرور، وأحست أنها ترتفع فوق مستوى مواطنيها؛ ولكن النتيجة على كل حال أن فقدت ميزاتها كهندية حرة، وأصبحت مخلوقا عجيبا، ما هو بالأوربي، لاختلاف اللون والتقاطيع والعبادة والعادات، وما هو أيضا بالهندي، لشذوذه عن الحياة المألوفة عند الهنود، ولا شك أن تشبه البارسي رجالا ونساء بالأوربيين وتعلقهم بأهداب المدنية السكسونية، قد أبعد قلوبهم عن الهند، وشغلهم عن قضاياها الوطنية"[20].

فتح الله أنطاكي:

في جانب آخر حينما نلقى نظرة عابرة على الرحلات التي نحن بصددها، نجد فتح الله أنطاكي ومحمد المخزنجي أكثر زملائهم الرحالين اهتماما بهذه الطائفة،

---

[18] -أنطاكي، **الهند كما رأيتها**، ص: 42.

[19] -المصدر نفسه، ص: 43.

[20] -السعيد، **مشاهدات في الهند**، ص: 80.

فالتفاصيل عن معتقداتها وطقوسها المختلفة التي نجدها عندهما لا نجد لدى الآخرين. وأول ما نلاحظه عند فتح أنطاكي عنوانه الذي يقيمه وانطباعه الذي يستهل به للحديث عن البارسيين، فهو يسميهم عبدة الشمس والنار، "إن دين زردشت هو دين عبدة الشمس والنار" كما هو أيضا يطلق عليهم المجوس، وهذا جريا مع الاسم العام، بينما الحقيقة هي أنهم لا يعبدون الشمس ولا النار، وهذا النوع من التسمية يثير سخط الأستاذة صبر ج. هافيوالا، وتعتبره من اختلاقات الأوروبيين الباطلة، فهي تقول: تحمل العناصر الأربعة الطبيعية غير الفانية والأزلية، أى النار، والماء، والأرض، والهواء، شهادة خالقها غير الفاني والأزلي، أي الإله العظيم. يتم تكريم هذه العناصر وذكرها في الصلوات ويثنى عليها ولكنها بطبيعة الحال لا تعبد كآلهة ثانوية كما هو الحال في بعض الديانات الأخرى. وهنا أيضا قام الأوروبيون بتضليل العالم حيث سموا أتباع ديانة مزدا يسنا بـ "عبدة النار" وشتان بين العبادة وإبداء الاحترام. ويحترم أتباع هذه الديانة العناصر الثلاثة الأخرى أيضا، أي الماء، والأرض، والهواء، ولكنهم لا يسمون بعبدة الماء وعبدة الأرض وعبدة الهواء[21].

كما يتحدث أنطاكي عن "النبي" زرادشت، وتاريخ ظهوره، وكتابه المقدس، ويذكر في هذا السياق "الزندأفستا"، والصحيح أن "أفيستا" هو الكتاب المقدس بينما الزند هو تفسيره، ومن النصوص التي لها قداستها عند البارسيين. ثم ينتقل إلى "إله أهورامزدا" ويذكر من صفاته خالقا وربا، فهو "خالق الخلق رب السموات والأرض" الذي أوجد هذا الكون في ستة أيام، كما يتناول أمر الصراع بين أهورامزدا وإله الشر الذي ينتصر فيه الله ويلقى بإله الشر في الجحيم، والأمور الأخلاقية التي يلزم على الزرادشتي أن يلتزموا بها فيكتب: "ويقول زردشت في كتابه المقدس إن الله علت كلمته وجلت قدرته أمرهم بأن يسيروا في حياتهم في طريق النزاهة والاستقامة والشرف، وأن تكون أفكارهم دائما منصرفة إلى الأعمال الصالحة لكي ينعموا في الآخرة بجنات الخلد"[22]. ويلاحظ أيضا: "وأول مبدأ من مبادئ النبي زردشت عمل البر

[21] -مجلة ثقافة الهند، مقالة بروفيسور صبر ج هافيوالا، ص: 173.

[22] -المخزنجي، **الهند كما رأيتها**، ص: 41.

والإحسان، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ولذلك يحبون بعضهم بعضا حبا جما، ويساعد غنيهم فقيرهم كل على قدر طاقته، ولا يوجد شحاذ منهم إذ وجود سائل يرجو الإحسان يعد في نظرهم فضيحة وإهانة لهم جميعا"[23]. ويلم أيضا بتاريخ الزرادشتية وصفتها وسيادتها كديني رسمي للفرس، وتقلصها واختفاءها بعد الفتح الإسلامي، والأسباب المؤدية إلى ذلك، وهجرة أتباعها إلى الهند، وعددهم في الوقت الحالي. ومن أسباب الهجرة الواضحة لديه الاضطهاد الديني من قبل المسلمين إذ يقول: وقد انتشر دين زرادشت في جيمع بلاد فارس، وكان الدين الرسمي لجميع الفرس إلى أن فتح المسلمون بلاد العجم، وحطموا هياكلهم، وسلطوا السيف في عنق كل كافر لا يتبع الإسلام، فاضطرت الأغلبية اعتناق الدين الإسلامي وفر الباقون إلى بلاد الهند"[24].

وهذا رأي فيه قدر كبير من التعسف. وقد أشرنا من قبل أن الاضطهاد قد يكون سببا من الأسباب، لا السبب الوحيد، حيث أن معاملة الحكام المسلمين مع الزردشتينن كانت معاملة أهل الكتاب[25]. وهناك دراسات ترى أن الأسباب الاقتصادية رُبَّما اضطرت الزرادشتيين للهجرة من إيران إلى المناطق الأخرى. تقول مانيك سوزان ستائيلز: تصور أساطير البارسيين بشأن هجرة أسلافهم إلى الهند كأن مجموعة محاصرة من اللاجئين الدينيين يهروبون من الحكم الغاشم للغزاة المسلمين المتعصبين لأجل الحفاظ على عقيدتهم القديمة. هذه التواريخ تتحدث عن هروب الزرادشتيين في البداية إلى المناطق الجبلية في إيران، ثم الهجرة إلى هرمز، وأخيرا التوطن في غوجارات، الهند. وفي حين أن مستوطنات البارسيين نشأت بالتأكيد على طول سواحل الهند

[23] -المصدر نفسه، ص: 42.

[24] -أنطاكي، **الهند كما رأيتها**، ص: 41.

[25] -ولا بأس أن نذكر هنا بهذا الخصوص أحمد أمين الذي يقول: "الديانة الزردشتية كانت هي الديانة السائدة في فارس وما حولها في عهد الكيانيين، Achaemenian فلما انتصر الإسكندر سنة 331ق. م. كان ذلك ضربة لهذه الأسرة ولديانتها، ثم انتعشت في عهد الأسرة الساسانية التي بدأت حكمها سنة 226م وظلت هي ديانة الفرس إلى الفتح الإسلامي فاعتنق كثير منهم الإسلام، وفر أولا بعضهم إلى جزائر في الخليج الفارسي ثم إلى الهند، ولا تزال منهم طائفة في بومباى يسمون بالفرسيين Parseec يتمسكون بهذا الدين إلى اليوم؛ وبقيت طائفة في فارس تستمسك بدينها بعد الفتح، واستمرت معابد النار قائمة في كل ولاية من ولايات فارس تقريبا في القرون الثلاثة الأولى بعد الفتح". فجر الإسلام، ص: 107.

الغربية في غوجارات عقب الفتح العربي لإيران، لا يمكننا أن نكون على يقين من أن هذه الهجرات وقعت كنتيجة للاضطهاد الديني ضد الزرادشتيين. نجح الغزاة العرب في الاستيلاء على الأراضي الزرادشتية في أقل من خمسة عشر عاما، غير أنه استغرق قرونا قبل أن تصبح تلك المناطق ذات أغلبية مسلمة.

تشير الطبيعة التدريجية لهذا الانتقال إلى أن الاضطهاد الديني والإكراه على قبول دين جديد لا يمكن أن يكونا قاسيين أو شائعين إلى الدرجة التي تشير إليها روايات البارسيين[26].

كذلك يبين أنطاكي أهمية النار والشمس ومكانتهما لدى أتباع هذه الديانة، فيقول: "تعتبر النار رمزا للألوهية عند عبدة الشمس والنار ولذلك لا يقيمون الصلاة إلا في هياكل النار ويكون في صدر الهيكل مذبح تستعمل فيه النار ليلا ونهارا ولا تخمد أبدا. كما أنهم يقيمون الصلاة دائما للشمس كذلك"[27]. وكما مر أن الزرادشتيين لا يعبدون الشمس ولا النار، بل الواقع "الصلاة تؤدى متوجها إلى الشمس والنار أو غيرهما من مصادر الضوء التي تمثل الضوء والطاقة الإلهيين لأهورا مازدا"[28].

وأما نوال السعداوي فحديثها مع مضيفتها على مائدة الطعام يلمح إلى دخان الصراع المتصاعد بين التجديد والتقليد: "دعانا هذا الفارسي وزوجته إلى العشاء وجلسنا نأكل العدس باللحم (طبق خاص في الهند يقدم يوم الأربعاء فقط؛ لأن الأرز ممنوع في ذلك اليوم). وقال الزوج مداعبا زوجته (الفارسية أيضا): "سوف تأكلك الفالتشرز أكلا يا حبيبتي." وضحكت الزوجة وهي تقول: هذه الطيور تأكل العينين أولا ثم تأكل بقية الجسم. إنها تحب العينين أكثر من أي شيء، وكاد الأكل يقف في حلقي، وتوقفت قليلا وسألت هذه الزوجة: إن هذه عادة بشعة. وقالت الزوجة: بعد الموت لا نحس شيئا. الهندوكيون يحرقون جثثهم، والحرق لا يختلف كثيرا عما نفعل نحن الفارسيين، بل

[26] – The Death of Ahriman: Culture, Identity and Theological change among the Parsis of India, Maneck Susan Stiles, University of Arizona, P: 39, https://books.google.com/books/about/The_Death_of_Ahriman.html?id.

[27] –أنطاكي، **الهند كما رأيتها**، ص:42.

[28] – http://www.bbc.co.uk/religion/religions/zoroastrian/worship/worship.shtml

إننا أكثر إنسانية؛ لأننا نطعم هذه الطيور الجائعة بدلا من حرق الجثث بغير فائدة. وهذه هي الحكمة من هذه العبادة.

وقال الزوج: لكنها فعلا عادة بشعة، وبعض الناس الآن يثورون عليها ويطالبون بتغييرها. وقالت الزوجة: بعضهم يطلبون في وصيتهم ألا تأكل الطيور، ويحرقون أو يدفنون، لكن هؤلاء يتعرضون لغضب الآلهة وغضب رجال الدين الفارسي الذين يرفضون الصلاة على أجسادهم، وتدفن بغير بركة رجال الدين.

وضحك الزوج قائلا: رجال الدين يحافظون دائما على أية عادات دينية من أجل أن يعيشوا وتكون لهم وظيفة وأجر، أنا شخصيا أفضل أن تدفن جثتي دون بركة هؤلاء الرجال[29].

ونرى فتح الله أنطاكي يولي طفولة المجوسي اهتماما خاصا، والمعلومات التي يوفرها لا نجدها لدى زملائهم، فيذكر من طقوسهم: "أن الطفل المجوسي يولد في الطبقة الأرضية من المنزل... ومتى بلغ المولود اليوم السابع من عمره جيء بأحد العرافين ليقرر طالع الطفل ويختار له اسما، فيطرح على والديه عدة أسماء ليختاروا منها اسما لولدهما، ثم يأتي بلوح عريض من الخشب ويرسم عليه نقوشا رمزية وعلامات مبهمة بالطباشير، وبحسب نجم الطفل وطالعه والكوكب الذي ولد تحت تأثيره يكتب بيانا بما يأتي للطفل بالسعد والنحس وما يجب عليه تلافيه أو اتباعه ويحفظ والدا الطفل هذا اللوح ليكون دليلا ومرشدا لولدهما طول حياته، يتبع ما جاء فيه لينجو من الشر ويفوز بالخير. ومتى بلغ الطفل السنة السابعة من عمره احتفل بتطهيره فيأتي الكاهن ويغسله بالنيرانج (بول البقر) ويضع حول وسطه الكوستي وهو حبل تفتله نساء الكهنة من اثنين وسبعين خيطا تمثل الآيات الاثنين والسبعين في سورة "الياسنا" إحدى سور الكتاب المقدس "الزندافستا".

وعند ما يشد الكاهن هذا الحبل حول خصر الصبي يتلو آيات من الكتاب المقدس وينشر فوق رأسه قطعا من الفاكهة والبذور والعطور.

[29] -السعداوي، **رحلاتي في العالم**، ص: 185.

ومتى تم هذا العمل اعتبر الصبي مجوسيا يدين بدين زردشت وأصبح مسؤولا عن أعماله أمام الله يحاسب عليها، وأما إذا مات الطفل قبل ذلك فإنه يدخل الجنة دون حساب لأنه لم يصل إلى السن التي يجازى فيها عن أعماله"[30].

وهنا ينتهي حديث فتح الله أنطاكي عن البارسيين مكتفيا ببيان المراسم الخاصة بالطفولة، ولا يشير حتى إشارة خاطفة إلى الطقوس المتصلة بالموت، الطقوس التي بدت غاية في الغرابة لدى الآخرين من زملائه الرحالين فلفتت أنظارهم. وكان محمد المخزنجي أكثرهم اندهاشا واستغرابا لهذه الطقوس وأكثرهم تفصيلا لها.

محمد المخزنجي:

تحدث محمد المخزنجي عن مشاهداته الهندية في موضعين من كتابه "جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى"، فدون في مكان مشاهداته وانطباعته عن المدن الهندية الثلاث؛ دلهي وآجرا وجائيفور بعنوان "المثلث الذهبي"، بينما سجل في موضع آخر عما شاهده في ممبئي تحت عنوان "الهند (مومباي) من أبراج المجوس إلى معابد الفلوس"، كما يسجل ما رآه في "دهوبي غات" و"ضريحة حاجي علي" الواقعتين بين هذه الأبراج وتلك المعابد.

قد أشرنا من قبل إلى السببين الرئيسين اللذين استلفتا نظر محمد المخزنجي إلى البارسيين، أي المكانة الاجتماعية الممتازة وطريقة تدفين الموتى. ويكاد حديثه يدور حولهما، ففندق تاج محل الأسطوري وتلال مالابار المظللة لـ"الدوخمات" (أي مقبرة البارسيين) يشدان اهتمامه ويشغلان خواطره ليرسم لوحة فنية بديعة لمدينة مومباي، تبدو كأن المدينة ستقفز من صفحات الكتاب بكل ما تحوى. فيمكن أن يراها القارئ ماثلة حية نابضة صاخبة من عين ريشة المخزنجي.

فبعد بيان أسطورة فندق تاج محل التي تحققت على يد جمشيد جي تاتا يقول: وعندما أوليت ظهري لفندق تاج محل وأنا أقف في الجانب الآخر متأملا تلال مالابار الغائمة في الضباب المعلق فوق الماء، كانت أعجوبة المجوسي تاتا ماثلة في ذهني المتشوق

[30] -أنطاكي، **الهند كما رأيتها**، ص: 43.

للاطلاع على أسطورة مجوسية أخرى فوق تلال "مالابار" فمكثت أياما أطوف بأركان "مامباي" وعيني على قمة "مالابار""[31].

كان إطلاع محمد المخزنجي على تواجد الزرادشتيين في العالم انكشافا، فأثار ذلك ما يثير المجهول من فضول وحب استطلاع. "ولم أكن أتصور أبدا حتى سنتين خلتا أن يكون هناك مجوس باقون في هذا العالم"[32]. ومن هنا تبدأ مغامراته لاستكشاف المجهول. خلال زيارته لكراتشي حاول أن يطلع على سر برج الصمت، وحاور الحارس وداوره، وضرب صفقة لذلك، ولكن حينما وصل المكان المطلوب ليلا توجس خيفة على نفسه نظرا لحوادث القتل والفتك والاغتيال في كراتشي، فخلى الفكرة... حتى إذا جاء إلى "مامباي" عادت شهية فضوله تتفتح نحو ملامسة مزيد من الحقائق عن المجوس.."... فضولي عاد أقوى في مامباي التي تعد من أكثر مدن العالم أمانا رغم تزاحم سكانها الذين يقترب عددهم من الخمسة عشر مليونا، فالمسالمة هي الطابع الغالب للهنود... "[33].

على أية حال تحدث محمد المخزنجي في رحلته هذه عن الموضوعات العامة المتعلقة بالبارسيين، فتحدث عن زرادشت، وتاريخ ظهوره، والمبادئ الأساسية لهذه الديانة، وكتابها، وطائفة البارسيين وطقوسهم وتقاليدهم، ونجاحهم الباهر في الصناعة والاقتصاد، وأخيرا طرق تدفين الموتى التي للاطلاع عليها تجشم المعاناة، واحتال بما يذكرنا بأنيس منصور في مغامراته للقاء قداسة دلائي لاما الذي كان لجأ في ديرادون بعد هروبه من تيبت[34].

وتمهيدا للدخول في صميم الموضوع، يتحدث المخزنجي بإيجاز بالغ عن معتقدات الزرادشتية وتعاليمها الأخلاقية، فيقول إن المجوسية أو الزرادشتية هي تعاليم نقلت عن المبشر بها في سبع عشرة ترنيمة تسمى "جاثا" ومعناها الأناشيد يضمها كتاب الزردشتيين المقدس المسمى "الأبستاق" أي المتن، وفيها ينص على أن الله هو السيد

[31] -المخزنجي، **جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى**، ص: 368.

[32] -المصدر نفسه، ص: 368.

[33] -المصدر نفسه، ص: 369.

[34] -راجع رحلة أنيس منصور إلى الهند في كتابه "**حول العالم في 200 يوم**" .

الحكيم "أهورامزدا" خالق السموات والأرض، وهو الأول والآخر. وتعارضه الروح الشريرة، الشيطان "أهرمان" المتسمة بالنوايا الشرسة والتكبر والكذب.

وعلى البشر أن يختاروا، فإن سلكوا طريق الشيطان تمتلئ حياتهم بالأفكار الشريرة، والكلمات الشريرة، وإن سلكوا طريق الحق فسوف يكونون مع العقل الخير، ويبلغون الكمال والخلود، والورع وملكوت السماوات.

ويلاحظ المخزنجي: أن "هذا القطع بين السبيلين لا يقود إلى الزهد عند الزردشتيين. فالزهد عندهم كالانغماس في الشهوات، خطيئة كبرى... لا ينصح الزرادشتيون أتباعهم بالاكتئاب "فالحياة مرحة ولك أن تفعل ما تشاء في قدسية"....العمل "ملح الحياة" وعلى الناس "أن يقهروا بعقولهم الشكوك والرغبات السيئة، وأن يقهروا الجشع بالرضا، والغضب بالصفاء والسكينة، والحسد بالإحسان، والحاجة باليقظة؟ والنزاع بالسلام، والكذب بالصدق"[35].

بالإضافة إلى ما ذكرنا إنه مثل الأنطاكي يتعرض للطفل البارسي ولبعض الطقوس الخاصة به، فيذكر "السدرة" أو الصديري و"كوشتي" المتألف من اثنين وسبعين خيطا اللتين ينبغي للطفل لبسهما إذا بلغ السابعة أو بعدها بثلاث وأربع سنوات. ويشير إلى مراسم "نافجوت" أي التعميد الذي يجب على كل زرادشتي أن يخضع له...[36] كما يذكر الكاهن المجوسي الذي يسمى دستورا وملابسه من ثياب بيضاء وعمامة بيضاء وقناع على الفم حتى لا تتدنس النار المقدسة، فيستطرد المخزنجي قائلا: "والنار رمز "أهورامازدا" فهم لا يعبدونها بل يتوسلون بها، وهي لا بد أن تحفظ داخل المعبد بعيدا عن التلوث، فلا ينبغي أن تراها الشمس أو عيون غير الزرادشتيين، وقد حاولت

[35] -المخزنجي، **جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى**، ص: 370.

[36] -ويتم إجراء تقاليد نافجوت كي يعي طفل بمشاعره وواجباته الدينية، وعادة يتم إجراؤها بينما يكون عمر الطفل من 7 إلى 11 سنة. يجب على الطفل أن يكون متقنا في بعض الصلوات الأساسية التي يتلوها أمام الآخرين بصوت عال. يتم ارتداء قميص رقيق مع جيب صغير مثل مربع. يؤكد للطفل أن الجيب المخيط قرب القلب هو لجمع أعماله الحسنة والسيئة. كما يبلغ أن الأبوين يكونان مسؤولَين عن الأعمال قبل إجراء تقاليد نافجوت، ولكن الآن فقد كبر بشكل كاف كي يميز الخير من الشر في العالم وسوف يكون مسؤولا عن أعماله. ففي الحقيقة يدل التعميد نافجوت على نوع من النضج والرشد أيضا لدى الأطفال ذكورا وإناثا". مجلة ثقافة الهند، ص: 180.

اختراق ذلك بالحيلة، وبالنقاش الطويل، وباتصالات التوصية من بعض المهمين في مامباي، دون جدوى، بل أثارت معاودتي للمحاولة غضب حراس معبد النار حتى أنهم أغلقوا أمامي البوابة الرئيسية للمعبد بعد أن كنت دخلت وصعدت إلى البهو ووقفت على باب القاعة الرئيسية"[37].

كذلك يسجل المؤلف في مشاهداته عدد البارسيين المتناقص بصورة مستمرة إما بسبب الموت الطبيعي أو زواج الجيل الشاب خارج نطاق الطائفة، حيث لا يقبل مثل هذا الزواج، وإذا قام بذلك أحد طرد من الجماعة.

ولنمش مع المخزنجي إلى "تلال مالابار" التي تجره بخضرتها اليانعة المنبسطة وجمالها الطبيعي، وهدوئها الساجي، واختلافها الشديد عن الحياة في الأحياء الشعبية الأخرى حيث الفقر والضجيج والضوضاء يشكل الملمح الأساسي، إلى الاستطرادات والوقفات لبيان التباين الصارخ في مستوى الحياة بين طبقة وأخرى. "كان صعودنا في معارج تلال مالابار كأنه انتقال من عالم إلى عالم، من شوارع الضجيج والزحام إلى أجمات لا يُسمع فيها غير أصوات الطير بينما البحر يهبط مزيدا تحتنا وتتراجع الأشجار كاشفة عن قمم الأبراج السكنية في أرقى أحياء مامباي المحيطة بالتلال، والتي تعتبر من أكثر أماكن العالم غلاءً"، وأيضا "...لقد كنا نبحث عن "أبراج الصمت" التي يسجي عليها الزرادشتيون موتاهم لتنهشهم العقبان حتى العظام. وكان العالم الذي تصعد فيه يتناقض مع ما نبحث عنه، فقد كنا نبحث عن أغرب عملية دفن للموتى، في دروب حدائق غناء"[38].

"في صباح شتوي مشمس اتجه" محمد المخزنجي إلى تلال مالابار ليحقق حلما طالما راوده: "لعلني أكون أول كاتب عربي استطاع الاقتراب من أبراج الصمت فوق تلال مالابار إلى هذا الحد كما أخبرني المسئولون عن هذه الأبراج، حد الوصول إلى الباب الأخير الذي لا يعبره في أرواب بيضاء غير حاملي المتوفى من خاصة خاصته ومن خاصة القائمين على سر أسرار الدفن المجوسي"... ويربت كتفه على نجاحه ودهشته لا

[37] -المخزنجي، **جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى**، ص: 372.

[38] -المصدر نفسه، ص: 371.

تكاد تفارقه قائلا: "ولا أزعم أني وصلت إلى ذلك بمقدرة استثنائية، بل هو الحظ الصحفي الحسن، وإلحاح الفضول وبعض الإطلاع الذي مكنني من محاورة مقنعة، والوعد الذي قطعته على نفسي مقابل المعرفة: أن أنقل ما رأيته وما سمعته وما عرفته، دون إضافة...."[39].

هنا على تلال مالابار صحبه "دارادي إلافيا" المسؤول في دونجيروادي كدليل، فيشاهد معه عربة الإسعاف، وقاعات الصلاة، وقاعات تجهيز الجثث، والتوابيت الفولاذية، ونموذجا لأبراج الصمت، إلى أن يصل موضعا: "لم يكن ممكنا بأى شكل أن نخطو خطوة بعده حيث وقفت في وجهنا بوابة صماء بيضاء"[40].

أما "دونجيروادي" أو المقبرة فهي حسب المخزنجي: " ... أبعد ما يمكن عن شكل المقبرة؛ فثمة أبنية بيضاء فخمة ذات سقوف جمالونية من القرميد، ودروب مشجرة ونظيفة بين هذه الأبنية، ودرج حجري يصعد حتى يتوقف أمام بوابة حديدية مزخرفة ومطلية باللون الأبيض، يليها درج آخر يصعد نحو بوابة أخرى مماثلة، وفي النهاية بوابة بيضاء صماء في سور دائري عال. وداخل هذا السور توجد أبراج الصمت، عددها خمسة، وكل منها تسمى "دوخما" إضافة إلى واحدة صغيرة تسمى "شوترا" مخصصة للأطراف المبتورة والأعضاء المستأصلة، وأقدم هذه الدوخمات بني ما بين عامي 1672 و1673 ميلادية واسمها يحمل اسم العائلة الثرية التي شيدتها؟ "مودي هيرجي"[41].

هنا تنتهي المشاهدة وما يقدمه المخزنجي من معلومات عن عملية التشييع والدفن هي مستفادة من كتاب من كتب الزردشتيين، وهي كما يلي:

"يُجلب جسد المتوفى المجوسي – بعد استيفاء شهادة الوفاة من طبيب مجوسي على ملاءة مضاء في صديري وسروال أبيض، ويعلن عن الوفاة والتشييع والتأبين، وتقرع الأجراس في دونجير وادي، فيما يجهز البخور وخشب الصندل والعطر والأردية البيضاء، تُغسل الجثة من قبل أناس من جنس المتوفى وتُجفف وتلبس الثياب التي حدثت فيها

[39] -المصدر نفسه، ص: 373.

[40] -المصدر نفسه، ص: 374.

[41] -المصدر نفسه، نفس الصفحة.

الوفاة بعد غسلها ثم تسجى الجثة على طاولة رخامية بينما ينثر العطر والبخور وتقام صلوات معينة تستمر أربعة أيام، وفي فجر اليوم الرابع يقدم لأقرب نار "مقدسة" مدد من وقود معين صدقة عن روح المتوفى. وفي النهار تحمل الجثة في تابوت فولاذي يرفعه حمالون زرادشتيون معينون لهذه المهمة، يتبعهم الكهنة ثم أقارب الموتى فأصدقاؤه، جميعهم في أرواب بيضاء ويسيرون خلف التابوت اثنين اثنين، وبين كل اثنين منديل أبيض يسمى "بايفاند" (ومعناها الرباط) يمسكه كل من طرف وغايته الرمزية هي التواصل للتآزر في تحمل أحزان الفراق.. وفي داخل السور الأخير يُسجَّى الجثمان بعد شق ملابسه على شبكة فولاذية فوق أحد أبراج الصمت وينصرف الجميع حتى تقبل العقبان لتؤدي عملها. وهو عمل دقيق!... تنطلق غيمة العقبان منقضة على الجثة بمناقيرها الجارحة القوية، وفي نحو عشرين دقيقة فقط لا يبقى غير الهيكل العظمي عاريا تماما إلا من بياضه. وتمر الأيام دون أن ينقطع إحياء مناسبات عديدة لروح الفقيد ومنها يوم ميلاده، ويستمر ذلك لمدة سنة خلالها تحوِّل شمس الأعالي الحارة والمطر الموسمي المدرار الهيكل العظمي إلى فتات ثم طحين من الكلس يهبط عبر مصفاة برج الصمت إلى البئر المركزية ومنها إلى قناة يعترضها مرشح من الرمل والحصى الدقيق يحتجز رماد الكلس وتنتهي المياه إلى خزان تحت أرضي مبطن بمرشح آخر حتى تمر المياه في النهاية "نقية" إلى البحر"[42].

وأخيرا تنتهي مشاهدات محمد المخزنجي على مقارنة لأسلوب التدفين بين الزرادشتية والإسلام. ولكل من المخزنجي ودستور خورشيد دابو (أحد كبار الرهبان الزردشتيين) دلائله. في رأي الراهب "إن عملية التخلص من الأجساد الميتة ترتبط بقواعد أساسية خمس في الزرادشتية هي الصلاح والاتحاد والمنطقية والإحسان، والنقاء. وذلك كله عبر : "أ"الإحسان بتقديم الجسد الميت للعقبان الجائعة فهي مخلوقة لذلك وهذا من طعامها الطبيعي، "ب" السرعة في التخلص من الميتة حيث لا يستغرق ذلك إلا 20 دقيقة، "ج" الاقتصاد فلا حاجة لمقبرة أو خشب للحرق ..."د" المساواة: فالميت الغني والميت الفقير يتساويان في المعاملة وبقايا العظام تلتقي كلها في الوعاء المركزي دون تفرقة "ه" مراعاة

[42] -المصدر نفسه، ص: 375.

الصحة العامة، حيث لا تلوث للعناصر الأربعة للطبيعة -الأرض والنار والماء والهواء فتظل نقية، "و" نبذ العاطفة الكاذبة، فلا تتميق للموت، ولا أضرحة، ولا نصب ولا توابيت"[43].

أما المخزنجي فيرى لمنشأ هذه الطريقة لدى الزرادشتيين أسبابا أخرى لا علاقة لها بالدين، ويحمد الله على نعمة الإسلام في طريقة تدفين الموتى قائلا: "فالعودة إلى باطن الأرض هي عودة إلى الرحم الحنون الذي منحنا إياه رب العالمين، فالأرض شريط رحمة حقيقي، منها نشأنا وإليها نعود، لتستمر دورة الأخذ والعطاء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أرى أن الوطن ليس هو المكان الذي نشأنا فيه ونشأ أحبابنا، فقط، بل هو بشكل أعمق وأوثق المكان الذي لنا في ثراه أحباب راحلون، نتذكرهم فنخفف الوطء وترق القلوب، درس روحي جميل في معاني الترحم والرحمة"[44].

خاتمة البحث:

لفتت طائفة البارسيين في الهند رغم ضآلة عددها أنظار معظم الرحالين العرب. وذلك لسببين رئيسين؛ نجاحهم الباهر في مجال الاقتصاد وطريقة تدفين الميت. فلهذه الطائفة دور مؤثر حيوي في تصنيع الهند وأولويات في مجالات شتى تجعلها الحائزة على قصب السبق دون الطوائف والجماعات الهندية الأخرى. أما رغبة الاطلاع على تدفين الموتى أو التخلص منهم عبر "الدوخمات" أو أبراج الصمت حيث النسور والعقبان والأنواء والفصول تعمل عملها فتثير فضول أغلبية السائحين. ولكن ليس هذان الأمران وحدهما يستوقفانهم، بل إلى جانب ذلك إنهم يتحدثون عن جميع ما يمسهم من معتقدات وسلوك وتقاليد وطقوس. فقد تناولوا الزرادشتية ونبيها وتعاليمها ومبادئها الأخلاقية وهجرة أتباعها إلى الهند، وما لهم من طقوس من الولادة حتى الموت. ولا شك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم حسب نزعاتهم وميولهم وتجاربهم في إيجاز البيان وتفصيله. مر أنيس منصور بجملة، وناصر العبودي بأسطر حول طريقة التدفين. أما أمينة السعيد فيشغلها هموم المرأة الهندية على اختلاف طبقاتها وانتماءاتها، ومن بينها المرأة البارسية. وبين

[43] -المصدر نفسه، ص: 376.

[44] -المصدر نفسه، نفس الصفحة.

جميع هؤلا نجد فتح الله أنطاكي ومحمد المخزنجي أكثر تفصيلا عن نواحي الحياة المختلفة لحياة البارسيين في الهند، ثم يكاد المخزنجي يمتاز من غيره بأسلوبه السردي الجميل. غلب على معظم الرحلات الأسلوب العلمي التقريري، بينما تتسم رحلة المخزنجي بالأسلوب الأدبي الحكائي القصصي وما استهل به رحلته إلى مدينة مومباي وما قدم لها من وصف جغرافي لا يتأتى ذلك إلا لأديب قاص وروائي... ولا شك أن المخزنجي يعرف أسرار هذا المجال.

المصادر والمراجع:

- أمين، أحمد، فجر الإسلام، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.
- أنطاكي، فتح الله، الهند كما رأيتها، مطبعة وديع أبو فيصل، شارع إبراهيم باشا بمصر، تاريخ الطبع غير مذكور.
- السعداوي، نوال، رحلاتي في العالم، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي سي آي سي، وندسور، 2017.
- السعيد، أمينة، مشاهدات في الهند، مصر، دار المعارف، 1946م.
- العبودي، محمد بن ناصر، في غرب الهند: مشاهدات وأحاديث في شؤون المسلمين، كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الإسلامي، ذو الحجة 1417هـ - العدد180 السنة الخامسة عشرة.
- مجلة ثقافة الهند، المجلد: 68، العدد:2، أبريل -يونيو 2017م.
- المخزنجي، محمد، جنوبا وشرقا: رحلات ورؤى، القاهرة، دار الشروق، 2011م.
- منصور، أنيس، حول العالم في 200 يوم، القاهرة، دار الشروق، 2002م.

1. The Death of Ahriman: Culture, Identity, and Theological change among the Parsis of India, Maneck Susan Stiles, University of Arizona, 1994.
2. https://books.google.com/books/about/The_Death_of_Ahriman.html?id.
3. A Study of World's Major Religions, Farida Khanam, Chaus Publishing Company, Aurangabad, 2014.
4. International Journal of Interdisciplinary social sciences, vol. 6, no: 2, http://hdl.handle.net/10536/DRO/DU:30041789.

رائدات النسوية في الرواية الأردوية

محمد علي أختر*
Email: mdaliakhtar@gmail.com

ملخص البحث:

نشأت النسوية في الغرب كحركة اجتماعية وسياسية للدفاع عن حقوق المرأة، وبالتدريج اتخذت طابع النظرية والفلسفة، وامتدت ظلالها إلى كل حقل من حقول الثقافة، بما يشمل الأدب الذي أصبح من المجالات الأكثر تأثرًا بالحركة النسوية. لم تظهر الحركة النسوية في سياق الأدب الأردوي بصورة ظهرت ونالت إقبالاً في السياق الغربي، إلا أن الأدب الأردوي امتلأ تاريخ مساره الفكري والنظري الحديث بأمثلة التركيز على قضايا المرأة والدفاع عن حريتها وحقوقها والتأكيد على تثقيفها وتوعيتها. وبدأت معركة الدفاع عن حقوق المرأة في الأدب الأردوي من الكتاب الرجال الذين اتخذوا من المرأة موضوعاً للأهداف الإصلاحية وانضمت إليهم الكاتبات اللاتي حاولن كل منهن قدر مراتبهن الشعورية والثقافية للدفاع عن حقوق المرأة وكسر التابوهات وقيود العادات والقوانين الجائرة التي عرقلت حرية المرأة ونموها الفطري.

كلمات مفتاحية: الأدب النسوي، الأدب الأردوي، الأدب العربي، رائدات النسوية، الرواية النسوية.

Abstract:

Feminism in West emerged as a social and political movement to defend women's rights, and with the debates it triggered, soon became an ideology influencing all aspects of life, culture and intellectual sphere; literature being the most preferred area of its influence. Though it's not possible to talk of a feminist movement in the context of Urdu literature,as we find in West and elsewhere, Urdu literature and especially the Urdu novels spearheaded by men writers took great interest since inception in women's issues, highlighting their plight in Indian society and advocating for their rights. Soon, there emerged acclaimed women writers who took to denounce the stereotypes about women and break the social, religious, and cultural shackles which had hindered women's way to freedom,

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

respect, and the position they deserve, heralding a Feminist trend in Urdu novels.

النسوية حسب تعريف دائرة معارف علم الاجتماع هي "حركة تسعى لإنشاء مساواة اجتماعية واقتصادية وسياسية بين الرجل والمرأة وإصلاح الاعوجاج في علاقات الرجل بالمرأة" [1]. والنسوية حركة وأيدولوجيا معا وبما أنها تعرضت للتحليل الفلسفي الموسع فهي ترتقي إلى درجة نظرية كذلك، ركيزتها إحساس المرأة بالظلم ووعيها بالاضطهاد وشعورها بأن المرأة تعاني من العسف الاجتماعي المنهجي بسبب جنسها[2]. تعرفها "سارا غامبل" [3] كحركة سعت إلى تغيير المواقف من المرأة: "النسوية الاعتقاد بأن المرأة لا تعامل على قدم المساواة، لا لأي سبب سوى كونها إمراة في المجتمع الذي ينظم شؤونه ويحدد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته. وفي سياق هذا النموذج البطريركي، تمثل المرأة كل ما لا يمثله الرجل ولا يحب أن يمثله، حيث يعتبر الرجل قوياً ومنطقياً والمرأة ضعيفةً وعاطفيةً والرجل قائماً بذاته والمرأة قائمة لغيرها وهلمّ جرا. وتحت هذا المنطق الذي يجمع دائماً بين المرأة والسلبية، تُحرم هي من الفرص المتساوية للدخول في عالم الحياة العامة والتفويضات الثقافية. والنسوية بالإيجاز تسعى إلى تغيير هذه المواقف منها"[4]. فالنسوية هي محاولة لإنهاء الاضطهاد الذي تتعرض له المرأة بسبب الجنس عبر المجتمعات والثقافات والديانات.

إن الأدب كان من المجالات الأكثر تأثرًا بالحركة النسوية بجانب علم اللغة والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ودراسات الثقافات والأديان والاقتصاد وغيرها. فعملت الحركة النسوية على تغيير مسار الأدب والنقد وطرق دراسة نصوص أدبية ومناهج دراسية. وفي سياق الأدب، تهدف النسوية إلى تفكيك (Deconstruct) المرأة التي لا تعرف ذاتها ولا تعي المنظور الاجتماعي والثقافي الذي حوّلها إلى واقع غير معلوم. ترتبط المرأة

[1] - آراء، شبنم، **اردو ناول پر تانیثیت کے اثرات**، (أطروحة الدكتوراه المقدمة إلى جامعة جواهر لعل نهرو، نيودلهي، الهند، 2006)، ص: 10-12.

[2] - توبان، لويز، " تيارات الفكر النسوي"، الحوار المتمدن، أبريل 2013، العدد 4060.

[3] - هي إحدى المنظرات النسويات الشهيرات.

[4] - Gamble, Sara, **The Routledge Companion to Feminism and Postfeminism**, Routledge, 2006 - Introduction

بتاريخ مفعم بأحداث الاضطهاد والظلم الثقافي والاجتماعي، يزخر فيه بحار الآهات والصرخات والأنات المكبوتة المضغوطة. وقد كشف الأدباء والأديبات عن تلك المواقف التاريخية المطمورة في أدبهم وأدبهن على مستوى منصات الفكر والنظريات المختلفة.

لم تظهر الحركة النسوية في السياق الأردوي وفي سياق الأدب الأردوي بصورة ظهرت ونالت إقبالاً في السياق الغربي، إلا أن الأدب الأردوي امتلأ تاريخ مساره الفكري والنظري الحديث بأمثلة التركيز على قضايا المرأة والدفاع عن حريتها وحقوقها والتأكيد على تثقيفها وتوعيتها. وقد بدأ النثر الأردوي كأول مستودع لمثل تلك الأفكار النهضوية، ومنه وصل هذا الشعور إلى الشعر. ومن اللافت للنظر أن معركة الدفاع عن حقوق المرأة في الأدب الأردوي انطلقت من الكتاب والأدباء الرجال الذين اتخذوا من المرأة موضوعاً للأهداف الإصلاحية وللنعى على مفاسد المجتمع السائدة، وانضمت إليهم الكاتبات والأديبات اللاتي حاولن كل منهن قدر مراتبهن الشعورية والثقافية للدفاع عن حقوق المرأة وكسر التابوهات وقيود العادات والقوانين الجائرة التي عرقلت حرية المرأة ونموها الفطري. وقد حدد "نامي أنصاري" ثلاثة اتجاهات فيما يتعلق بالشعور النسوي في الأدب الأردوي. الأول: الأدب الذي تكتبه المرأة ويحمل أبعاد الوعي النسوي المختلفة، والثاني: الأدب الذي تبدعه المرأة ولكن لا يمكن طبعه بالأدب النسوي. والثالث: الأدب الذي يبدعه الرجل ويعبر فيه عن حياة المرأة وقضاياها. وتمثل النوعَ الأولَ "عصمت شغتائي" و"آمنة أبو الحسن" و"خديجة مستور" و"هاجرة مسرور" وغيرهن في النثر، و"كشور ناهيد" و"فهميدة رياض" و"بروين شاكر" في الشعر. والاتجاه الثاني يتمثل لدى "قرة العين حيدر"، و"صالحة عابد حسين" و"رضية سجاد ظهير" و"صغرا مهدي" وغيرهن. وأما الاتجاه الثالث، فيتبلور عند كثير من الأدباء الرجال من "نذير أحمد" و"راشد الخيري" و"ميرزا محمد هادي رسوا" و"سعادت حسين منتو"، و"إقبال مجيد" و"سيد محمد أشرف" و"بيغام آفاقي". يعرض كل منهم قضايا المرأة والشعور النسوي بدرجات متفاوتة، على أن هدفهم لم يكن تعزيزا للحركة النسوية، بل جاء ذلك ضمن أساليب تعبيرهم عن المجتمع الإنساني[5].

[5] - پاشا، انور، **تانيثيت اور ادب**،(دهلي: عرشيه پبلى كيشنز، 2014)، ص: 85.

شكلت المرأة موضوع الأدب الأردوي منذ ولادته. ولا غرو أن دراسة تحليلية لأصناف الأدب الأردوي المتنوعة تكشف لنا أن المرأة ظلت موضوعاً محورياً في الكتابة الأدبية، فالشاعر بقدر ما يتغزل فيها، يشكو من العذابات التي يعاني منها، والروائي -لأنه ينطلق مما يقدمه له المجتمع- يكرس الصورة النمطية الموجودة عنها واقعياً، فإذا هي صور سلبية في الغالب. فصورتها لم تتجاوز كونها متعةً وجمالاً، خلقت لإمتاع الذكور فحسب. وهذه هي الصورة النمطية التي أشارت إليه "جيلاني بانو" قائلة: "تسمى المرأة كائناً جميلاً ولكن لا تعتبر إنساناً... يعدها الرجل في عداد "الشيء" ولا غير ويعتبرها أداة المتعة فحسب. وظلت للمرأة صورتان فحسب في الذاكرة للقرون: الأم والعشيقة. ويشكل كل منهما حاجة الرجل. ولا بد للمرأة من الاتصاف بالجمال لأن المرأة الجميلة وليست مجرد المرأة يشكل موضوع الأدب"[6]. إنه كان بعد ثورة 1857م ضد الحكومة الإنجليزية، أن الأدب الأردوي اتخذ طابع الواقعية وانطلقت مسيرة الرواية الأردوية بداية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحلت القصة والرواية محل الحكايات الخرافية، وحلت المرأة الواقعية محل الأميرات والحوريات[7].

وما يلفت الانتباه في تطور الأدب النسوي الأردوي بمعنى الأدب الذي يتحدث عن قضايا المرأة ويهدف إلى تحسين وضعها، وما يستحق الاعتراف به، أن الأدباء الرجال هم الذين صدرت عنهم بوادر التركيز والعناية الخاصة بقضايا المرأة، فبذلوا هم كل ما في وسعهم من الجهد الإبداعي في إبراز معاناة المرأة وطرق تحسين موقعهن في المجتمع وخاصة عن طريق الروايات[8]. وكان تعليم المرأة على رأس القضايا النسائية التي تناولته نذير أحمد ومن تلاه من الكتاب من أمثال سرسيد أحمد خان، وعبد الحليم شرر، وراشد الخيري، وبندت رتن نات سرشار، والحالي، ومرزا محمد هادي رسوا، وبريم تشند، وكرشن تشند، وراجندر سينغ بيدي، خلال رحلاتهم الأدبية الممتدة في الفترة من 1913م إلى 1940[9] ولم يتأخر ركب الكاتبات كثيراً عن ركب الأدباء في كتابة القصة

[6] - جاويد، عقيلة، **اردو ناول میں تانیثیت**، (ملتان: بهاء الدين زكريا يونيورسيٹی، 2005)، ص: 107.

[7] - مہدی، صغرا، **اردو ناولوں میں عورت کی سماجی حیثیت**، (نئی دہلی: سجاد پبلشنگ ہاؤس، 2002)، ص: 8.

[8] - کبیر، فہمیدہ، **اردو ناول میں عورت کا تصور - نذیر احمد سے پریم چند تک**، (نئی دہلی: مکتبہ جامعہ لمیٹڈ، نئی دہلی، 2012)، ص: 35.

[9] - وانی، مشتاق احمد، **اردو ادب میں تانیثیت**، (دہلی: ایجوکیشنل پبلیشنگ ہاؤس، 2013)، ص: 217.

والرواية بوجه خاص. فإن رشيدة النساء جاءت بأول رواية نسائية عام 1894م بعد 25 عاماً فقط من ظهور أول رواية أردوية "مرآة العروس" لنذير أحمد. وقد جاءت هذه الرواية في زمن كان تعليم المرأة يعد فيه من مسببات العار، فضلاً عن جرأتها على الكتابة. وكان تأثرها برواية نذير أحمد واضحاً في روايتها، حيث غلب عليها النزعة الإصلاحية التي ظلت نزعة غالبة على كل روايات ظهرت حتى أوائل القرن العشرين[10].

وظهرت في هذه الفترة رواية "موہنی" لصغرى همايون مرزا، والتي طرحت بجرأة نادرة المشاكل الناتجة عن الطلاق وقضايا تزويج الأرامل وحرية المرأة في انتخاب زوجها وغيرها. وكتبت أكبري بيغم "گدڑی کا لال" (جوهرة في الوحل) (1907) حول تعليم النسوة وركزت على تعليم بنات الطبقة العليا بصفة خاصة، وجاءت محمدي بيغم بثلاث روايات: "شريف بيٹی" (1913)، و "سگھڑ بيٹی" و "صفيه بيگم" و "آج کل" وقد دارت كلها كما يبدو من العناوين نفسها حول قضايا المرأة. ومن الأديبات البارعات في هذه الفترة، كانت نذر سجاد التي أتت بعشر روايات، بجانب مئتي قصص قصيرة[11]، كانت كلها تصويرا عن حياة الطبقة المتوسطة العليا الهندية قبل الاستقلال ولكن ينبض فيها قلب المرأة العادية التي تمنى بالآلام وترزح تحت ثقل ظلم المجتمع. وذاع صيت "حجاب إسماعيل" التي عرفت فيما بعد باسم "حجاب امتياز علي"، واشتهرت بكتابة قصص تتميز بالإبداع والرومانسية، كما ذاع صيت "مسز عبد القادر" التي أعطت القصة الأردوية مكانة مرموقة، وحددت لها اتجاهات واضحة، وقد برعت في استخلاص نتائج ميتافيزيقية رومانسية من الأحداث الواقعية، وأبدعت هذا الفن في الأردوية.

بدأت اتجاهات النسوية البارزة تظهر في الأدب الأردوي من العقد الرابع من القرن العشرين. ويعتبر ظهور مجموعة "انگارے" (جمر) التي نشرتها رابطة الأدباء التقدميين نقطة انطلاق للنسوية في الأدب الأردوي، وقد ضمت المجموعة قصتين لرشيد جهان: (دلی کی سير) (نزهة في دلهي) و (پردے کے پيچھے) (وراء الحجاب)، انتقدت فيهما مفاسد المجتمع الأبوي انتقادا لاذعا، حيث تناولت فيهما المعايير والقيم المتباينة للرجل

[10] - صدف، مشتاق، **اردو کی خواتين فکشن نگار**،(دہلی: سابتيه اکادمی، 2014)، ص: 79.

[11] - المرجع نفسه، ص: 80.

والمرأة بالنقاش الصارخ[12]. لم يكن هدف نشر مجموعة "انگارے" ترويج الرؤية النسوية ولكن الثورة التي طبعتها والأسلوب المتمرد والجرأة في التعبير بشكل واقعي صريح عن معايب المجتمع، هي التي مهّدت الطريق إلى ظهور الفكر النسوي في الأدب الأردوي.

رشيد جهان:

كانت رشيد جهان هي الأديبة النسوية التي تظهر لأول مرة في كتاباتها ملامح النسوية الواضحة وبشكل نظري عميق. بدأت الكتابة منذ أن كانت في المرحلة الثانوية من التعليم حول قضايا المرأة، وكان نشر قصتها في مجموعة "انگارے" أول دليل على جرأتها وطبيعتها الثائرة. وقد عملت هي من خلال أدبها على كسر قيود السيطرة الأبوية الغاشمة، ولأول مرة على مستوى أدبي، تحدت العقلية البطريركية، ودعت إلى شن حرب أدبية ضد استغلال المرأة الديني والاجتماعي والاقتصادي. يقول الأديب والناقد الأردوي البارز البروفيسور قمر رئيس: "الشيء الذي لم يكن يُتحدث عنه في القصة الأردوية حتى الآن، تحدثت رشيد جهان عنه باللغة الدارجة المستخدمة في البيوت، ومن براعة فنها أن القارئ لا يكاد يشعر بأنه خلال القصة يتفرج على سعة عالم جديد كانت القصة الأردوية خالية عنها من قبل. وقد ارتقت بهذا الاتجاه في الأيام التالية الأديبات الأخريات مثل "عصمت شغتائي" و"خديجة مستور" و"هاجرة مسرور" و"صديقة بيغم" و"رضية سجاد ظهير" وغيرهن إلا أن رشيد جهان كانت في طليعتهن"[13].

عصمت شغتائي:

ظهرت النسوية بعد رشيد جهان، بأقوى صورها عند عصمت شغتائي التي فاقت رشيد جهان في تسجيل الواقع، وفتحت فصلاً جديداً من الواقعية، وأثبتت أنها كانت نسوية بكل معنى الكلمة حيث أن أسلوبها وأدبها ومنهجها الفكري والأدبي ورؤاها الأدبية كلها كانت مصبوغة بلون النسوية. وقد نبعت ينابيع فكرها العالي وأدبها السامي من جرأتها النادرة ومن تمسكها بالواقعية السافرة التى مكنت المرأة أن تتجسد في كتاباتها في صورتها الأصلية مع عواطفها ومشاعرها الأصيلة ومكنوناتها

[12]- وانى، مشتاق احمد، **اردو ادب میں تانیثیت**، ص: 218.

[13]- المرجع نفسه، ص: 219.

ومنغلقاتها الحقيقية بشكل طار بألباب الرجال، بل أدهش حتى المرأة نفسها، التي أدركت أنها لأول مرة تسبر أغوار عالمها الداخلي والنفسي الذي لا عهد لها به من قبل[14]. الواقعية الصارخة هي الميزة الأساسية لأدب عصمت. فهي تكشف بدون هوادة ورحمة عن جوانب حياة الفتيات التي لا تجرؤ أي كاتبة حتى على الاقتراب منها. وقد طرحت عصمت الواقعية الجنسية في رواياتها بكل جرأة وبدون مبالاة بالانتقادات والآراء. ومن خلال تعليقها على موقف "شانتا" الثوري في روايتها "ضدي" (العنيد) بسبب حرمانها من عناية زوجها الجنسية، تفضح الكاتبة نفسيات المرأة الجنسية بشكل يعكس نظرة المجتمع إلى المرأة. فتقول: "كل ما تحتاجه المرأة الهندية هو الزوج والزوج كان متوفراً. فأي عناية تبتغيها! لم يكن نذلاً، ولم يكن يغيب طول الليل، لم يضربها ولم يبع حليتها لشرب الخمر، ولا يغازل الفتيات الأخريات، فبأي ألم روحي كان يؤلمها حتى بدت كأنها تجسيد للاضطهاد. ما أكثر المرأة مكراً وخدعة! وبوجه خاص المرأة التي تدعي بكل حق أنها شريفة محصنة، وما إن مرض زوجها أو تقدمت سنه حتى بدأت تعامل معه معاملة الجزار مع البقرة بعد ما يشح ضرعها بالحليب. وبأحقر حيلة تمتهن البغي وثم تعتبر نفسها مستحقة لمواساة الناس. ما أحسن تلك العادة حيث كانت تحرق في المحرقة كالقمل وإلا كانت الدنيا ملآنة بالمومسات!" [15]. إن في المقتبس السابق نقداً لاذعاً للمجتمع الذي يعتبر المرأة متعة للرجال، ولكن لا يعتبر المرأة إنساناً له عواطف ومشاعر وله رغبات جنسية كذلك. بل يكرس هذا المجتمع في ذاكرة المرأة أنها كائن ضعيف وعاجز مفطور على الذعر والخوف والجبن.

ومن خلال شخصية البطلة "شمن" في روايتها "ٹیڑھی لکیر" (الخط المنعرج)، عرضت الكاتبة للتعقيدات النفسية والاختناق الجنسي التي تعاني منها المرأة منذ الولادة، كما تناولت بالعرض والتحليل العوامل الدينية والاجتماعية والأسرية المختلفة التي تتضافر لصياغة شخصية "شمن" المنحرفة وتشكيل طبيعتها الثورية ومواقفها الذهنية وتعقيداتها النفسية. صورت الكاتبة في الرواية مجتمعاً لا يهتم بقضية المرأة لأنه لا يعتبرها إنساناً، بل يعدها في عداد البضائع ووسيلة من وسائل الإمتاع. وإلى هذه

[14] - المرجع نفسه، ص: 219.

[15] - چغتائی، عصمت، **ضدي**، (على گڑھ: مكتبه ألفاظ، 1982) ص: 107-108.

النظرة الدونية للمجتمع أشارت عصمت على لسان بروفيسور الذي يقول: "المرأة مهما كانت، من الحماقة محاولة فهمها. فإنها لم تخلق لأن تدرس وتُفهم، بل تخلق للاستخدام فحسب... أنت شمن كالطريق التي يمشي عليها آلاف الناس ليلاً ونهاراً ومع ذلك فإنها وحيدة وبدون روح"[16]. ولا يؤكد البروفيسور بقوله إلا ما ترسخ في مخيلة كل مجتمع من تصور خاطئ عن المرأة و ما يعبر عن نظرة كل مجتمعات إليها: "دعه عنك! لا يليق بالمرأة الخوض في السياسة... إذا بدأت الدجاجة يصيح كالديك يجب ذبحها"[17].

وفي روايتها "معصومة"، تفضح "عصمت" عبر شخصية بطلتها "معصومة" التي تضطر إلى قبول حياة الذل والعار، وتجبرها الأوضاع إلى بيع كرامتها وعزها، عقلية الطبقة الرأسمالية التي بفضل ثروتها ونفوذها تهتك كرامة الطبقة الفقيرة وكرامة المرأة المقهورة وترغمها على بيع جسدها. وتصور لنا الكاتبة بوضوح كيف يعتبر المجتمع المرأة بضاعة ويعمل على تشييئها واستغلالها المادي والتجاري والجنسي لإنجاز مطامحه التجارية والسياسية. وهذه هي عادات المجتمع وقوانينه التي تهيأ أسباباً لانتشار العهر وتجبر المرأة على الوقوع في هذه الهاوية السبخة. وهذا المجتمع نفسه يحرق مثل هذه المرأة ويعتبرها فاجرة فاسقة وإن كانت أحسن وأعز من شرفائه. إن "معصومة" التي تتحول إلى "نيلوفر" لتتكفل بمعيشة أسرتها رغم كل محاولاتها الإنسانية وطموحاتها الشريفة، تبقى موسماً في نظر المجتمع وتستحق منه اللوم والعتاب. "إنها فاجرة ووصمة عار على جبين المجتمع. ولكن المجتمع الذي صاغ من "معصومة" "نيلوفر" ليس موسماً وليس فاجراً. وحدها نيلوفر هي فاجرة! نيلوفر التي تتكفل بمعيشة أسرتها والتي هي الأم غير الشرعية لأولادها الذين تطعمهم، هي الفاجرة"[18].

قرة العين حيدر:

تجلت النزعة الجديدة من الاتجاه النسوي، المختلفة من اتجاهات أي أديبة أردوية في روايات قرة العين حيدر وقصصها القصيرة، حيث نعثر فيها على تاريخ كامل

---

[16]- چغتائی، عصمت، **ٹیڑھی لکیر**، (لکناؤ: نصرت پبلیشرز، 1990)، ص: 391.

[17]- المرجع نفسه، ص: 397.

[18]- چغتائی، عصمت، **معصومه**، (دہلی: کتابی دنیا، 2002)، ص: 128.

للمرأة. وهي أول من عرّفت "تيار الوعي" إلى الأدب الأردوي. وقد تميزت موضوعاتها بالعمق الفني والفكر العميق، و تموجت في روايتها موجات هائلة من الفلسفة والتاريخ، وتعانقت فيها علوم الاجتماع والسياسة والحضارة وعلم النفس. دراستها كانت عميقة لكتابات "جيمس جويس" و"فرجيينا وولف" و"كومبتون برنيت" و "دوروثي ريتشاردسون" وغيرهن من أيقونات الحركات النسوية الغربية، فتوسعت ثقافتها وتنوعت منابع فكرها. وقد فاقت هي أقرانها في تصوير مكانة المرأة واضطهادها في مختلف الخلفيات الاجتماعية والأزمنة التاريخية بأسلوب لا مثيل له في الأدب الأردوي. تعبر المرأة في رواياتها عن روح تسافر من نقطة الأزل إلى جهة الأبد بحثاً عن الحب الذي لا يقيده زمان ولا مكان. وأما الرجل فهو تجسيد للأنانية، والغدر والخيانة من صفاته اللازمة. يتكرر هذا المشهد -مشهد خلوص المرأة ووفائها وغدر الرجل وخيانته -في كل رواياتها تقريباً. كما يتجلى من رواياتها أن المرأة مهما تعلمت وتثقفت فلا مناص لها من أن تتعرض لاضطهاد الرجل واستغلال المجتمع. ومن خلال عرض هذه الصورة أرادت الكاتبة التأكيد على أن اضطهاد المرأة في المجتمع ليس بسبب جهلها ونقص في ثقافتها، بل سببه عقلية الرجل التي ترفض فكرة مساواة المرأة بالرجل ولا يروقه حتى أن يفكر في إعطائها حقوقها التي تستحق.

ويكفي عنوان روايتها "لا تخلقني بنتًا في الحياة الثانية" تعبيراً عن الإحساس المؤلم بما يعنى كون المرأة في المجتمع البطريركي. وتلخص قرة العين حيدر حياة المرأة في الفقرة التالية من روايتها القصيرة "ليشتعل مصباح من الذكريات": "أترى شجاعة المرأة! تتحمل مسؤولية إنجاب المجتمع وتربيته. وعندما تصبح عروسة توصف بأنها وضعت لبنة أساس لآلاف السنين الآتية. تلد حياة وتكاد هي تموت... تتحمل المصاعب وتجابه الفقر وضآلة العيش، وتتعرض لخيانة الزوج وكيد الضرة، ورغم كل هذا وذاك، لا تيأس من الحياة"[19]، وتعلق قرة العين حيدر على تعاسة المرأة في المجتمع رغم وفائها وخلوصها قائلة: "من الأزل، المرأة هي المخلوقة التي كتبت لها كل التعاسة في نصيبها، هي المرأة التي تحب الرجال بأنواعهم ومع ذلك تتعرض للطرد في النهاية.

[19] - حيدر، قرة العين، **پت جھڑ کی آوازا**، (نئی دہلی: مکتبہ جامعی لمیٹڈ، 5197)، ص: 138.

يطردها الزوج مرة، والابن مرة أخرى، ويطردها حبيبها مرة ثالثة.. ورغم كل ذلك، تحب المرأة كل هذه الصور من الرجال. هذه هي المرأة التي تلوذ بالمساجد والمعابد والكنائس وتستعين بالمقابر والمزارات، تبكي على تعاستها وتشكو من عجزها"[20].

جيلاني بانو:

من جهة أخرى، تتميز جيلاني بانو بأسلوب منفرد بين النسويات وتشكل أعلومة هامة في الأدب الأردوي النسوي. تتناثر في رواياتها كثرة كاثرة من صور اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية وحكايات الصراع الطبقي. ويتميز أسلوبه بالسذاجة والسهولة لكي يعمل عمل السيف القاطع. نالت روايتاها "أيوان غزل" (1967م) و "بارشِ سنگ" (مطر الأحجار) (1984م) شهرة واسعة. ركزت جيلاني بانو فيهما على ظلم المجتمع الأبوي واضطهاده على المرأة بوجه خاص. رسمت الكاتبة في روايتها "أيوان غزل" صوراً متنوعة من المرأة التي تعيش في مجتمع يسيطر عليه النظام الإقطاعي المتجبر. وذلك من خلال تغطية 30 عامًا تمرّ على "أيوان غزل" في فترة سبقت استقلال الهند وتلتها، وشهدت متغيرات كثيرة على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي. ترسم أحداث روايتها "أيوان غزل" أنه مهما تغيرت معايير الحياة وترقت أساليب العيش وتطورت الثقافة إلا أن المرأة لا يتغير وضعها ومكانتها ولا يتحسن نصيبها بل تبقى تتعرض للاستغلال والاضطهاد والتمييز والحيف في كل حال من الأحوال. تدور هذه الرواية حول النظام الإقطاعي الذي ساد في مجتمع حيدرآباد، وتحاول إبراز الظلم والاضطهاد والاستغلال الذي تعرض له المجتمع بما فيه المرأة تحت هذا النظام. فالمرأة في هذا المجتمع الإقطاعي تحتل درجة ثانوية ومكانة منحطة. تعتبر ولادة البنت فيه شؤما وتعاسة، وتعد ولادة الولد سعادة وتفاؤلاً وأملاً في جلب الثروة والرخاء. وقد صورت الرواية هذا التمييز بين الجنسين في مشاهد مختلفة وصور شتى[21].

تعالج رواية جيلاني بانو الثانية "بارشِ سنگ" (مطر الأحجار) قضية استغلال الطبقة الكادحة المادية والروحية على أيدي الأثرياء وأصحاب العقارات والأراضي في الهند قبل استقلال البلاد بقليل وبعدها، وتتناول مشكلة العمل بدون الأجرة لسداد

[20]- المرجع نفسه، ص: 136.

[21]- بانو، جيلانى، **ايوانِ غزل**، (دہلى: ايجوكيشنل پبلشنگ ہاؤس، 2012)، ص: 51.

الديون. وفي خلفية هذا السياق، تعرض الرواية صوراً عديدة لاضطهاد المرأة ومشاكلها في المجتمع. وتسرد حكاية وضع المرأة المؤلم وحياتها التعسة في خلفية استغلال الطبقة الكادحة على يد الإقطاعيين. تتناول الرواية خاصة أوضاع نساء الطبقة الكادحة وما يعانين من ظلم واستبداد وانتهاك لحرمتهن على أيدي أمراء النظام الإقطاعي، وتصور صور إجبار النساء على العمل في منازل الأمراء والتجار وحقول الإقطاعيين وتعرضهن لهجوم رغباتهن الجنسية العارمة حيث لا يسعهن إياهن ولا رجالهن أن يحتجوا ضدهم، وبذلك فإن الرواية تطرح صور الكبت والضغط التي يفرض عليها المجتمع لأسباب مختلفة وبأساليب متنوعة[22].

رضيه فصيح أحمد:

بدورها سعت رضية فصيح أحمد بروايتيها "آبله پا" (مقروحة القدمين) (1961م) و"انتظار فصل گل" (في انتظار فصل الربيع) (1965م) إلى إبراز مكانة المرأة الاجتماعية وقضاياها في المجتمع. وألقت الضوء على السيطرة الذكورية ونفاق المجتمع الذكوري. وفي كلتا الروايتين، تشكل المرأة البؤرة التي يدور حولها السرد الروائي. إن رضية فصيح أحمد تعي بمشاكل المرأة وترسمها في رواياتها ولكنها ليست ضد الرجل بل تعترف بمشاكل الرجال أيضاً ولكن تعتقد أن مشاكل المرأة أكثر من مشاكل المرأ بضعفين. لا تظهر المرأة في رواياتها في صورة امرأة ثائرة متمردة تكسر قيود المجتمع وتخرج على قوانينه بل هي بصبر تتحمل المشاكل وتحاول مغالبتها بشجاعة في أمل أن يجيء يوم ستتمكن المرأة من الانعتاق منها. ولا أدلَّ على صورة المرأة وقضاياها في رواياتها وقصصها مما قالته بنفسها في المقتبس التالي: "المرأة في رواياتي وقصصي تتجشم الآلام، وتتحطم بداخلها وتتفاهم مع الأوضاع قدر وسعها وتعيش وتموت في أمل أن يتسنى لها يوماً حق القرار والاختيار. وبعض عمليات التفاهم التي تتم بلا وعي، تجعل المرأةَ تتجلى في صور متنكرة غريبة..... تحاول بعض النسوة الحصول على تعاطف الآخرين بتحويل قلقهن الذهني في أمراض جسدية، والمرأة التي لم تستطع ذلك، تبقى تحترق بنار وعيها، كما احترقت كل من "صبا" في رواية "مقروحة القدمين"، و"تارة" في

[22]- بانو، جيلانی، **بارشِ سنگ**، (حيدرآباد: اردو مركز، 1985)، ص: 27.

رواية "في انتظار فصل الربيع" و"غل" في رواية "متاع الألم" و "صباحت" من رواية "إيلام الغرام"[23].

خديجه مستور:

في وقت كانت الشخصيات النسائية في الروايات إما اتصفت بمعايير الأخلاق السامية أو عُرضت في صور مشوهة كريهة، سلكت خديجة مستور طريقاً وسطاً وعرضت قضايا المرأة بأسلوب هادئ متين، مدافعة عن حقوق المرأة على غرار الأدباء الرجال ولكن بشكل أكثر عمقاً وأشد ارتباطاً بعوالم المرأة الداخلية ونفسياتها العميقة. جاءت خديجة مستور بستة إصدارات تشمل روايات ومجموعات القصص القصيرة، إلا أن الكتاب الذي جلب لها صيتاً وسمعة ورسخ اسمها كأديبة بارعة بين الأدباء البارزين هو روايتها "آنگن" (الفناء)، ورواية "زمين" (الأرض) (1987م). وما يميز فن خديجة مستور أنها لا تتبع أي نموذج ولم تتحدد كتابتها في قالب، بل نبعت من تجاربها الذاتية فكتبت في ضوء تجاربها الشخصية غير متأثرة بكتابات الآخرين.

تعرض روايتها الأولى "آنگن" (الفناء) (1962م) صراعات المرأة الذهنية في وجه إغماض الرجال عن حقوقها الأساسية، مما يعرضها لأقسى أنواع العذاب ولا يدع لها مجالاً إلا الصبر وتجرع مرارة الحياة. تنحدر بطلة الرواية "عالية" من أسرة تحمل جذور النظام الإقطاعي الذي لا يعتبر المرأة إلا متعة للنظر ولإشباع الرغبات الجنسية. المرأة فيه ليست كائناً قائماً بالذات بل هي مجرد شيء لا يمتلك قوة ولا نفعاً، وتنهال عليه دائماً دروس عبادة الزوج، "لا يهم الفتاة في الحاية إلا أن تحب، و تهرب أو تُغتصب"[24]، وأما رجال هذا النظام، فيتخذون لا أقل من أربع محظيات يلدن أولاد حرام وهم أثقال على عاتق الأسرة. ولا تستطيع الزوجة أن تمنع زوجها من زواج آخر بل حتى أن تعارضه. ونسجت خديجة مستور حبكة روايتها الثانية من خيوط المجتمع الباكستاني المسلم بعد انقسامها من الهند، وصورت نفاق المجتمع وكذبه وانهيار المبادئ التي تأسست عليها الدولة الجديدة. وفي سياق ذلك عرضت قضايا المرأة التي لا تتغير لها الدنيا ولا نظرة المجتمع أبداً، مهما تغيرت الأوضاع والبلاد. فالمرأة ليست إلا بضاعة يسلبها المغتصبون

[23]- احمد، رضيه فصيح، **بے سمت مسافر**، (كراچی: مكتبه اسلوب، 1983)، مقدمة.

[24]- مستور، خديجه، **آنگن**، (لاہور: سنگ میل پبلی کیشنز، 2012)، ص: 109.

والمشاغبون ضمن البضائع الأخرى وغنيمة يفوز بها الفائزون في الحرب. وتعبر الراوية عن هذه الرؤية المشينة للمجتمع الذكوري نحو المرأة عبر قول "ناظم"، أحد شخصيات الرواية، الذي يقول مستهزئا بالشيخ حين يسمعه ينحب على بنته التي اغتصبها المشاغبون: "يا بابا! أي بنت أنت تناديها؟ لم تكن هي بنتًا! بل كانت أثمن الغنائم، ولن تعيدها صرخاتك"[25].

خاتمة البحث:

لقد جسدت كتابات عصمت تشغتائي وقرة العين حيدر وجميلة هاشمي ورضيه فصيح أحمد وخديجة مستور وجيلاني بانو وبانو قدسية وصغرا مهدي وغيرهن احتجاجاً بل كانت كل الاحتجاج على قيم المجتمع المعاصر الأبوي الذي دائماً نظر إلى المرأة ككائن ضعيف ومحكوم. فتبلورت فيها بكل وضوح صور اضطهاد المرأة الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وتموجت فيها تيارات الثورة والنقمة. حملت هؤلاء الكاتبات وعياً عميقاً بالمجتمع وكانت على دراية بحقوقهن، فلم يكتفين بالدفاع عن حقوقهن فحسب، بل عرضن المرأة في شخصيات اتصفت بالوعي الحاد بحيل المجتمع الخداعة التي يوظفها الرجل لاستعبادهن أو إجبارهن على بيع حسنهن. إن الشخصيات المتمثلة في الروايات النسوية عرضت صوراً للمرأة مختلفة عن صور تبلورت في نتاج أدباء المجتمع الذكوري. فكانت شخصيات حرة مستقلة يناضلن من أجل الحصول على الحقوق المتساوية لا في داخل الفضاء الخاص بل في مجالات اجتماعية وسياسية واقتصادية كذلك. وبالإجمال، كما يرى الأستاذ الناقد عتيق الله "شهد الأدب الأردوي الكاتبات الكثيرات من رشيد جهان إلى عصمت تشغتائي وبعدها إلى السيدة حنا، اللواتي أنطقن من خلال إبداعاتهن شخصية المرأة وشعورها وتعقيداتها النفسية وصمتها، فأصبحت المرأة الآن محترفة وعلى دراية كاملة بمكر الرجل وحيله وهي واعية ومستقلة برأيها ورؤاها"[26].

[25] - مستور، خديجه، **زمين**، إي بك: (كتاب پوائنٹ بلاگ پوسٹ، بدون سنة الطبع)، ص: 6.

[26] - آراء، شبنم، **اردو ناول پر تانيثيت كے اثرات**، ص: 139

المصادر والمراجع:

- أحمد، رضيه فصيح، بے سمت مسافر، كراچی، مكتبه اسلوب، 1983م.
- آراء، شبنم، اردو ناول پر تانيثيت کے اثرات، دلهي الجديدة، أطروحة الدكتوراه المقدمة إلى جامعة جواهر لعل نهر، 2006م.
- بانو، جيلانی، ايوانِ غزل، دہلی، ايجوكيشنل پبلشنگ ہاؤس، 2012م.
- بانو، جيلانی، بارشِ سنگ، حيدرآباد، اردو مركز، 1985.
- پاشا، انور، تانيثيت اور ادب، دهلي، عرشيه پبلی كيشنز، 2014.
- تشغتائی، عصمت، ٹيڑھی لكير، لكناؤ، نصرت ببليشرز، 1990م.
- تشغتائی، عصمت، ضدي، علی گڑه، مكتبه ألفاظ، 1982م.
- تشغتائی، عصمت، معصومه، دہلی، كتابی دنيا، 2002.
- توبان، لويز، تيارات الفكر النسوي، موقع الحوار المتمدن، العدد 4060، أبريل 2013م.
- جاويد، عقيلة، اردو ناول ميں تانيثيت، ملتان، بهاء الدين زكريا يونيورسيٹی، 2005م.
- حيدر، قرة العين، پت جھڑ كی آوازا، دلهی الجديدة، مكتبه جامعه لميٹڈ، 1975م.
- صدف، مشتاق، اردو كی خواتين فكشن نگار، دہلی، ساهتيه اكادمی، 2014م.
- كبير، فہميده، اردو ناول ميں عورت كا تصور - نذير احمد سے پريم چند تک، نيو دلهی ، مكتبه جامعه لميٹڈ، 2012م.
- مستور، خديجه، آنگن، لاہور، سنگ ميل پبلی كيشنز، 2012م.
- مستور، خديجه، زمين، الكتاب الإلكتروني، بدون سنة الطبع ومكان النشر.
- مہدی، صغرا، اردو ناولوں ميں عورت كی سماجی حيثيت، نيو دلهي، سجاد پبلشنگ ہاؤس، 2002م.
- وانی، مشتاق احمد، اردو ادب ميں تانيثيت، دہلی، ايجوكيشنل پبليشنگ ہاؤس، 2013م.
- Gamble, Sara, The Routledge Companion to Feminism and Postfeminism, 2006, New York, Routledge.

جماليّات فن البديع
في شعر العبّاس بن الأحنف وديك الجن الحمصيّ

ردينة القاسم*
Email: rudaina983@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة جماليّات فنون البديع في شعر العبّاس بن الأحنف وديك الجن الحمصيّ، فشعرهما بليغ، يتميّز بمحسّنات لفظيّة ومعنويّة تلألأت كثيراً حتى غدت أشبه بشموس مشرقة وأقمار بازغة أضاءت في سماء البلاغة.

استُهلّ البحث بتعريف البديع وأنواعه وتحليل فنونه البلاغيّة المتنوعة ودلالاتها في شعر العباس بن الأحنف وديك الجن، وأثرها في تحسين الكلام لفظاً ومعنىً، في عالم بديعيّ جماليّ واسع.

كلمات مفتاحية: بديع، بلاغة، جماليات، ديك الجن، العبّاس.

Abstract:

This research article will deal with aesthetics of ingenuity arts in the poetry of Al Abbas bin Al Ahnaf and Deek Al Jin Al Homsi who were great poets during the Abbasid Caliphate.

The article starts with definition of ingenuity and its types, and makes an analysis of its various rhetorical arts, and their denotes in the poetry of Al Abbas and Deek Al Jin.

مقدمة:

يُعدُّ علم البديع أحد علوم البلاغة العربية: (المعاني، البيان، البديع)، وهو عالم واسع من الإبداع تظهر فيه ملامح النظم العجيب المتميّز بنعوت الجمال الرائع.

لقد كان شاعر الشام ديك الجن الحمصي من روّاد المدرسة الشاميّة التي عُرفت بالتثقيف والتهذيب في عالم العطاء الشعري؛ حيث تفاعل مع الحياة الجديدة في العصر العباسي، فكان يُرضي حسّه البديعي ونزعته العقلية واتجاهه للتعبير عن

* باحثة الدكتوراه، جامعة البعث، حمص، سوريا.

الذات، فكانت الصنعة التصويريّة تخدم انطلاقته. كما اشتُهر شاعر العراق العباس بن الأحنف بفن البديع، وأصبحت المعاني في شعره تعانق الصنعة البديعية، فكانت الصناعة الفنية في شعرهما تمثّل الأشكال المختلفة التي يلبسها الموضوع، وتبرز من خلالها المعاني في صور رائقة معجبة، وألوان جذّابة، تتعلق بها النفوس وتُناط بها العقول.

تعريف علم البديع:

هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[1].

ووجوه تحسين الكلام ضربان: معنويّ ولفظيّ. فالأول راجع إلى تحسين المعنى أولاً وبالذات وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً، والثاني راجع إلى تحسين اللفظ أولاً وبالذات وإن كان بعضها يفيد تحسين المعنى أيضاً[2]. إنّ البديع ليس علماً يُقصد لذاته وهو لا يقصد إلا بعد أن يكون هناك معنى نريد التعبير عنه، ونكفل وضوحه وحسن بيانه[3].

فنون البديع في شعر العباس وديك الجن الحمصي:

- **التطريز:** من فنون البديع اللفظي، والتطريز هو أن تذكر مجموعة من الذوات مفصّلة، ثم يخبر عنها بحسب العدد الذي أُتي به[4].

وهذا ديك الجن الحمصي يخاطب محبوبته قائلاً لها: إنّ جبينك وعنقك وأسنانك عبارة عن مجموعة صباحات بيضاء مشرقة:

جبينُك والمقلَّدُ والثَّنايا صباحٌ في صباحٍ في صباحِ[5]

---

[1] -القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، **التلخيص في علوم البلاغة**، شرح عبدالرحمن البرقوقي، (مصر : المكتبة التجاريّة الكبرى، ط2، 1932م)، ص: 350.

[2] -الشيرازي، الأستاذ: الشيخ أحمد أمين، **البليغ في المعاني والبيان والبديع**، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ط1)، ص: 247.

[3] -ياسين، د. مأمون محمود، **من روائع البديع**، (دبي: دار الفكر العربي، ط1، 1997م)، ص: 41 -42.

[4] -الأشقر، د.محمد سليمان، **معجم علوم اللغة العربية (عن الأئمة)**، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ -1995م)، ص: 136.

[5] -رغبان، عبدالسلام، **ديوان ديك الجن الحمصيّ**، تحقيق: مظهر الحجي، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2004م)، ص: 106.

لقد اشتمل صدر الكلام على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني، وجاء العجز مخبراً عن هذه الذوات بصفة مكررة بلفظ واحد، وهذا يدل على شدّة جمالها وشدّة تعلّقه بها، وبذلك استطاع هذا الفن أن يؤثر في النفس تأثيراً حسناً يثير ذهن السامع، وذلك بمجيء هذه الكلمات المتتالية الرائعة كروعة الطراز.

وتزداد فاعلية التطريز كلما كانت فكرته واقعية صادقة، لما يتحقق فيها من تجارب المتلقي معها، وإحساسه بوجدان الشاعر من خلالها، وبذلك يتم إبراز العمل الفني بصورة رائعة.

- **ردّ العجز على الصدر:** فن بديعي لفظي، وهو في النثر أن يُجعل أحد اللفظين المكررين، أو المُتجانسين، في أول الفقرة، والآخر في آخرها، وفي الشعر أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره، أو صدر الثاني[6].

وهذا ما نراه في قول ديك الجن:

سُكْرانِ: سُكرُ هوىً، وسُكرُ مُدامةٍ أنّى يفيقُ فتىً بهِ سكرانِ[7]

هنا تظهر علاقة البداية بالنهاية، فالبدايات تدلّ على النهايات، والنهايات تدل على البدايات لأنّ ردّ العجز على الصدر علاقة لغوية متماسكة بين الأول والآخر في البيت.

وهكذا فإنّ ردّ العجز على الصدر عند ديك الجن إشارة فنيّة مُعبّرة، غرضها تأكيد المعنى وجذب انتباه السامع، إنّه يُعاني من تأثير السُكر بنوعيه: سُكر من الحب وسُكر من الشراب، ومن المستحيل أن يفيق من سُكرته إذا سيطر عليه سُكر الحب والخمر معاً.

وترجع أهميّة ردّ العجز على الصدر في هذا البيت إلى ما يُحدثه من "تلوين موسيقي جميل وترجيع نغمي، يُضفي على الصورة مجالاً يضاعف من متعة الإحساس بها".

---

[6] -الأشقر، د.محمد سليمان، **معجم علوم اللغة العربية**، ص: 227.

[7] -رغبان، عبدالسلام، **ديوان ديك الجن الحمصيّ**، ص: 276.

فاستخدم هذا الفن بهدف التوكيد وبيان الأهميّة، فضلاً عن تقوية الأنغام، وتشابه الإيقاع بتكرار النغمة المنبعثة من ألفاظ البيت لإحداث جرس موسيقي رائع.

-تأكيد المدح بما يشبه الذم: من البديع المعنوي، ويكون بأن يُستثنى من صفة ذم منفيّة عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها[8].

فالعبّاس بن الأحنف يتوجّه بكلامه إلى محبوبته فوز فيقول لها: ليس فيكِ عيب ينتقده الناس إلا طرفك الساحر، وكما نعلم أن الطرف الساحر ليس بعيب ولكنه أراد أن يؤكد المدح بما يشبه الذم بأسلوب بليغ، لأنّه حين قال (إلا) انصرف الذهن إلى عيب فإذا هو من أطيب المدح:

فأنتِ التي ما فيكِ شيء يَعُدُّهُ لكِ الناسُ إلا أنّ طرفَكِ ساحر[9]

الشاعر استخدم أسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم لأنّه يزيد المعنى وضوحاً بعد شك، وجلاء بعد ظن، فالبيت السابق يؤكد وجود صفة ما من خلال أسلوب يوهم أنّ ما بعد (إلا) سيأتي صفة ذم لكننا نتفاجأ بأنّ ما جاء بعد أداة الاستثناء صفة مدح، وهكذا يؤكد الاستثناء في هذا الفن البديعي أنّ حسنه المعنويّ ناشئ من أثر أداة الاستثناء التي يُبنى عليها.

– التخيير: هو أن يأتي الشاعر أو الناثر بفصل من الكلام أو بيت من الشعر يسوغ أن يُقفّى بقوافٍ شتّى، فيتخيّر منها قافية مرجّحة على سائرها بالدليل، يدل اختياره لها على حذقه[10].

ونجد ذلك في شعر ديك الجن الحمصي:

قولي لطيفِكِ ينثني عن مضجعِي عند المنامْ
فعسى أنامُ وتنطفي نارٌ تأجَّجُ في العظامْ
جسد تقلّبُهُ الأكفُّ على فراشٍ من سَقامْ
أمّا أنا فكما علمتِ فهل لوصلِكِ من دوامْ[11]

[8] -الأشقر، د.محمد سليمان، **معجم علوم اللغة العربية**، ص: 110.

[9] -الأحنف، العباس، **ديوان العبّاس بن الأحنف**، ت: عاتكة الخزرجي،(القاهرة: مطبعة الكتب المصرية، 1373هـ -1954م)، ص: 144.

[10] -طبانة، بدوي، **معجم البلاغة العربيّة**، (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ط3، 1408هـ -1988م)، ص: 210.

فهذه القوافي المثبتة بعد كل بيت لائق كل منها به والأُولى أَولى وأرجح؛ فإنّه يليق أن تكون قافيته: (رقاد، هجوع، هجود، وسن) مكان "منام" ولكنّ الأرجح يليق بها.

كما يليق أن تكون قافية البيت الثاني: (فؤاد، ضلوع، كبود، بدن) مكان "عظام" ويليق أن تكون قافية البيت الثالث: (قتاد، دموع، وقود، حزن) مكان "سقام". ويصلح أن تكون قافية البيت الرابع: (معاد، رجوع، وجود، ثمن) مكان "دوام" ولكن "دوام" هي الأولى والأرجح.

وتكمن أهمية تغيير القافية عند ديك الجن للتأكيد على موهبته الشعرية أمام حبيبته ورد، في أول لقاء لهما، فيقول لها: امنعي خيالك من زيارتي ليلاً لعلّي أستطيع أن أنام مرتاحاً، إذ تخمد نار حبّك المُتأججة في قلبي وعظامي، فقد أصبح جسمي مُعذّباً دائماً على فراش المرض.

- **التسبيغ:** من فنون البديع اللفظيّة، التسبيغ هو أن يُعاد لفظ القافية في أول البيت الثاني، وسمّاه قوم تشابه الأطراف[12].

وقد ترك التسبيغ عند العبّاس بن الأحنف علاقة لغوية متينة بين البيتين الآتيين:

كتبتُ فليتني -مُنّيتُ وصـــلاً - ولم أكتبْ إليكِ ما كتبــتُ

كتبتُ وقد شربتُ الراحَ صرفاً فلا كان الشرابُ ولا شربتُ[13]

فالعباس يؤكد ندمه على كتابة الرسالة لمحبوبته ويتمنى لو أنّه لم يفعل ذلك، وقد أعاد لفظ القافية في أول البيت الثاني ليؤكد على فعله الذي قام به وهو كتابته المكتوب إلى محبوبته، فالتسبيغ يدل على وجود علاقة قوية متماسكة بين البيتين اللذين أكّدا على ما حدث للشاعر.

- **التورية:** هو أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ويُراد البعيد اعتماداً على قرينة خفيّة[14].

---

[11] -رغبان، عبدالسلام، **ديوان ديك الجن الحمصي**، ص: 204.

[12] -الأشقر، د.محمد سليمان، **معجم علوم اللغة العربية**، ص: 124.

[13] -الأحنف، العباس، **ديوان العباس بن الأحنف**، ص: 95.

[14] -الشيرازي، الشيخ أحمد أمين، **البليغ في المعاني والبيان والبديع**، ص: 256.

وذكرها السكاكي بلفظ الإيهام فقال: "وهو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد، فيذكر لإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أنّ المراد به البعيد"[15]. وهذا ما نجده عند ديك الجن الحمصي، عندما ذكر كلمة"شمساً"، فأراد بالمعنى القريب الشمس الطبيعيّة أما المعنى البعيد فقصد بها الخمر:

شربنا في غروبِ الشّمسِ شمساً لها وصفٌ يجلُّ عن الصفات[16]

التورية موجودة في كلمة"شمساً" لأنّها تورية عن الخمر، فكلمة شمس فيها استخدام غير مألوف يوحي بالغرابة والدهشة على الرغم من وجود قرينة في الكلام مثل"شربنا"، والشرب لا يمكن أن يكون للشمس الطبيعية، وإنما للخمر.

- **مراعاة النظير:** ويُسمّيه أصحاب البديع التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة أيضاً.

وهو **في الاصطلاح:** أن يجمع الناظم أو الناثر أمراً ما يناسبه لا بالتضاد لتخرج المطابقة، سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى، إذ المقصود جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أي وجه من الوجوه[17].

والعباس كان ممن أتقن هذا الفن، في قوله:

أتأذنونَ لصبٍّ في زيارتكُم فعندكُمْ شهواتُ السمعِ والبصرِ[18]

لقد جمع الشاعر بين السمع وما يناسبه لا على وجه التضاد، فناسب بين السمع والبصر لأن الجمع بين كل أمر وما يناسبه أوضح من أن يدل عليه.

- **الجناس:** الجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وهذان اللفظان المُتشابهان نطقاً المُختلفان معنى يُسمّيان "ركني الجناس" ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة[19].

---

[15] -السكاكي، أبو يعقوب محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، (بيروت: المكتبة العلمية الجديدة)، ص: 201.

[16] -رغبان، عبدالسلام، **ديوان ديك الجن**، ص: 98.

[17] -عتيق، عبدالعزيز، **علم البديع**، (بيروت -لبنان: دار النهضة العربية)، ص: 179.

[18] -الأحنف، العباس، **ديوان العباس بن الأحنف**، ص: 147.

[19] -عتيق، عبدالعزيز، **علم البديع**، ص196.

ووجه الجمال في هذا أنّ الجناس يتمتع بقدرات صوتية خاصة، ويرسم في الأذن هالة موسيقية من خلال حروف الألفاظ في حركات المشابهة، وإيحاءاتها المتواترة مما يُشكّل طاقة تعبيرية تغني المعنى، وتجعل الأداء أخّاذاً[20].

فحين يصف ديك الجن غلاماً وقد نزل إلى الماء ثم خرج منه وكأنّه مرتدٍ غلالة بلون الخمر، وذلك لاحمرار بشرته، يقول:

وَرَدَ الماءَ ثمَّ راحَ وقدْ أصْدَرَهُ الماءُ في غلالةِ راحِ[21]

لقد جاء الشاعر بالجناس التام بين "راح" و "راح" فالأولى بمعنى ذهب والثانية بمعنى الخمر، وهذا أضفى على المشهد كامل الأبعاد والألوان والأصباغ، حيث تتداخل كل هذه الخطوط لترسم بالجناس التام لوحة شعريّة بتكاملها وشمولها.

ومن الصنعة البديعية عند ديك الجن قوله:

أنا من قولي مليحٌ أو قبيحٌ مُستريحُ[22]

فبين "مليح" و "قبيح" طباق، وبينهما أيضاً جناس ناقص، وهذا من أبدع ألوان البديع، ومن أشدّها التصاقاً بالصنعة الفنية المتفردة، والتي تأتي بيسر وسهولة، وإبداع واقتدار، دون أن يعقّد الشاعر المعنى، أو يوقعه في ظلام الإبهام أو الغموض أو الالتواء، وذلك أنّ صوته بقي مرتفعاً، وسرى الإبداع يعمّق قدرة الشاعر على منح شعره غِنىً بكل المعطيات الفنيّة.

خاتمة البحث:

نخلص من هذا البحث أنّ الدلالات البلاغية في شعر العباس وديك الجن كثيرة جداً ومتنوعة ولا يمكن فهم هذه الدلالات إلا بإتقان فنون البلاغة العربية، ومن ذلك فن البديع. كما أنّ هذه الدلالات البديعية التي تكمن وراء المعاني الثانية أعطت لعملية الإبداع الفني مشاهد جمالية مؤثرة بسبب قيمتها في تشكيل رؤية الشاعر الفنان تجاه الحياة والكون.

---

[20] -سلطاني، محمد علي، **البلاغة العربية في فنونها**، (دمشق: مطبعة زيد بن ثابت، 1980م)، ص41.

[21] -رغبان، عبدالسلام، **ديوان ديك الجن الحمصي**، ص107.

[22] -رغبان، عبدالسلام، **ديوان ديك الجن الحمصي**، ص105.

المصادر والمراجع:

- الأشقر، د.محمد سليمان عبدالله، معجم علوم اللغة العربية (عن الأئمة)، مؤسسة الرسالة: ط1، 1415ه -1995م، حقوق الطبع محفوظة.
- الأحنف، العباس، ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق عاتكة الخزرجي، دكتوراه الدولة في الآداب (السوربون)، القاهرة: مطبعة الكتب المصرية، 1373ه -1954م.
- رغبان، عبد السلام، ديوان ديك الجن الحمصي، 161 -236ه، جمع وتحقيق ودراسة: مظهر الحجي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2004م.
- السكاكي، أبو يعقوب محمد بن علي، مفتاح العلوم، بيروت، المكتبة العربية الجديدة.
- سلطاني، محمد علي، البلاغة العربية في فنونها، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، 1980م.
- الشيرازي، الأستاذ الشيخ أحمد أمين، البليغ في المعاني والبيان والبديع، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ط1.
- طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط3، 1988م.
- عتيق، عبدالعزيز، علم البديع، بيروت -لبنان، دار النهضة العربية.
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، التلخيص في علوم البلاغة، شرح عبدالرحمن البرقوقي، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط2، 1932م.
- ياسين، د.مأمون محمود، من روائع البديع، دبي، دار الفكر العربي، ط1، 1997م.

صورة المرأة في الرواية اليمنية
روايات محمد عبد الولي نموذجا

د. أحمد محمد قاسم عتيق*
Email: ahmedateeq444@gmail.com

ملخص البحث:

حاولنا في هذا البحث باستخدام منهج تحليل المضمون الكيفي تبيان نظرة مجتمع الرواية، ومدى انتقال قوة تأثير حياتنا الاجتماعية إلى مجتمع الرواية وخاصةً علاقة طرفي المجتمع المرأة و الرجل. وتتجلى مشكلة البحث التي نُعنى بوساطتها تبيين نوع المكانة التي تشغلها المرأة، ونظرة الأديب إليها وتأثير ذلك على المُتلقي (المجتمع) في تطوير نظرته نحوها، أم أنه يبقى مُتمترس خلف العُرف والعادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تسمح للمرأة بتجاوز دورها المُتمحور حول خدمة الرجل؟.

وتكمن أهمية هذا البحث في محاولة التعرف على وعي الكاتب في تناولاته لقضايا المرأة عبر رواياته، وبحسب علمي أن هذا البحث يُعد الأول من نوعه في اليمن في إطار سوسيولوجيا الأدب، لذلك سيكون إضافة نوعية للدراسات العلمية.

كلمات مفتاحية: الرواية اليمنية، صورة المرأة، المجتمع، محمد عبد الولي.

Abstract:

In this research article, we tried to use qualitative content analysis methodology to show the community's vision of the novel, And the extent of the transmission of the influence of our social life to the society of the novel, especially the relationship between the two sides of society, women and men.

The importance of this research lies in the attempt to identify the writer's awareness in his discussions of women's issues through his novels, As far as I know this research is the first of its kind in Yemen within the framework of sociology of literature, so it will be a qualitative addition to scientific studies.

* أستاذ مساعد، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء، اليمن.

مقدمة:

حينما نتحدث عن نظرة المجتمع إلى المرأة لابد أن ندرك الكيفية التي يتعامل بها المجتمع بتكويناته من الرجال والنساء وهل هو يحط من مكانة المرأة عبر الفرض من الرجل، أم بالاستسلام لذلك المرأة؟. ومن ثم تُحَدد مكانة المرأة في أسرتها ومجتمعها على أنها تابع يؤدي وظائف فرضها العُرف الاجتماعي، لكي تُلبي مصالح المجتمع ومصالح الرجل، وهنا نحاول التعرف على نظرة الأديب الروائي إلى المرأة في أعماله، ونوعية الأدوار التي يمنحها لها، وأثر تلك الأدوار في مكانتها الاجتماعية ضمن الوسط الاجتماعي للرواية، وما إذا كانت الصورة تكريس غير واعي لتفاصيل الحياة الاجتماعية في تعاملها مع المرأة بوصفها المرأة، والزوجة، والأخت التي تتحمل الكثير من الواجبات نحو أسرتها ومجتمعها ولا تحصل إلا على اليسير من الحقوق. سنناقش تفاصيل هذا البحث عبر عنوانين رئيسيين:

الأول: نظرة الأديب إلى المرأة.

الثاني: المرأة ومكانتها في الأسرة.

فيما يلي نُناقش بدايةً نظرة الأديب إلى المرأة في المحور الأول من هذا البحث.

نظرة الأديب إلى المرأة:

يعُد المجتمع الأديب عينه الفاحصة لما يُقدمه من أعمال تُسهم في تطوير الوعي العام، وتوجيهه الوجهة الصحيحة بنقده للأحوال القائمة التي يعيشها أعضاؤه رجالاً ونساءً، ولكن المشكلة تكمن في عدم اتساع أُفق هذا الأديب أو ذاك، حينها لا تعكس رؤى الروائي أو غيره من الكُتاب طموح المجتمع، وإنما تكرّس ما هو سائد، وهنا نشير إلى أن الأدب عامةً والرواية خاصة تعالج قضايا المرأة بنحو لا يقدم أي أثر إيجابي يعكس وعي الأديب العميق بتلك القضايا، ولا يرتقي بالوعي العام للمجتمع في اتجاه تحقيق العدالة والمساواة.

وإنما ظلت المرأة دائماً موضوعاً للحب والجنس والغزل، لا موضوعاً للعلم والعقل، وصورتها المتناثرة في ثنايا كتب الشعر والأدب توحي بأنها خُلقت قاصرة عاجزة، وأن قصورها كامن في طبيعتها، فلا يصح وجودها إلا بالرجل، إنها ملحق به

ومن متاعه بمقتضى هذا المفهوم، قلما نجد المرأة المحاربة والفاعلة في التاريخ، بل النادبة والقاصرة، فمثلاً الغزل والشعر هنا من نصيب الرجال أما الرثاء فهو من صناعة المرأة، ودورها في النمط المثالي للمرأة الصالحة يقتصر على صناعة الرثاء والكلام والأعمال المنزلية بخلاف النمط المثالي الآخر الذي يتمثل في الغزل والشعر والأدب. إن ألف ليلة وليلة تلك التحفة الفنية التي تعد من روائع الأدب الإنساني، وإن بدت أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع فإنها واقعية في نظرنا لسببين، أولهما أنها تعبر عن الوعي الباطني للمجتمع بتصوره للمرأة المثالية جميلة وخيالية، وثانيهما أنها تعبر عن حقبة تاريخية معينة طغت فيها عقول الجواري والحريم.

"فالرجل الكاتب وهو يبني شخصية البطلة الأنثى في روايته، ولكي يرفعها إلى مرتبة المساواة يعمل على تنمية عناصر الذكورة، بينما تعمل الكاتبة المرأة على تنمية عناصر الأنوثة في شخصية البطل الذكر"[1]،"لذا تقوم الكاتبة النسوية لتعيد تأسيس العلاقات العضوية مع الجسد جسد العالم وجسد المرأة بعيداً عن منظومة التفكير الأبوي وثنائياتها، ولاحقاً ستلفت جوليا كريستينا نظرنا إلى طبيعة عملية التهميش والقمع والتخريب التي تصيب المرأة بسبب الصراع ضد الرجل الذي ينظّم الخطاب السائد عن الهوية، فهي تشكك في مفهوم الهوية نفسه وترفضه، فالأنوثة بحسب رأي كريستينا مفهوم خلفته بنية التفكير الأبوي وهيمنتها في مجتمع تسوده مركزية الكلمة بتعبير جاك ديريدا"[2].

ويُلاحظ أن الراوي اليمني بتعبيراته يُظهر المرأة كأنها لا تحسن إلا استدعاء الأساليب المختلفة التي بها تؤكد أنوثتها التي يرغبها الرجل. وفي رواية "الرهينة" ما يعبر عن رؤية الكاتب دماج بوساطة ما يسرده في ثنايا روايته عن نساء القصر وما يقُمن به من التحرش الجنسي الذي صدر من نساء الإمام تجاه الرهينة، وبحادثة تسلل زهرة أخت النائب العانس إلى غرفة الدويدار الحالي في منتصف الليل، ويصف الراوي الرهينة

[1] -نجم، مفيد، "المرأة في مرايا الذات والآخر"، **مجلة الموقف الأدبي**، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ع،334، ص: 66.

[2] -الصكر، حاتم، مفاهيم ومقتربات نظرية حول النقد والكتابة النسوية، مجلة الحكمة اليمانية، مطابع مؤسسة الثورة للصحافة والنشر، عـ 206 -207، تموز - أيلول 1997م، ص: 58.

جميع نساء قصر النائب بالفساد الأخلاقي والجنسي ليطول الشريفة حفصة نفسها؛ تلك المرأة الجميلة التي أحبها الرهينة، وذلك عندما يشير إلى أن جناح الشريفة حفصة قد تحول بسبب كثرة الخمور فيه وتنوعها إلى خمارة بأكملها[3].

وهذا يدعو إلى التفكير فيما يحمله الكُتّاب، ولاسيما الروائيين منهم وكيف أنهم ما زالوا مُكبّلين بأوهام أصبحت لا تتلاءم مع الحياة التي نعيشها ونبحث فيها عن الطرائق التي توصل الكل الاجتماعي إلى العدالة للجميع. وهذه الأوهام تتمثل في آراء الفلاسفة، وعلى سبيل المثال ما قاله توماس : "إن الرجل هو الذي يبدأ ويرغب الجنس وعلى المرأة أن تستجيب له، وقد اعتقد توماس أنه من المضر لصحة الرجل أن يختزن السائل المنوي، ولهذا وجدت المرأة من أجل صحة الرجل، وأن البغاء مقبول كشر لابد منه، لأن طبيعة الرجل تحتاج إلى هذا البغاء صمام أمان، وحتى لا يختزن السائل المنوي داخل الرجل"[4].

إذاً فهذه الفِكَر تعكس أنه لابد من احترام رغبة الرجل من المرأة التي يعدها هذا الفكر ليست إلا مُجرد وعاء للتفريغ، وحاجته تقتصر على الملء وما يذهب إليه الإرياني في رواية "رُكام وزهر" يعكس هذه الانتهازية من الرجل للوصول إلى تحقيق أهدافه، والنص الآتي يعبر عن ذلك. "فكرت حليمة، وتدبرت أمرها، وحبكت خطتها، وكان المنوبي قد استولى على جسدها، ولكنها لم تكن قد استولت على مشاعره نحوها كونها أنثى واعدة للرجل. وهو يكشف لها هدفه، الذي يخدم جسدها من أجله، ويطلب مساعدتها للوصول إليه، ثم يزين لها الأيام التي ستأتي بعد رحيل الزمنتال، وكيف ستغدو لطيفة رهينة لهما"[5].

إن ما يُظهره النص أن المرأة (حليمة) بأُميتها وجهلها وغيرتها من السيدة لطيفة أختها قد جعلها أداة طيّعة بيد الرجل (المنوبي)، فيوحي لنا الراوي بهذا النص نظرة

[3] -ينظر: دماج، زيد مطيع، **الرهينة**، (بيروت: دار الآداب، ط1، 1984م)، ص: 16 -21.

[4] -السعداوي، نوال، **الرجل والجنس**، (القاهرة: دار مطابع المستقبل، ط 4، 1991م)، ص:53.

[5] -الإرياني، يحيى علي، **رواية ركام وزهر**، (بيروت: دار التنوير، ط 1، 1988م)، ص: 97.

الأديب أو الكاتب إلى نوع المكانة، أو المنزلة التي يمنحونها للمرأة أولاً، فهي وأخيراً مُجرد وعاء لإشباع رغبة الرجل.

هذا الأمر الذي يعكس أنانية واضحة من الرجل نحو المرأة بعدم اعترافه بإسهامات المرأة ونفي قُدرتها على تنمية المجتمع والحفاظ على الأسرة على أنها كيان يمد المجتمع بالحياة المتجددة. ولهذا "فإن الرواية الحديثة كما يرى "أندريه مارلو" ليست تصويراً لحال الفرد، وإنما وسيلة متميزة للتعبير عن مأساة الإنسان"[6] التي تكمن في النساء سواء أكان ذلك في المجتمع العام أم كان في مجتمع الرواية، "لعب الرجل فليزين الرجل لعبته ما استطاع فإن ذلك أدعى لشهوته وأملأ لعينه وأظهر لمحاسن المرأة. وأدوم للألفة والمودة"[7]. والإبداع بهذه الصورة لن يستكمل شروطه إلا إذا تحققت ضوابط موضوعية مرتبطة بالحريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لأن المثقف بهذه الروائية يمكنه أن يجسد الواقع أو يعبر عنه على نحو وأفضل مما نطلع عليه ويظهر علينا يومياً مجسداً رؤية المتبوع للتابع[8].

إذاً فهذه هي الصورة التي يركز على إيضاحها روائيونا، فماذا يعني أن يتخيل المرأة بطلة الرواية، وهي في كامل صورة الإغراء، لينقل إلينا صورةً من صور ألف ليلة وليلة، وقد علاها غُبار التاريخ. والأدباء ولاسيما الروائيين بفعلهم هذا يُريدون أن يشدونا إلى الخلف، وهذا الفعل يُعطل حركة الحياة، وتطلعات المجتمع إلى المستقبل تُدخله في إمكانية التآلف والمودة اللتين ينتج عنهما السلم والعدل الاجتماعيان، وهنا نذهب إلى تأكيد عدم انجرار وعينا إلى صورة من اليوتوبيا عن المستقبل لا يبنى على خلفية أساسها مُقومات الواقع الاجتماعي، أو انجذابنا إلى صورة تُعيدنا إلى تبنّي قيم نُحاول أن

---

[6] -كروك شانك، جون، **ألبير كامي وأدب التمرد**، ت: جلال العشري، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1986م)، ص: 205.

[7] -الكعبي، ضياء عبد الله خميس، **صورة المرأة في السرد العربي القديم**، دراسة في كتاب الجاحظ، والأغاني، والسير الشعبية العربية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها من كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، 1999م، ص: 94.

[8] -ينظر: قديد، دياب، الإبداع الأدبي والفكرة السياسية واقفاً وأماما في السبعينيات بالجزائر نموذج، مجلة الكاتب العربي والاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، دمشق عدد61 -62، تشرين الثاني 2003م، ص: 22.

ننساها في حين أن أدباءنا وروائيينا ما زالوا يجدون في ما يتناولونه مُلائماً لأذهانهم، وكلتا الصورتين تبتعد بنا عن فهم قيم العصر الجديدة، والمنتظر من الروائيين خاصة والأدباء عامة ألا يجعلونا مادة تُزين صفحات أعمالهم، وإنما يجب أن يُحاولوا الاقتراب من المُحيط الاجتماعي والطبيعي ولو كان الاقتراب بطيئاً إلى حدٍّ ما.

نجد أن الروائيين اليمنيين كعبد الولي يقدمون المرأة في أعمالهم بصورتها الناصعة المُضحية من أجل أسرتها ووطنها، إلا أنه يُغلف هذه الصورة بالجنس ويُغرق في ذلك فتخدش تضحيات المرأة ويُساء إليها.

يلاحظ القارئ بوضوح "أن شخصية "المرأة" تبرز بقوة في أعمال محمد عبد الولي القصصية التي تتخذ الهجرة موضوعاً لها، ولاسيما " المرأة في الريف" ولعل أقرب دلالة لذلك هي أصدق الدلالات أيضاً؛ فقد أبرزت تجربة الهجرة اليمنية شخصية المرأة ولاسيما في الريف -حين أوكلت إليها، بل فرضت عليها، أن تنفرد بتحمل أعباء الحياة وتكاليفها، حتى يصح أن نزعم في غير إسراف أن الحياة في ريف اليمن تدين بالفضل للمرأة أولاً، فلا غرابة إذاً أن تفرض حضورها الكثيف على الأعمال الفنية التي تتحدث عن الهجرة والمهاجرين"[9]. "ويقول جرار جينيت من السهل أن نتصوّر وصفاً خالصاً بدون عناصر نثرية، ولكن من الصعب أن نتصور العكس، لأن السرد يتلبس بالوصف"[10]. وفي هذا الاتجاه يسير الروائيون اليمنيون بالمرأة مركزين اهتمامهم على فحولة الرجل مقابل استسلام المرأة لرغبات الرجل وتلبيتها .

"فلا عجب أن نرى قضية الجنس عند "محمد عبد الولي" تشكل وفرة كبيرة! ففي روايته "يموتون غرباء" يعوض الكاتب شخصيته المأساوية "عبده سعيد" عن غربته ومرارتها بما أثار حوله من مبالغة في وصف فحولته، فقد شاع أنه ذاهب بنفسه إلى بعض نساء الفيلات ذات الحدائق غير المتناهية الخضرة ويقال إنه ضاجع امرأة في الخمسين، والكاتب يرتكز على الجنس في معظم قصصه (فنعمان) في (صنعاء مدينة

[9] -رومية، وهب، مشكلة الهجرة في أعمال محمد عبد الولي القصصية، مجلة اليمن الجديد، ع 6، مؤسسة سبأ للصحافة والأنباء، صنعاء، حزيران 1987م، ص: 78.

[10] -حميد، رضا، **المكان في اللص والكلاب**، المصدر السابق، ص: 79.

مفتوحة) نسخة أخرى من عبده سعيد، إن محمد عبد الولي يجعل الجنس تعويضاً لأبطاله المعذبين حيث يشكل في نهاية الأمر انتقاماً من العذابات التي تلاحقهم"[11].

وكان محمد عبد الولي في روايته "يموتون غرباء" قد جعل الجنس محوراً يقدم به شخصيات روايته ويعالج مشكلاتها الاجتماعية وغيرها من المشكلات التي تواجههم في الحياة اليومية، ومن ذلك شخصية طائتو، "إذ كانت هناك فتاة عمرها في السادسة عندما حضر عبده سعيد إلى الحي وفتح دكانه وكانت تستمع إلى ما يقال عنه..، وكانت تكبر ويكبر معها حلم في أن يمتلكها عبده سعيد هذا الذي صورته أحلامها فارس الفرسان تماماً...، كذلك العملاق الذي ركب حصاناً وبيده رمح يمزق به جسد حيوان خرافي مخيف كالمعلق فوق الجدار عند سرير أمها...، وقد كانت ترى أمها وهي تنحني كثيراً أمام هذه الصورة، وصورة أخرى لامرأة سمراء جميلة وجهها ينبعث نوراً وبيدها طفل أسمر جميل يبتسم.

كانت الطفلة تظن أن أمها تركع أمام عبده سعيد لأنها سمعتها تتحدث عنه كثيراً بحب وإعجاب وتذكر مرات كثيرة ذهبت فيها إلى دكانه وكانت تلح على أمها أن ترسلها بدلاً من أن تتعب نفسها وكانت أمها توافق، كانت تقف ساعات أمام عبده سعيد تقيس جسده العملاق ووجهه الطفولي الشكل وعينيه العميقتين كالفارس المعلق في غرفتها، وبلغت الخامسة عشرة... وكانت أحلامها تعذبها -فهي ترى الجميع يتحدثون عنه، بل يقولون أحياناً بصراحة إنهم عرفوه، وذهبت إليه إنها تذكر جيداً كل شيء، كان الوقت مساء والساعة منتصف التاسعة، والليلة مقمرة بعد مطر خفيف، وريح تهز أشجار الشارع، ولم يسمع في المساء زئير الأسود في الحديقة، وكانت ترتجف، ولم تكن مرتهبة فلقد انتظرت هذه اللحظة سنوات طويلة لكنها كانت تريد أن تعرف ما الذي سيحدث

نظر إليها كالعادة وقال:

مرحباً طائتو ما الذي تريدينه؟.

[11] -شريف، محمد حامد، **الاتجاه الواقعي في قصص الأديب اليمني محمد أحمد عبد الولي**، (طنطا: التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، ط1، 1991م، ص: 32.

أوه لا شيء، أبداً لقد جئت من ... أجل... أوه.

ونظر إليها وهو يبتسم واستمرت هي في حديث مضطرب.

أوه... لقد نسيت لعنة الله على الشيطان...، أيها القديس جرجس ساعدني، لكنه وقف خلف دكته ينظر إليها كالعادة.

وكادت تنفجر فيه بغضب...، لماذا لا يتحرك؟ لماذا يقف بابتسامته البلهاء؟ لقد كرهت أول مرة ابتسامته وكانت تنظر بحُمى إلى جسده العملاق... وكانت عيناها تائهتين.

وبدأ يدرك، رأى صدرها في حركاته الثائرة... ورمانتين -تكادان تمزقان صمت الثوب القديم، وشفتاها قد انفجرتا عن أسنان بيض مفرقة... عرف كل شيء... ولم يبتسم.

كان هناك بجانب الباب الكثير من الأكياس الفارغة بجانب أكياس أخرى، لا تزال مليئة بالدقيق والسكر والرز وأشياء أخرى، رأت الباب يغلق بهدوء ورأت نفسها ترتفع، وكانت نائمة على الأكياس الفارغة، وأول مرة في حياتها نامت في الدكان... وأول مرة أيضاً نامت امرأة في الدكان وشهد الباب الخلفي ومن ثم السور... فتاة سمراء تقفز إلى الشارع، وعلى شفتيها ارتواء أعوام عشرة"[12].

لننظر كيف جعل محمد عبد الولي في روايته "يموتون غرباء" عبده سعيد أسطورة في الجنس تتمحور حولها أحلام النساء ورغباتهن لإشباعهن جنسياً بما في ذلك صغار السن منهن، إن يكبرن يذهبن إليه لتحقق حلمهن فيه، وهذا يدعونا إلى الانتباه لنوع المكانة التي يمنحها الأديب للمرأة في أعماله ملخصة طموحها لإرضاء أنانية الرجل. وكذلك هو في أعماله الأخرى الروائية والقصصية التي تحتل المرأة فيها المكانة الدنيا فضلاً على أنها الوسيلة لإمتاع الرجل من دون اعتراض وتكون في ذلك قد جنبت نفسها الغضب والعقاب، وحظيت بالرضا.

ونحن نرى المرأة في العالم القصصي وقد سلبت ملامحها الفردية وقرت في القالب نفسه للصورة المثالية التي يرسمها المجتمع وينتظرها من هذا النوع من النساء قالب مقوماته الانصياع والخضوع والسلبية وانعدام العدوانية والتضحية بالذات وتحمل المشاق والصبر على المكاره والرضا بالواقع والرحمة والشفقة والعطاء إلى جانب الرقة

[12] -عبد الولي، محمد أحمد، **رواية يموتون غرباء**، (بيروت: دار العودة، ط 3، 1981م)، ص: 20 -22.

والعذوبة أيضاً. غير أن صورة المرأة المثالية ليست بالصورة الوحيدة التي نلقاها في القصص العربي وليست بالوجه الوحيد من أوجهو التَشيئ إذ تتعدد صور الازدواجية والانقسام والتَشيئ في صور الشخصيات النسائية التي تطل علينا من العالم القصصي[13].

وهذا ما نلاحظه في أعمال محمد عبد الولي الروائية والقصصية، فنعمان في "صنعاء مدينة" مفتوحة لا هم له إلا الاستمتاع مع امرأة أخرى، ويهجر زوجته للكد والعمل والشقاء في البيت والحقل، وكأنه غير معني بالأمر عدا اهتمامه بمتعه وعلاقاته الجنسية واتكاله على زوجته للاهتمام بمعيشته وأسرته.

وذلك ما بينه نعمان في مراسلاته مع صديقه إذ "أقول لك الحق إنني شعرت بالمتعة الحقيقية مع هذه الفتاة أكثر مما عرفتها مع غيرها حتى زوجتي، كانت يا صديقي امرأة محرومة من زوجها منذ سنوات، وأنا لا أجد ما أريده في المنزل، زوجتي في عملها منذ الصباح حتى المساء...وأنا لا عمل لي منذ الصباح حتى المساء، وهكذا وجدنا أننا نستطيع أن نهب بعضنا السعادة، لقد كانت بداية علاقتنا... علاقة بريئة، ولكن لماذا لا نستغل الفرصة... ونتمتع، هل هناك مانع... في داخل أنفسنا، لكن كنا خائفين في البداية ...ولكن خوفنا تلاشى عندما أدركنا... أن سعادتنا هي فوق كل خوف"[14].

ألا يدعونا هذا إلى التفكير في حقيقة العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة ضمن مجتمع الرواية بالمكانة التي يمنحها الكاتب في أعماله للمرأة، إذ تكون في حال تسمح للرجل باستغلال جسدها وجهدها ووقتها مسخراً كل ذلك من أجل راحته. ولو أدى ذلك الأمر إلى إيهامها بقدرتها على فرض سيطرتها المزيفة في البيت باستخدام وسيلة الجنس من قبلها لتحفيز الرجل أو كبته.

إن ما ذكر ينطبق على الرواية اليمنية، إذ يجري التركيز على ما يدور في السطح الاجتماعي، وإغفال ما وراءه ويتسبب في إذكاء الصراع الاجتماعي بين طرفي

---

[13] -الزيات، لطيفة، **من صور المرأة في القصص والروايات العربية** (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1989م)،د.ط، ص: 40.

[14] -عبد الولي، محمد أحمد، **رواية صنعاء مدينة مفتوحة**، (بيروت: دار العودة، ط 1، 1986م)، ص: 23.

المجتمع. وعلى سبيل المثال: الكاتب حسين سالم باصديق في روايته "عذراء الجبل" يسير في هذا الاتجاه المرسخ فكرة الالتواء على عقلية المرأة عن طريق تلبية بعض طلباتها ويتبين ذلك بالنص الآتي: "لم تجد نفيسة الفرصة فطغت عليها قوة وصرامة زوجها. تذللت له كثيراً لتقصم ظهره فينساق وراء شهواته ويحقق لزوجته الصغيرة الجديدة كل رغباتها، الأمور كانت تسير عكس رغباتها، كان زوجها لا يعجبه بما تدلله به، فهو لا يهمه من المرأة غير مضاجعتها"[15].

ويستطيع الباحث في هذا الجانب من العلاقات والصلات، أن يميز نوعين من العلاقات، فثمة علاقات عاطفية صادقة، ويتجلى أكثرها في صفوف المناضلين والمثقفين الثوريين، ممن ينتمون إلى الطبقة الكادحة، وثمة علاقات زائفة، تكاد تكون محصورة في بعض الأوساط البرجوازية المثقفة، وفي صفوف بعض الثوريين المزيفين[16].

نرى في ذلك أن من المستحيل عدّ المرأة قوة مولد فقط، إنها عند الرجل شريكة ومولد ومتاع للشهوة وإنها الطرف الجنسي الآخر ومن خلالها يبحث الرجل عن ذاته[17]، وهناك من ناحية أخرى دراسات جورج بوليه وجان بيير ريتشارد "التي تندرج تحت ما يطلق عليه القصدية الأدبية وهي تهتم اهتماماً خاصاً بلغة الكاتب وما ينطوي عليه من إيماءات، يمكن الكشف عن دلالاتها"[18] التي نجد أنها تتمحور حول مكانة المرأة في الرواية العربية ولاسيما الرواية اليمنية إذ يتم التركيز على ما يجب أن تقدمه المرأة لأسرتها ولاسيما الرجل الذي يرى أنه السيد فلا يعصى له أمر ولا تؤخر له حاجة، وفي ذلك تكون المرأة قد بلغت رضا الرجل، إذ تصبح المرأة "مادة للذة الرجل وللإشباع

---

[15] - باصديق حسين سالم، **رواية عذراء الجبل**، (عدن: وزارة الثقافة والإعلام، 1988م)، ص: 66.

[16] -ينظر: الشامي، حسان رشاد، **المرأة في الرواية الفلسطينية 1965 - 1985م**، (اتحاد الكتاب العرب 1998م)، ص: 59 - 68. وينظر أيضاً: الراعي علي، **الروية في الوطن العربي**، (القاهرة: دار الناشر العربي ط1، 1991م)، ص: 260.

[17] -دي بوفوار، **الجنس الآخر**، نقلته إلى العربية لجنة من أساتذة الجامعة، (دمشق: دار أسامة، د. ط، ص: 30.

[18] -ياسين، السيد، **التحليل الاجتماعي للأدب**، (القاهرة: مركز الأهرام الدراسات السياسية والاستراتيجية، ط2، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1992م)، ص: 43.

الضروري له للشعور بهويته ورجولته "[19]. "وإلى هذا يشير عيسى الناعوري في "ليلة في القطار، حيث ذكر أن الرجل الشرقي لا يبحث إلا عن الجنس في أي بلد غربي يزوره"[20].

ومع أن الشخصيات المعبرة عن هذه الصورة في الرواية العربية موجهة من المرأة كجنس إلى الرجل ليس زوجاً وإنما جنسياً أيضاً بعدّه مستلب حريتها، ولا يتعامل معها على أنها كائن بشري له إرادة يجب أن تحترم وعواطف ينبغي أن تقدر، فقد تطور معنى الحب ليسمو بالعلاقات بين الرجل والمرأة، وحتى لا يصبح عبودية لا خير فيها للجنس الإنساني والحب ليس أن تهب ولا توهب بل أن تعطي وتأخذ[21].

يُلاحظ أن عبده سعيد يُمارس الانتهازية بأبشع صورها عن طريق إدراكه لحاجة المرأة الجنسية فيستغل ذلك من أجل تحقيق أغراض خاصة، مثل التهرب من الضرائب، كما يوضح هذا الأمر عبد الولي في رواية "يموتون غرباء"، كما يبينه النص الآتي :

وعاد من جديد إلى السرير وكانت ملابسه تنام في أنحاء متفرقة من الغرفة، كانت الحرارة مرتفعة في الغرفة لذلك تمدد دونما غطاء.

-متى ستأتي غداً.. إنني أنتظرك أنت تعرف أن كل ما نعمله محرم علينا، ولكن لا أحد يستطيع أن يمنعنا ما دمنا نريد ذلك، أليس كذلك؟.

أنت أيضا تعرف ذلك.. إن ذلك ليس حراماً ما دمنا نرغب فيه مادام ذلك في مصلحتنا، كل ما هو في مصلحتنا فهو حلال، حلال... أنت توافقني، إنك صامت قل كلمة يا حبيبي بل يا رجُلي القوي.

-أوه.. لا أعرف أنتِ تعرفين إنني لم أدفع الضرائب منذ مدة طويلة، وقد ساعدْتِني أنتِ في ذلك كثيراً، سمعت أن هذا الملعون الأرمني يريد أن يكشف الأمر... أنتِ تعرفين

---

[19] -ينظر: آني آنزيو، **المرأة الأنثى بعيداً عن صفاتها** -رؤية اجماليه للأنوثة في زاوية التحليل النفسي، ترجمة: طلال حرب، ط1، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1412هـ - 1992م)، ص: 18.

[20] -عبيدات أروى عبد الله فارس، **صورة المرأة في الرواية الأردنية 1948 -1985**، (الأردن: وزارة الثقافة، 1995م)، ص: 72.

[21] -وادي، طه، **صورة المرأة في الرواية المعاصرة**، (القاهرة: دار المعارف، 1994م)، ص: 74.

أنني فقير أتعب من أجل أن أربح سنتاً واحداً، هل ستحدثين زوجك حتى يساعدني، إنه موظف كبير يمكنه أن يتلاعب في القضية.

كانا ممتدين فوق السرير... كل ينظر إلى الآخر لحظات، ثم يغيب في أفكاره الخاصة[22].

إذاً فالراوي بهذا النص يجعل المرأة ساذجة، ومن السهل إقصاؤها عن استخدام العقل ليكون إشباع رغبة الجنس عندها هو مَن يوجه تصرفاتها. وهذا يجعلنا نتساءل عن المشكلة التي توجه وعي القاص أو الروائي وغيرهما، مما يدفعهما إلى التركيز على الجنس قضية رئيسة لطرح قضايا المجتمع ومشكلاته، وهل تكمن في تشرب ثقافة المجتمع بطريقة خاطئة أو هي طبيعة قوة عادات المجتمع وتقاليده التي تعكس نفسها على وعي الكاتب والأديب؟ ولأن الثقافة هي أمر منوط بالمجتمع الإنساني ما يدل على أن هذه الغريزة وما يتعلق بها ليست من ثقافة المجتمع الإنساني، وإنما هي من عمل المجتمع البشري المشترك مع الكائنات الحية كلها، ولو أن الثقافة تؤثر فيها في الواقع، ولكن ما ينبغي أن ينعكس الحالة فتصبح غريزة الجنس تؤثر في الثقافة بل تصبح أحد مقوماتها، كما هو سائد الآن في المجتمعات الإنسانية، فالثقافة هي الرصيد الذي يحمله المجتمع الإنساني من فِكَر ومشاعر وأخلاق وفن وأدب وتاريخ وتراث، ...إلخ.

لذا تمتاز المجتمعات الإنسانية عن بعضها باختلاف ثقافتها ونضوجها لأن الثقافة هي بمنزلة هوية المجتمع، ثم هي من الأمور الخاصة لكل مجتمع إنساني، والفرد تتكون ثقافته وشخصيته على الصعيد النفسي والعقلي بناء على ثقافة المجتمع الذي يصنع ويصوغ شخصية أفراده[23].

ولذلك لابد أن يتحرى الأديب ما يدور في المجتمع ويحدث فيه حتى يستطيع التعبير عن همومه بصورةٍ أدق، فالمرأة في معظم هذه القصص الشعبية كثيراً ما تظهر

---

[22] -عبد الولي، محمد، **رواية يموتون غرباء**، المصدر السابق، ص: 38.

[23] -ينظر: إسلامبولي، سامر، **المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح**، (دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعة، ط1، 1999م، ص:57 - 58.

بهيئة الجارية الفاتنة اللعوب والشيطانة في ألاعيبها، والداهية في مكرها وكيدها، والعاشقة الفاتنة في عشقها، والإيجابية في موضوع الحب والجنس مثل الشياطين والجان.

فالمجتمع بكونه رسالة إنسانية تهدف إلى الارتقاء بالوعي العام للمجتمع وكشف الأخطاء له ليتسنى بعد ذلك انتقادها وإصلاحها ثم التطلع إلى حياة جميلة تخلو من الانتقاص لأي من طرفي المجتمع، وعلى هذا المنوال يؤكد "حسين مروة بأن الشعر وكل فن غيره هو تحول خلاف من الواقع الاجتماعي إلى الواقع الفني، وهو في الوقت نفسه، وبجدلية موضوعية، شحنة طاقة بخصوصيات متنوعة، لتحويل الواقع الفني إلى قوة مادية فاعلة، إلى طاقة تغيير وتحويل في الواقع الاجتماعي والطبقي ذاته إلى رافد فني في مجرى النهر الكبير نهر الحياة والإنسان"[24].

إذاً فنظرة الأديب إلى المرأة والمجتمع يُنتظر منها أن تكون هادفة لتحقيق العدالة للكل الاجتماعي وتطوير الوعي حتى يستوعب كلاً من الرجل والمرأة على حدٍ سواء؛ في حل للوئام الاجتماعي بدلاً من الصراع الذي يقلق الأسرة والمجتمع، بعد أن تعرفنا في هذا الموضع على نظرة الأديب وكيف أن آراءه تخلق وعياً إما مُزيفاً، وإما مُستنيراً وفقاً لما يحمله من فِكَر إفادة من مُستجدات العصر ما زالت تحتكِم إلى الماضوية وآثارها السلبية في منعنا من العيش طبقاً لتطلعاتنا المُستقبلية التي تخلو من الزيف والتزييف، لننتقل في العنوان الثاني إلى الحديث عن المرأة ومكانتها في الأسرة.

المرأة ومكانتها في الأسرة:

لقد تعرّفنا في الجزء السابق من هذا البحث إلى نظرة الأديب ونوع الفِكَر التي يُكرسها في أعماله عن المجتمع والمرأة، ولتتضح الصورة فإن هذا الجزء يتعمق في التحليل عن مكانة المرأة في الأسرة حتى نُظهر ما تُقدمه النصوص الروائية اليمنية بأسلوب منهجي نتعرّف به على ما يحدث في مجتمع الرواية. وعندما نقرأ الأعمال الروائية عن مكانة المرأة في الأسرة وأهمية دورها الذي نعيه جميعاً نتوقع من الوهلة الأولى أن هناك نظرة واعية يُقدمها الأديب، ولكن ما يحدث هو أن الأعمال الروائية

[24] -سليمان، نبيل، **سيرة القارئ**، (اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1996م، ص: 22.

تُركّز على فِكر معين ينمُّ عن ميل محدد من قِبل الرجل نحو المرأة، وهذا ما يُؤثر في العلاقات الإنسانية، هذه الكِتابات تُكرّس الفِكَر ذاتها في المجتمع، وبذلك لا يتلقى القارئ أي معلومات تُساعده على فهم حقيقة الحياة بين طرفي المجتمع، وهذه المُمارسات تبدأ في الأسرة ثم تعُم المجتمع العام. وسنبدأ باستجلاء هذه الصورة عن مكانة المرأة عند محمد عبد الولي الذي يُعد أهم كاتب روائي يمني فقدته الساحة الأدبية في أوج نشاطه في سبعينيات القرن السابق، وكان جُل اهتمامه تطوير الفن الروائي في اليمن والوطن العربي لمعالجاته قضايا المجتمع بواقعية ووضوح.

إن محط بدايتنا دائماً تبدأ من محمد عبد الولي لأنه أغزر الكُتاب الروائيين اليمنيين، وأكثرهم ملامسةً للواقع المعيش حتى وإن استقى مواضيع كتاباته من خارج البيئة اليمنية إلا أن تلك المواضيع تظل مُتصلة باليمنيين عن طريق المُهاجرين وما أكثر هجرة اليمني ومن أولئك المرأة التي تُكون محوراً أساسياً في كل أعماله.

فمثلاً ها هي المرأة في قصة "الأرض يا سلمى" لمحمد عبد الولي يُقدمها وهي تعاني ابتعاد زوجها عنها في بلد الغُربة، وتحمل همه، وتخاف عليه من مشقة الاغتراب، فتخالفها صديقتها الرأي إذ تنبهها إلى أن الرجل ببعده عن أسرته ينسى كل شيء في بلده، وينشغل بما يكسبه من المال، ونساء المهجر، وما عدا ذلك لا يذكره إلا عند عودته إلى البلد، وهو ما اتبعه عبد الولي في رواية "يموتون غرباء" وبقية أعماله.

"وما أدراك يا سلمى أنه وحيد ؟ لا تجعلي وجهك يصفر ولا ترتجفي، فكل شيء ليس سوى افتراض. فهو قد يكون وحيداً وقد لا يكون، فالرجال لا أحد يثق بهم.. خاصة حين يكونون بعيداً، لا تراهم عيوننا، فلم لا يكون زوجك أحدهم ؟ أنت تعرفين قصة عمك، زيد الذي ترك زوجته منذ عشرين عاما ولم يعد، إنه حي وله زوجة وأولاد ويقولون: إنه لن يعود وزوجته لا تزال تنتظر هنا"[25]. إذاً فالمرأة اليمنية في أعمال عبد الولي ما عليها إلا أن تنتظر، وتعمل، حتى يأتيها الموت من الشقاء، والتعب، أو يعود

[25] -عبدالولي، محمد، **الأرض يا سلمى**، كتاب في جريدة تشرين، العدد 86، الأربعاء 3 تشرين الأول 2005م، ص: 25.

أحد أقربائها من غُربته سواء أكان أخاً، أم كان زوجاً، وفي الغالب تكون عودته نادرة إذ تفنيهم الغربة قبل العودة.

إذاً فحظ المرأة اليمنية عند عبد الولي كما يُبينه في رواية "يموتون غرباء" وغيرها من أعماله هو أن تكدح، وتشقى من أجل أسرتها في البيت والحقل فضلاً على جلبها للحطب فهي إذاً بجهدها تُبقي نار الحياة في البيت مُشتعلةً وحية لكي لا يموت الأمل عند أسرتها بغياب الرجل، كما فعل ذلك عبده سعيد الذي تأثر بحديث النسوة عن جمال ما يمتلكه المهاجرون من منازل، وكثرة أموالهم فكان ذلك سبباً في هجرته. "عندما لمح بعض النسوة يقفن في الطريق وقد وضعن أحطابهن على سور من الحجارة... وهن يسترحن من رحلة التحطيب سمع وهو يمر بجانبهن إحداهن تقول:

-انظري إلى ذلك المنزل... ألا يشبه بيوت الجنة ؟.

-نعم إنه أبيض وجميل.

وقالت إحداهن... وكانت جميلة وشابة:

يا ترى... من صاحب هذا المنزل السعيد ؟.

وضحكت أخرى وقالت:

-ومن هي صاحبته"[26].

وفي قصة "الأرض يا سلمى" نلاحظ المرأة وهي تعمل طوال اليوم من دون توقف لأخذ قليل من الراحة، وهي التي ظنت أن الانتقال إلى بيت الزوجية سيُريحها من عناء العمل المتواصل ومشقته، فها هي تسأل ما الجديد في حياتها إلا المزيد من الجُهد المُضني وكأن المرأة تُصاب بخيبة الأمل ولا فكاك لها مما فُرض عليها في بيت أبيها، أو بيت زوجها.

ومع هذا تلاقي المرأة الكثير من المضايقات، إلى جانب سوء الظن بها من الرجل الذي لا هم له إلا تقييم الآخرين ولاسيما المرأة. ولو كانت تعمل من أجل معيشة أسرتها، وها هو الرجل في قصة "وكانت جميلة" في مجموعة "شيء اسمه الحنين" لعبد الولي يشرح نظرة الرجال إلى المرأة التي تعمل من أجل العيش بكرامة هي وأسرتها،

[26] -عبد الولي، محمد، **رواية يموتون غرباء**، المصدر السابق، ص: 27 -28.

ومن أجل ذلك هي تعمل من تسع عشرة ساعة إلى عشرين ساعة كما هو واضح في حال المرأة في قصة "الأرض يا سلمى" وهذا يبين أن الرجل يقضي وقته بين العمل في وقت الصباح وبقية وقته يُهدره مع غيره من الرجال في تناول القات والتسلية ليرموا الحمل كله على المرأة، وكذلك الأمر في قصة "وكانت جميلة"، إذ لا هم للرجال إلا الحديث عن المرأة التي تعمل وكيف يستطيعون الوصول إلى تملّكها: "وأصبحنا نحبّها جميعا، وكل حب يختلف عن الآخر، هناك من يريدها زوجة وآخر يريدها عشيقة وثالث يريدها من أجل مالها"[27].

فها هم يختلفون في كيفية العلاقة معها وكلٌّ له هدفه منها وهي لا تعبأ بهم منصرفةً بجهدها ووقتها في عملها، والقصة ترمز لمعنى أعمق ومغزى أبعد، بل إن الأشخاص أداة تكوين الحكاية يصبحون أيضاً رمزاً لمعانٍ أخرى خارج وجودهم الفردي، ومن هنا كانت صورة المرأة في رواية "يموتون غرباء" وكذلك في رواية صنعاء مدينة مفتوحة تعبر عن أزمة الفرد في علاقاته بمجتمعه ولاسيما نظرته إلى المرأة التي لا تتجاوز كونها محط الازدراء؛ فهي العاملة، والفلاحة، والمربّية، وفوق هذا لا يُنظر إليها إلا كونها أداة للمتعة والعمل، ولذا تبقى المرأة فيها تحت القلق وعدم الاستقرار بسبب ما يُمارس عليها الرجل من ضغوط سواء أكان أباً، أم كان أخاً، أو كان زوجاً؛ وذلك عن طريق القمع في بيت أسرتها، أو في بيت زوجها. وهذه الصورة تُبين قتامة الحالة الاجتماعية للرجل والمرأة وصعوبة تجاوزه مادام الوعي لم يأخذ طريقه إلى التطور بل يظل الإحساس لدى المرأة بالدونية وعدم الثقة بالآخر، ولاسيما أن الأعمال الروائية تكرّس ما اعتاده الوسط الاجتماعي من مُمارسات وفِكَر تقليدية تؤكد في بعض السياقات دونية المرأة مقارنة بالرجل ونجد أنه في سياقات أخرى تؤكد ذكاءها وفطنتها ودهاءها[28].

---

[27] -عبد الولي، محمد، وكانت جميلة، في مجموعة **شيء اسمه الحنين**، (بيروت: دار العودة، ط2، 1978م)، ص: 17.

[28] -الكعبي ضياء عبد الله خميس، صورة المرأة في السرد العربي القديم، دراسة في كتاب الجاحظ، والأغاني، والسير الشعبية العربية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية بيروت، 1996م.، ص: 74.

وإن كانت المرأة توصف بهذه الصفات فهي تُسخرها في سبيل الحفاظ على كيان الأسرة والدفاع عن حياة أولادها، والرجل يستغل جانب الحنان فيتغلب بذلك على جانب دهائها، فتسلب منها إرادتها، وتصادر منها مكانتها؛ لتظل محكومةً بأعراف، وتقاليد المجتمع، ثم إن النظرة الجنسية إلى المرأة من الرجل تُلغي أيضاً الاعتراف منه بقُدراتها، ومكانتها المستحقة[29]. وهذا ما يتجلى واضحاً في رواية عبد الولي "صنعاء مدينة مفتوحة" وعلى لسان نعمان وهو يتحدث عن زوجته هند فيُشخص مكانتها وفق النص الآتي:

"إن الزواج والحب في بلادنا... ليسا سوى مجرد لعبة الرجل بالمرأة التي ليست سوى خادمة...للأرض... والبيت... والزوج، إنها مجرد زهرة تتفتح قليلاً ثم تموت... حين ينهكها العمل، وكذلك هي وزوجتي... كانت ناضرة... كزهرة... فأصبحت الآن عوداً يابساً، وأصبحت... مع أنها لم تتجاوز الخامسة والعشرين... عجوزاً كأنها على أبواب قبرها، إنها منهكة مريضة[30].

من النص يتبين أن هنداً قد أصبحت عجوزاً وهي بعد لم تتجاوز سن الخامسة والعشرين وذلك لأن الرجل يستنفد كل طاقات المرأة لما تتحمله من أعباء فوق قُدرتها، ومع هذا نرى أن الراوي يُحدد مكانة المرأة في أسرتها من النص السابق واصفاً إياها بالخادمة في الأرض والبيت ولزوجها أي إنها لا تستطيع القفز على ما يهبُها الرجل من مرتبة، وهكذا هو وضع النساء سواء أكان ذلك في الواقع الاجتماعي، أم كان في مجتمع الرواية. كان الرواة أو غيرهم من الكُتاب لا يستطيعون تقديم توجيه الوعي الاجتماعي الوجهة الصحيحة، أو تسخر أعمالهم الأدبية لنقد ما يعيشه الناس من وعي مُتخلف؛ فإن التقدم نحو العدالة لكل أعضاء المجتمع سيكون عسيراً.

إذ كان وضع المرأة في المجتمع كله مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بقدرتها على إنجاب ورثة من الذكور فضلاً على أن إنجاب البنات كان يعد أمراً مذلاً، وكان عدم

وينظر: دي سوشيه، جاك، برتولت بريشت، ت : صياح الجهيم، دراسات عالمية 21، دمشق: وزارة الثقافة 1993م، ص: 48 -49.

[29] -رايك، ثيودور - ترجمة ثائر ديب، **الدافع الجنسي**، (سوريا: دار الحوار، ط 2، 2001م)، ص: 52.

[30] -عبد الولي، محمد أحمد، **رواية صنعاء مدينة مفتوحة**، (بيروت: دار العودة، ط 1، 1986م)، ص: 18.

إنجاب الأولاد الذكور في الكثير من الأحيان سبباً كافياً للطلاق ولو كان ذلك بعد مرور وقت قصير على الزواج، إن الضوابط الصارمة التي كانت تمارس على المرأة جعلت مبادراتها المستقلة محدودة للغاية، فَبَعدَ سن البلوغ أو قبله كان يحظر عليها إقامة أي صلات اجتماعية بالرجال من خارج دائرة المحرمين عليها، ومن الأمور التي كانت تنال تقديراً عالياً عذرية الفتاة قبل الزواج وإخلاصها الجنسي بعده، وتراوحت العقوبات على خرق هذه القواعد، رد الظن بخرقها بين الخلد والموت على أيدي الأزواج والأقارب من الذكور انتقاماً لفقدان العرض الذي يعتقد بأنه يحدث نتيجة هذه الأفعال، في الوقت نفسه كانت الحرية الجنسية للرجل أقل تقييداً فكان يسمح له بتعدد الزوجات وبالمحظيات[31].

فالنظرة إلى المرأة على أنها جنسي يجب الحفاظ عليه بعزله عن مجتمع الرجل، وهذه الحالة لا يقتصر فيها على اليمن، وإنَّا نجد ذلك في عموم المجتمع العربي، وفي رواية "العودة من الشمال" لفؤاد القسوس ما يعبر عن ذلك: "فأم سلمى تقول لابنتها حين برز صدرها أصبحت كبيرة يا سلمى إياك واللعب مع الأطفال ولا تتحدثي مع أحد حتى جيراننا إلا بحكم ما تفرضه الجيرة علينا"[32].

ولهذا نكتشف أن الرواية اليمنية تعبر عن العلاقات بين الرجل والمرأة في اختيار المكان فيكون في الغالب خارج اليمن، لأن البيئة اليمنية بتحفظها لا تُتيح مجالاً واسعاً ورحباً لذهن الأديب كي يتناول العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة؛ فتكون بلد المهجر بديلاً مثالياً للروائيين اليمنيين ولاسيما أن أكثرهم عاشوا فيها وكانت لهم تجارب أخصبت في أعمالهم الأدبية.

وعلى هذا المنوال كُتبت رواية "يموتون غرباء" لمحمد عبد الولي و"قرية البتول" لمحمد حنيبر و"ربيع الجبال" لمحمد مثنى وغيرهم، إذ يُلاحَظ في تناولهم للمرأة وعلاقاتها. على سبيل المثال إنهم يُسهبون في الحديث عن العلاقات الجنسية للمرأة مع الرجل، حينما تكون علاقة الرجل بامرأة غير يمنية فيظهرونها أن لا عمل لها توفر به حياتها

---

[31] - مولينو ما كسين، القانون والدولة والسياسات الاشتراكية المتعلقة بالمرأة: اليمن الجنوبي صورة المرأة في الدراسات الغربية سلسلة الدراسات المترجمة 3، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، 1997م، ص: 224.

[32] -القسوس، فؤاد، **العودة من الشمال**، (عمان ،1977م)، ص: 258، نقلاً عن: أروى عبد الله فارس عبيدات، صورة المرأة في الرواية الأردنية 1948 -1985، (الأردن: وزارة الثقافة، 1995م، ص:17.

غير الجنس وممارسته، أما المرأة اليمنية كما يرون فدورها لا يتعدى العمل في البيت والحقل فهي أداة يُحركها الرجل كيف يشاء.

ولذلك لا نجد في الرواية اليمنية علاقات حب بين الرجل والمرأة اليمنية، سواء انتهى بعضها إلى الزواج أم لم ينته، والعلاقة بين الفتى والفتاة تكاد تنعدم، فتنعدم معها علاقات الغزل والملاحقة من بعيد أو قريب، تلك التي نراها شائعة في الروايات العربية، مصورة انطلاقات الشباب واندفاعاتهم وميولهم ونزواتهم وتمردهم[33]، إذاً كان المكان له التأثير الواضح في اختيارات الرواة ولاسيما اليمنيين لمواضيع أعمالهم في التعبير عما يُريدون قوله، سواء أكان ذلك عن المرأة أم كان غير ذلك مما يتصل بحياة المجتمع.

وفي ضوء هذا الاتجاه ركزت جميع الدراسات العلمية على تحليل الجسد ودلالته، ذلك لأن إحساس الإنسان بالمكان ينطلق من الإحساس بجسده، وهو أقرب الأماكن إليه مكمناً للرغبات ومركزاً للقوى العقلية والوجدانية والحيوانية، إضافة إلى ذلك فإن الجسد أداة لإدراك العالم فمن الوعي بالجسد يبدأ الوعي بالعالم، لذلك ذهب موريس مارلو بونتي إلى أن الجسد هو المنظومة الرمزية العامة للعالم[34].

وهكذا لوحظ أن عبد الولي قد عكس في أعماله القصصية والروائية ما تُعانيه المرأة من تعب ومشقة، لما تبذله من جهود تتجاوز في معظم الأحيان طاقتها البشرية وحين نُلامس الواقع نجد أن المرأة اليمنية كأنها قد زودت بجهد إضافي على جهدها الأصلي فضلاً على ما تتصف به من قوة الصبر والجلَد، وهذا الأمر يتطابق فيه مجتمع الرواية مع ما يعيشه المجتمع، وهذه هي الصورة عن مكانة المرأة في الأسرة كما قدمها عبد الولي، ونرى الصورة ذاتها تتكرر عند يحيى الإرياني.

---

[33] -خصباك، عائد، **خصوصية الموضوع في الرواية اليمنية، 1962 -1990م**، (صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر، ط1، 1996م)، ص:107.

[34] -حميد، رضا، **المكان في اللص والكلاب**، ص: 69.

إن ما يُقدمه الإرياني في أعماله عن مكانة المرأة في أسرتها يُبين كما سيأتي في النصوص، فهي الخاضعة، وقليلة الحيلة، وهي مَن ينتظر ما يقطع به الرجل من رأي، بل إن مصيرها بين يديه وهذا ما أوضحته نصوص أعماله .

إذ يُظهر الإرياني شخصية الزمنتال في رواية "ركام وزهر" وكأنه الرجل الوحيد في الرواية الذي استطاع السيطرة على قلوب النساء وامتلاكها، في حين كانت النسوة في الرواية لا هم لهن إلا رضا الزمنتال عنهن، وكلهن يردن التزوج منه وهذا ما حدث في نهاية الرواية.

على سبيل المثال: أُم الخير التي لجأ إليها في قرية سمنحار، والسيدة لطيفة التي عمل عندها، وابنة اليهودي يمن التي استضافتها أُم الخير له من أجل إنجاب الذرية، عدا ذلك عمل الكاتِب على إظهار المرأة عاجزة عن فعل أي شيء من دون الرجل ،الزمنتال، ثم إنه لم يُبين دور المرأة في الأسرة وأهميته، بل ما حرص عليه الراوي هو تأكيد تبعية المرأة للرجل، ولو كانت غنية وعندها القدرة على الدخول في عالم المال والأسواق، وهذا ما سنبينه في تعامل الزمنتال مع زوجاته بالنص الآتي: "وبدأت العافية تدب بعينيها فوجهها، وقامت من سريرها تنفع نفسها، وتتمسك بأم الخير إلى جانبها نافرة من الممرضة التي كان المستشفى يرسلها، وقد صنعت لها أم الخير ما تصنعه الأم لوليدها، وهي الممرض والمؤنِس والأنيس تسقيها إن عطشت، وتطعمها إن جاعت، واطمأن خاطر الزمنتال، فاستأذن الممرض والمريض للعودة إلى سمنحار، لمعاونة المعلم ومؤانسة الحامل المنتظرة"[35].

إذاً فالراوي الإرياني يُبين الزمنتال على أنه محور أساسي، لا يمكن الأسرة أن تخرج عن طوعه وإرادته، فهو من يخلق التلاؤم بين نسائه الثلاث، فأُم الخير زوجته الأولى تعتني بزوجته الثانية في حالة مرضها، فيطمئن لذلك فيعود إلى قريته ليؤنس زوجته الثالثة، لأنها حامل ومن ستُنجب له الولد إذاً فهي من يستحق العناية ليس غيرها.

[35] -الإرياني، يحيى علي، **رواية ركام وزهر**، (بيروت: دار التنوير، ط 1، 1988م)، ص:324.

وهذا يكشف عن مدى تركيز الراوي على الرجل. وجعله يتحكم في كل أُمور الأسر ويُنظم علاقته بجميع نسائه، وتبقى المرأة منتظرة لما يُفكر فيه الزمنتال بين نسائه في العاصمة، وفي قرى الريف بين واحدة أفلست وأخرى تلد وثالثة تنتظر وأخرى تستعد للزواج منه.

"وظل الزمنتال صامتاً يتردد فمن سمنحار إلى الريحانة، يتفقد داره ويؤسس عادةً الذهاب والإياب، وقد خلق هذا التأسيس رواية الهمس الثانية، فقد تردد الهمس أن زوجته في العاصمة قد أفلست وأن ابن أبي الريحان يُفكر في بيع داره، واشتد مخاض زوجته فاقعدها مع أبيها في سمنحار"[36]. والراوي بهذه الصورة يُؤكد ما اعتاده المجتمع، فالمرأة ليست إلا للحرث، والنسل، بل إنها "تُملك كما تملك الأرض، وتنتج كما تنتج وتحرث، فهي خاضعة لفعل الرجل واختياراته، وممارساته المختلفة، وهذا تماماً ما يدل على دونيتها "[37]، التي كان من المُتوقع أن يُحاول الرواة تصحيحها، أو نقدها، وليس الاستسلام لها ولقوانينها المُتخلّفة، بما تحمله من فِكَر عدائية لروح العصر ومقوماته التي لا يُمكن لها أن تتعايش مع مُتغيرات المجتمع الحديث الذي لم يعد يقبل بالتمييز بين طرف في المجتمع، وآخر. ويمكن أن نرصد قضية التمييز بين الجنسين واضحة في الحقوق الاجتماعية والسياسية، في ممارسة الحق الاجتماعي، الحرية وإثبات الذات وإبراز القدرات والمهارات العقلية والبدنية، مع الاختلافات الطبيعية، وهذه القضية قائمة على ما هو طبيعي وما هو ثقافي، فالاختلافات الطبيعية بين الجنسين لا تعتمد قاعدة صلبة لحرمان المرأة من القيام بأدوارها الاجتماعية والفكرية والسياسية، أما الاختلافات الثقافية فهي المعرقلة حقيقة لها على أنها طاقة فاعلة وعلى أنها عضو حيوي ومنتج، وهذه الاختلافات الثقافية لا تتأسس إلا على مجموعة من الآراء والفِكَر التي جمعتها المجتمعات المختلفة عن المرأة وعدتها في المجموع كائناً عاجزا عن العطاء، لأنه

[36] -المصدر نفسه، ص: 328.

[37] -علي، أفر فار، **صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني**، (بيروت: دار الطليعة، ط1، 1996م)، ص: 34.

ليس فاعلاً في عملية التكاثر والإنجاب بل عدته منفعلاً ومستجيبا، وهي لا تملك لأمرها زماماً[38].

إذ إن مُكوني المجتمع لم تعد بينهما تلك الفوارق المانعة لِطرف عن غيره في التصدي لأعباء الحياة الاجتماعية وشغل أي دور أصبح مقياسه الكفاءة والقُدرة للرجل، أو المرأة، لكن الأعمال الروائية مازالت تعيش في عصر ما قبل الحداثة والحضارة التي تأخذ بمعيار الاحترام لِكيان الإنسان كونه كذلك سواء أكان ذكراً، أم كان أُنثى.

والإرياني لا يخرج عن هذا المنطق والنص الآتي في رواية مشاهد طويلة من الحكاية يُبين تعامل الابن مع أُمه حين شعر أنها قد أصبحت عبئاً عليه يُربك حركته وطموحاته، فأراد أن يتخلص منها عن طريق تزويجها وحين تمنعت استعان بجارته لإقناعها.

"بل هو قد استعان بجارتهم العجوز الطيبة التي فهمت، وأيقنت أنه لم يقل شيئاً يعد عند الله عقوقاً، ولقد كان وقوف جارتهم الطيبة إلى جانبه عاملاً أساسياً لإدراك المرأة الأُم أن ابنها لا يُشكل أي عقبة تجاه أي صحوة كاملة لعواطفها ومشاعرها الأنثوية الخاصة، وأدركت المرأة الأُم أن ابنها لا يخجل إطلاقاً في حال تجسيد الرغبة عندها لتجديد حياتها، وكانت جارتهم العجوز الطيبة قد تابعت الكثير من خلافاتهما ومُشاحنتهما والتي كانت الأم لا تكف عن اختلاقها، وقد ترك كل ذلك في نفسية العجوز الطيبة مشاعر التعاطف مع الابن العاجز عن تلبية أحلام الأرملة، وترك كذلك حذراً لدى الجارة الطيبة تجاه الأُم. ومن جهة أخرى أدرك أن جارتهم الطيبة تتعاطف معه من دون أن تكون قد عرفته المعرفة الكاملة فقد سمعها تقول لأُمه:

- وماذا في ذلك، إن النساء يتزوجن مرةً أخرى.
- قالت الأُم: أعترف بأني لا أحتمل سماع ذلك منه.

[38] -معتصم، محمد، **الخطاب الروائي والقضايا الكبرى (النزعة الإنسانية في أعمال سحر خليفة)**، (الدار البيضاء: 1991م)، ص: 18.

- قالت جارتهم الطيبة: ومن غيره يستطيع طرح الأمر عليك، إن دماء الشباب جديدة فلا تتزعجي.
- ثم همست في أذنها: لو كنتُ في مثل سنك لما سددت أذني كنتُ سأسمع على الأقل..!!"[39].

وهذا النص يكشف عن عدم الإخلاص من الرجل للمرأة فبمُجرد أن أُمه قد كبرت وليس لها نفع له، بل إنها قد أصبحت في نظره مُعوقاً لحياته وما يرغب فعله، ولو كان شيئاً غير خلقي إذاً فمكانة أُمه وما كانت تعمله في البيت يُمكن استعاضتها بامرأة غيرها، وها قد لاحظنا كيف أن الإرياني لم يتجاوز إفرازات ثقافة المجتمع، بل إنه في ثنايا نصوصه الروائية أكدها وبحوارات شخوص ورواياته ويُبين أن المرأة ليست إلا عبئاً يُعيق طُموحه في الحياة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي عاجزة وعالة على الرجل، ومهما امتلكت من قدرات، أو أموال فإنها تظل مُنتظرة لوقوف الرجل إلى جانبه، أو من دونه لا يمكنها فعل أي شيء، وكأن الراوي لم يستطع خلع ثوب قيم المجتمع التقليدية الجامدة، فانعكس ذلك على كِتاباته.

خلاصة البحث:

من استعراضنا لصورة المرأة في الرواية اليمنية بالتركيز على روايات محمد عبد الولي وعبر القراءة السوسيولوجية نلحظ أن القيم الاجتماعية وعبر سلاح العادات والتقاليد والعُرف تظل مُهيمنة على ممارسات المجتمع ووعيه بمن في ذلك الكُتاب الذي يُفترض أنهم يأخذوا على عاتقهم عملية قيادة التغيير الإيجابي لوعي المجتمع، وإفساح المجال نحو علاقة إيجابية بين طرفي المجتمع، وفئاته، وطبقاته المختلفة على قاعدة المساواة، والعدالة، والاحترام، وصلنا إلى الاستنتاجات التي نُجملها فيما يأتي:

- يبدو تعامل مجتمع الرواية مع المرأة هو انعكاس حقيقي للممارسات اليومية في العلاقات بين طرفي المجتمع (المرأة والرجل) والتي ظهرت طاغية في تأثيرها على كتابة الراوي.

[39] -الأرياني، يحيى علي، **رواية مشاهد طويلة من الحكاية**، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 1996م)، ص: 62 -63.

- يظهر أن الراوي لا يستطيع التخلص من تأثير القيم الاجتماعية فيظهر ذلك في نوعية المكانة التي يمنحها للمرأة في كتاباته إذ تحتل في مجتمع الرواية وخاصةً في الأسرة المكانة الدُنيا، وهذا ناتج عن العُرف الاجتماعي المغلوط الذي ما يزال تأثيره حاسماً في ثقافة الأديب.
- تُظهِر الرواية اليمنية المرأة بوصفها العاملة، الفلاحة، وربة الأسرة تكدح وتعمل في الاتجاهات جميعها خدمةً وعطاء، تُدافع عن الأسرة، وتُلبي كل الواجبات، ولا تحصل إلا على اليسير من الحقوق.
- تبدو المرأة اليمنية وهي تؤدي الأعمال داخل المنزل وخارجه أنها تقوم بجهد إضافي على المعتاد من أجل الوفاء كما تعتقد بكل التزاماتها المتمحورة في خدمة الأسرة والرجل.

المصادروالمراجع:

- الإرياني يحيى علي، رواية مشاهد طويلة من الحكاية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2.
- الإرياني، يحيى علي، رواية ركام وزهر، بيروت، دار التنوير، ط1، 1988م.
- إسلامبولي، سامر، المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح، دمشق، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، ط1، 1999م.
- آني آنزيو، المرأة الأنثى بعيداً عن صفاتها -رؤية اجماليه للأنوثة في زاوية التحليل النفسي، ترجمة: طلال حرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1، 1412هـ -1992م.
- باصديق، حسين سالم، رواية عذراء الجبل، عدن، وزارة الثقافة والإعلام، 1988م.
- الحاج عثمان، رحمة بنت أحمد، صورة المرأة في القصة القصيرة في ماليزيا والأردن، دراسة قدمت لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وأدبها كلية الدراسات العليا الجامعية الأردنية، 1997م.
- حميد، رضا، المكان في اللص والكلاب، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة في اليمن، ع17، 1995م.

- خصباك، عائد، خصوصية الموضوع في الرواية اليمنية 1962 -1990م، صنعاء، مركز عبادي للدراسات والنشر،ط1، 1996م.
- خليفة معتصم، محمد، الخطاب الروائي والقضايا الكبرى النزعة الإنسانية في أعمال سحر ، الدار البيضاء، 1991م.
- دماج زيد مطيع، الرهينة، بيروت، دار الآداب، ط1، 1984م
- دمّاج، زيد مطيع، رواية الرهينة، بيروت، دار الآداب، وزارة الإعلام، الجمهورية اليمنية، ط 1، 1984م،
- دي بوفوار، سيمون، الجنس الآخر، نقلته إلى العربية لجنة من أساتذة الجامعة، دار أسامة، دمشق، د. ط.
- دي سوشيه، جاك، برتولت بريشت، ت : صياح الجهيم، دراسات عالمية 21، دمشق، وزارة الثقافة، 1993م.
- الراعي علي، الروية في الوطن العربي، القاهرة، دار الناشر العربي، ط1، 1991م.
- رايك، ثيودور -ترجمة ثائر ديب، الدافع الجنسي، سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 2، 2001م.
- رومية، وهب، مشكلة الهجرة في أعمال محمد عبد الولي القصصية، مجلة اليمن الجديد، ع6، مؤسسة سبأ للصحافة والأنباء، صنعاء، حزيران، 1987م.
- الزيات، لطيفة، من صور المرأة في القصص والروايات العربية، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، د.ط، 1989م.
- السعداوي، نوال، الرجل والجنس ، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ط1 ، 1991م.
- السعداوي نوال، الرجل والجنس، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ط4، 1991م.
- السعداوي، نوال، الوجه العاري للمرأة العربية، القاهرة، دار مطابع المستقبل، ط3، 1994م.
- سليمان، نبيل، سيرة القارئ، اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 1996م.
- الشامي، حسان رشاد، المرأة في الرواية الفلسطينية 1965 -1985م، اتحاد الكتاب العرب، 1998م.
- شريف، محمد حامد، الاتجاه الواقعي في قصص الأديب اليمني محمد أحمد عبد الولي، طنطا، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، ط1، 1991م.

- الشيخ حفيظة، من أوراق ملتقى الرواية العربية – الألمانية، تجليات المكان في الرواية اليمنية، الرهينة نموذجاً.
- الصكر، حاتم، مفاهيم ومقتربات نظرية حول النقد والكتابة النسوية، مجلة الحكمة اليمانية، مطابع مؤسسة الثورة للصحافة والنشر، عـ 206 -207، تموز - أيلول، 1997م.
- عبد الولي محمد، وكانت جميلة، في مجموعة شيء اسمه الحنين، بيروت، دار العودة، ط 2، 1978م.
- عبد الولي، محمد أحمد، رواية صنعاء مدينة مفتوحة، بيروت، دار العودة، ط1، 1986م.
- عبد الولي، محمد أحمد، رواية يموتون غرباء، دار العودة، بيروت، ط3، 1981م
- عبدالولي محمد، الأرض ياسلمى، كتاب في جريدة تشرين، العدد 86، الأربعاء 3 تشرين الأول، 2005م.
- عبيدات أروى عبد الله فارس، صورة المرأة في الرواية الأردنية 1948 -1985، الأردن، وزارة الثقافة، 1995م.
- عرابي، عبد القادر، المرأة العربية بين التقليد والتجديد، في المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت، ط1، 1999م.
- علي أفر فار، صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1996م.
- غريبه الآن روب، نحو رواية جديدة، ترجمة – مصطفى إبراهيم مصطفى ، دار المعارف بمصر، د.ت.
- قديد، دياب، الإبداع الأدبي والفكرة السياسية واقفاً وأما ما في السبعينيات بالجزائر نموذج، مجلة الكاتب العربي والاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، دمشق عدد61 -62، تشرين الثاني، 2003م.
- كروك شانك، جون، ألبير كامي وأدب التمرد، ت: جلال العشري، القاهرة،الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1986م.

- الكعبي، ضياء عبد الله خميس، صورة المرأة في السرد العربي القديم، دراسة في كتاب الجاحظ، والأغاني، والسير الشعبية العربية، رسالة ماجستير في تخصص اللغة العربية بيروت، 1996م.
- مولينو ما كسين، القانون والدولة والسياسات الاشتراكية المتعلقة بالمرأة :اليمن الجنوبي صورة المرأة في الدراسات الغربية سلسلة الدراسات المترجمة3، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، 1997م.
- نجم، مفيد، المرأة في مرايا الذات والآخر، مجلة الموقف الأدبي، ع 334، شباط 1999م، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999م.
- وادي طه، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، القاهرة، دار المعارف، 1994م.
- ياسين، السيد، التحليل الاجتماعي للأدب مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، 1992م.

عَبقَرُ وَالشُّعَراء

زكريا يونس محمد *
Email: z.elfakary@gmail.com

ملخص البحث:

كان العرب يعتقدون بأن هنالك أرواحًا خفيةً تُلهِمُ الشعراء بالشعر، وأن تلك الأرواحَ الخفية هي الجن، فجعلوا لكل شاعرٍ شيطانًا من الجنِ يُوحِي إليه بالشعر، وكانوا يرونَ أن لهذه الشياطين أماكن ومواطن ووُديانًا تنتشرُ فيها، وكان من أشهر تلك الوُديان؛ وادي عبقر، وهو ما سنتطرق لملامحَ عنه في مقالتنا هذه.

كلمات مفتاحية: الجن، وادي عبقر، الشعراء، العرب.

Abstract:

The Arab heritage had the idea that the poets are inspired by invisible spirit. Arab believed that these souls were the jinn and they exist in certain valleys. These places were famous in the desert, and they had the sounds of whistling and squeaking. The most famous place among them is Wadi Abqar, which we are going to discuss in this research article.

مقدِّمة:

شاعَ في التراث العربي –قديمًا– فكرة تتحدّث عن وجود أرواح خفيّة تلهِم الشعرَ للشعراء، ونسبوا هذه الأرواحَ إلى الجن، وكانوا يعتقدون بوجود أماكن معينة، وأودية تسكنها الجن يحجُّ إليها الشعراء فيستلهمون منها الشعر، حتى اشتهرتْ تلك المناطق باسم (معازف الجن) وهي مواطن شهيرة في الصحاري تصدر أصواتًا ونواحا وصفيرًا ينسبها العربُ إلى الجن، ولعلَّ أشهرَ تلك المواطن التي كانت تسكنها الجن هو "عبقر"، الذي طارت بذكرِهِ ألسنةُ الشعراء في قصائدهم.

عَبْقَرٌ: وضبطه بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح القاف، وهي أرض كان يسكنها الجن، يقال في المثل: كأنهم جن عبقر[1]. قال الجوهري: العَبْقرُ موضعٌ تزعم العربُ أنه من أرض الجن[2].

* باحث وأكاديمي، ليبيا.

قال ابن بَري[3]: قول الجوهري (العبقر) موضعٌ؛ فصوابه أن يقال عبقر بغير ألفٍ ولام لأنه اسمُ علم لموضعٍ كما قال امرؤ القيس:

كأنَّ صَليلَ المرو حينَ تطيره صَليلُ زيوفٍ ينتقدنَ بعَبْقَرا[4]

وقال لبيد:

ومَنْ فادَ مِنْ إخوانِهِم وبَنِيهِمُ كَهُول وشُبَّان كجنَّةِ عَبْقَرِ[5]

وقال كُثيِّر عَزَّة:

جزتكَ الجَوازي عَنْ صَديقِكَ نظرةً وأدنَاكَ ربِّي في الرَّفيقِ المقـــرّب
مَتى تـأتِهم يَومًا مِنَ الـدَّهـْرِ كـلِّه تجِدهُم إلى فَضلٍ عَلى النَّاسِ ترتب
كـأنَّهم مِنْ وَحْشِ جِنٍّ صَريـــمَةٍ بعبقـرَ لمّـا وجَّهتْ لـم تغيَّـــــب[6]

أين يقع عبقر؟

اختلف الباحثون في تحديد موقعه، وذلك يرجع لتعددِ الأماكن التي يطلقُون عليها الاسم نفسه، إلا أنهم اتفقوا على أنه في الجزيرة العربية.

فقد ذكر بعضهم أنه يقعُ في أرض اليمن – وهو المشهور–، قال ياقوت الحموي: "عبقرُ من أرض اليمنِ... موضعٌ مسكون وبلد مشهور به صيارف... ولعلّ هذا البلد كان قديما وخرب، وكان ينسب إليه الوشي -وهو نوع من الثياب -فلما لم

---

[1] -لسان العرب (مادة: عبقر)، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي، (ت: 711هـ) بيروت: دار صادر، ط3، 1414 هـ.

[2] -مختار الصحاح (مادة: عبقر)، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط 5، 1999م.

[3] -أبو محمد عبد الله بن بري بن عبد الجبار بن بري، النحوي، الشافعي (ت 582هـ)، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (ط30/ص136) القاهرة، طبعة الرسالة، ب.ت.

[4] -الكندي، امرؤ القيس بن حجر، **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبي الفضل، (القاهرة: دار المعارف، ط 4، 1984م)، ص:65.

[5] -لسان العرب (مادة: عبقر).

[6] -الخزاعي، كُثير بن عبد الرحمن بن الأسود، **ديوان كُثيّر عزة**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، 1971م، ص:264.

يعرفوه نسبوه إلى الجنّ"[7]، ثم أشارَ ياقوت الحموي إلى أن هنالك موضعا آخر بنواحي اليمامة يُطلقُ عليه –أيضا– (عبقر) فقال: "وعبقر أيضا موضع بنواحي اليمامة..."[8].

قلتُ: واليمامة اليوم تقع في ضواحي الرياض في البلاد النجدية، وقد بحثتُ في عدة معاجم تهتم بجغرافيا "**نجد**" منها:

-صفة جزيرة العرب لابن الحائك الهمداني[9].

-المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية[10].

-أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع[11].

-منطقة الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية[12]، وغيرها من المراجع التي عُنيَتْ بجغرافيا منطقة اليمامة قديما "نجـد"؛ فلم أجدْ حسبَ اطلاعي – وفوق كل ذي علمٍ عليم– أحدًا منهم أشارَ لمكان "عبقر اليمامة " تحديدًا، ولعلَّ تشابهًا وقعَ في الأسماءِ وأن مُرادَ من قال إن عبقرَ موجودٌ في يمامة نجد هو موطنٌ آخر كان يُعرف باسم (عَبَاقِرُ) وهي منطقة مائية لقبيلة بني فزارة[13]، والتشابه في التركيب بين حروفها مع كلمة (عبقر) هو ما دفع من ذهب إلى أن "عبقر" موجود في ناحية اليمامة، والتشابه والتقاربُ في الاسم لا يلزم منه التشابه في الصفة المكانية وخاصيتها الشعريّة، ولهذا التفريق أشارَ ابن بليهد حيث قال: "ذكروا أن عبقرَ موضِعٌ في اليمن كثير الجن، وإليه تنسبُ العبقرية، وأما (عَبَاقِرُ) فهو ماءٌ في نجد لبني فزارة؛ قال ابن عَنَمة[14]:

---

[7] -ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **معجم البلدان،** (بيروت: دار صادر، ط 2، 1995م).

[8] -المرجع السابق.

[9] -الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، (ليدن: مطبعة بريل، 1884م).

[10] -جنيدل، سعد بن عبد الله، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية** ... عالية نجد، (الرياض: دار اليمامة للنشر والتوزيع، ب.ت).

[11] -الجاسر، حمد، **أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع**، (الرياض: منشورات دار اليمامة، ط 1، 1968م.

[12] -**منطقة الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية**، من تصنيف أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1999م.

[13] -معجم البلدان (عباقر).

[14] -عبد الله بن عنمة الضبي – رضي الله عنه - شاعر مخضرم من شعراء المفضليات، وهو صحابي أسلم وشهد القادسية وفتح الإسكندرية، انظر (الإصابة في تمييز الصحابة) (4/ص172-173) برقم [4887]، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، بيروت، الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ.

أهْلِي بنجدٍ، ورَحْلِي في بيوتِكُم.... على عباقرَ مِنْ غوريَّة العَلَمِ

وأنا لا أعلمهُ بهذا الاسم اليوم"[15].

الاختلاف في سبب تسميته بـ"عبقر":

اختُلِفَ في سبب تسميته بهذا الاسم على أوجه: قال بعضهم نسبةً لجبلٍ يحملُ هذا الاسم؛ فقد قال النسَّابون: تزوّج أنمارُ بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بامرأة اسمها جيلة بنت صعب بن سعد العشيرة؛ فولدت له طفلا سموه سعدا، ولُقِّبَ بـ"عبقر" لأنه ولد على جبل يقال له "عبقر"[16].

وذكرَ آخرونَ أن تسميته بهذا الاسم يرجع لأن لتلك البلدة التي كانت موطنًا لموضع بالجزيرة كان يصنع به الوشي– نوع من الثياب– وكذلك البُسُطِ، وكل ما هو من جنس القماش والحياكة، قال ذو الرُّمة:

حتَّى كأنَ رياضَ القَفِّ ألبسَها مِنْ وَشي عَبْقرَ تجْلِيلٌ وتنجِيدٌ[17]

وقد جاءَ في القرآن الكريم في وصف ثياب أهل الجنّة قولُهُ تعالى: "مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ" (الرحمن:76)، قال الشوكاني: "العبقري: هي الزرابي والطنافس الموشية، قال أبو عبيدة: كل وشيٍ من البُسُطِ عبقري وهو منسوبٌ إلى أرضٍ يعملُ فيها الوشي... قال الفرّاء: هي الطنافس الثخان، وقيل الزرابي، وقيلَ البُسطِ، وقيل الديباج"[18]، وقال ابن الأنباري حول الآية نقلا عن أبي عُبيدة: "العبقري عند العرب: البُسُط، وقال: البسط كلها عبقري، وقال الحسن: العبقري بسط الجنة، فاطلبوها لا أب لكم. وقال أبو عبيد: نسبة لقرية عبقر، يصنع فيها ضروب البرود والوشي"[19].

---

[15] -الخالدي، محمد بن عبد الله بن بليهد، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار**، (الرياض: دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ط3، ب.ت)، ج1، ص:62.

[16] - معجم البلدان (عبقر).

[17] -العدوي، غيلان بن عقبة، **ديوان ذي الرمة**، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، (بيروت: مؤسسة الإيمان للطباعة، 1982م)، ص: 1366.

[18] -الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** (دمشق: دار ابن كثير، ط1، 1414هـ)، ص: 170.

[19] -الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر، ط1، 1992م)، ص: 395.

يُمكن إضافة تفسيرٍ وقولٍ ثالثٍ لما سبقَ بالرجوع للتركيب المزجي في كلمة (عبقر) المتكونة من لفظين هما: (عبْ - قرَّ) التي تعني البرد، وقد سُمع عن العربِ قولهم في الأمثال: "فلانٌ أبردُ من عبقر"، كناية عن شدة برودتِه. قال أبوهلال في جمهرة الأمثال: "أبرد من عبقر؛ قيل :هما البرد، وقيل: إنما هو عب قر، والعب: البرد، والقر: البرد، كما قيل: عب شمس، وعب هنا: ضوء الصبح"[20] **قلتُ:** والمتأمِّلُ في هذه الآراء لا يرى تعارضًا بينها، فجميعُ هذه الآراء يمكن أن تكونَ منطبقة على تلك البقعة من الأرض في مرحلة زمنيّة معينة من مراحلها، قبل أن تكون أرضًا خربةً تسكنُها الجنُ فيما بعد كما قال ياقوتُ الحموي: "هذا البلد كان **قديما وخربَ** ... ولَّما لم يعرفوه نسبوه إلى الجنّ"[21].

وقد كانت من اعتقادات العرب قبل الإسلام أن المواضع التي تصيبها الكوارث تكون بعد هلاك أصحابها موطنًا للجن، ونجد مثل هذه الأساطير عند العبرانيين وعند غيرهم من الشعوب[22]. وعلى الرغم من أن أصلَ التسمية نابعٌ من علاقته بتلك البلدة التي غابَ رسْمُهَا؛ إلا أن العربَ بعد ذلكَ أصبحت تطلِقُ على كل ما تعجبوا منه بأنه عبقريٌ، قال الخليل: " العبقري عند العرب **كل جليل فاضل، فاخر من الرجال والنساء**". قال الجوهري: العبقري موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، **ثم نسبوا إليه كلُّ شيء تعجبوا من حِذْقه وجودة صنعته وقوته**، فقالوا: عبقري وهو واحد وجمع[23]ويقال: للأنثى: عبقرية[24]، والخلاصة: أن كلمة "العبقريّ" أضحتْ صفةً لكل

[20] -العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، **جمهرة الأمثال،** (بيروت: دار الفكر، ب.ت)، ص:245.

[21] -معجم البلدان (عبقر).

[22] -علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، (دار الساقي، ط4، 2001م)، ص: 295.

[23] -القنوجي، صديق حسن خان، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم، (بَيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1992م)، ص: 350.

[24] -لسان العرب (مادة: عبقر)

ما يُولَعُ في وصفِه[25] فكلُّ جليلٍ نفيسٍ فاضلٍ فاخرٍ من الرجال والنساء وغيرهم فهو عبقري[26].

مواطنُ أخرى للجن في عُرْفِ العرب:

لئن كانت لعبقر الشُهرة في أشعار العرب –ولذا أفردناهُ بمبحثٍ مستقل لعلاقتهِ المباشرة بمسألة الجن والشعر -إلا أن العربَ قد ذكرتْ غيرَهُ من الصحاري والجبال والوديان والغابات التي ترى أنها مأهولةٌ بقبائل الجن، وذكرتها العرب في أشعارِهَا وتغنَّتْ بها -رغبًا ورهبًا -وكان بعض شعراء الجاهلية إن استعصى عليهم الشعرُ زاروا بعض تلك البقاع حتى تعينهم شياطينها على قرضِ الشعر[27]، ونقفُ مع بعض منها، وما نسجتهُ قريحةُ أهل الجاهلية العربية في ذلك الزمن حولها:

معازف الجن: أمكنة في الصحاري كانت تسمع منها ألحانٌ وأهازيجُ صوتية، وكان العرب ينسبون تلك الأصوات للجن، كما قال طَرَفة بن العبد[28] في قصيدته (نبلاء السعي) في مدح بني المنذر:

ورَكوبٍ تَعزِفُ الجِنُّ به قبلَ هذا الجيلِ، من عَهدٍ أبَدْ[29]

قولهُ "الركوب": الطريق الذي اعتاد الناس ركوبه، وقوله "تعزفُ الجن به" يعني العزيف: صوت الجن[30].

ويقولُ المُتنخِّل بن عُويْمِر الهُذلي كما في (المنتقيات):

وَخَرْقٍ **تَعزِفُ الجِنّانُ** فيه بَعيدِ الجَوْفِ، أَغْبَرَ ذي انخراطِ[31]

ويقول زهير بن أبي سُلْمى:

---

[25] -معجم البلدان (عبقر).

[26] -القيسي، أبي محمد مكي بن طالب، **العمدة في غريب القرآن،** شرح وتعليق: يوسف المرعشلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1981م)، ص: 294.

[27] - رشيد، حليمة خالد، **الجن في الشعر الجاهلي**، (نابلس، فلسطين المحتلة، جامعة النجاح، 2005م)، ص: 234.

[28] - طَرَفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (ت:564م) من أصحاب المعلقات.

[29] - الوائلي، طرفة بن العبد، **ديوان طرفة بن العبد،** شرح وتعليق: مهدي ناصر الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 2002م) ص: 30.

[30] -**ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، (دار الكتب العلمية، ط 3، 2002م)، ص: 30.

[31] - انظر: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام** (1/ص487)، أبو زيد محمد القرشي، تحقيق: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة، 1981م.

وبلدةٌ؛ لا تُرامُ خَائِـــفة زَوراءَ مغبّرة جَوانبــها
تسمعُ **للجنّ عَازِفينَ** بها تصيحُ منْ رَهْبة ثعَالبها[32]

فيما يفسِّرُه بعضُهم بأنها أصواتُ ارتطام الرياح برمال الصحراء والصخور الجبلية، وقد أشارَ ابن الحائك الهمداني لأسماء مجموعةٍ منها: "...معازفُ الجن من هذه الأرض – يعني جزيرة العرب - رمل حوضى، ورمل المغسل والسُّميريَّة، ويقال بالكلبين المشرفين على الخرج، وضلع الخريجة من معازف الجن المعروفة، وجن البدي، والبقار وعبقر، وأكثر أرض وبار، وذي سمار يضرب بجنّ ذي سمار المثل، وبغول الرَّبضات وبعدار ملح ولحج"[33]، وقد أشارَ شعراء العرب لهذه المعازف بأسمائها في نصوصهم:

جن البدي: ذكرهُ لبيد بن ربيعة "جن البدي" في معلقته في الجاهلية:

غُلْبٌ تَشَذَرُ بالدُّحُولِ كَأنّها **جِنُّ الْبَدِيِّ** رَوَاسِياً أقْدَامُها[34]

قال الزوزني في شرحه: "البدي: موضع... شبه الشاعرُ خصومَه بجنّ هذا الموضع -يعني البدي- في ثباتهم في الخصام والجدال"[35].

جن البقار: ذكره النابغة الذبياني:

سَهَكينَ[36] مِن صَدأ الحديدِ كأنهم تحتَ السنوُّرِ **جِنة البقار**[37]

و"جنة البقار" اسم رمل كثير الجان، وهو من أدنى بلاد طي إلى بني فزارة[38]

---

[32] -الحيوان (6/ص476).

[33] -صفة جزيرة العرب (1/ص154).

[34] -العامري، لَبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل، **ديوان لبيد بن ربيعة**، ت: حمدو طمّاس، (بيروت: دار المعرفة، ط1، 2004م)، ص: 115.

[35] -الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين، **شرح المعلقات السبع**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م)، ص: 197.

[36] -هو خبث الرائحة من عرق أو نحوه يُقال: «أقبل المحاربون سهكين من صدإ الحديد» انظر: مادة (سَهِكَ) في المعجم الوسيط.

[37] -الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: عباس عبد الساتر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1996م)، ص:87.

[38] -الذبياني، النابغة، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط2، ب.ت)، ص:56.

جيهم – عيهم: ذكرهُ الشاعر حُمَيد بن ثَوْر على اختلاف في الرواية بين الرواة في نقل شعره:

كأن هزيزَ الريحِ بينَ فروجه عوازفُ جنٍ زُرْن جنًا **بجيهما**

كأن هزيزَ الريحِ بين فروجه عوازفُ جنٍ زُرنْ جناً **بعيهما**[39]

قال في الشرح: "عوازف جنٍ" الجنُ التي تصوِّتُ؛ وصوتُ الجن هو العزيف أو العزْف، وقولهُ "جيْهَم" موضوعٌ بالغورِ من تِهامة كثيرُ الجن[40].

خاتمة البحث:

مما سبقَ بيانُهُ يمكننا أن نخرجَ بهذه النقاط:

- هناك تواتر أدبي بين الشعراء قديما على الاعتقاد بعلاقة قريحة الشعر وعقبر؛ نظرًا لارتباط الأخير بالجن التي كان العرب يرون أنها تلهم الشعرَ للشعراء.
- الاختلاف في تحديد مكان وجود عبقر؛ يرجع لتعدد الأماكن التي أطلِقَ عليها هذا الاسم.
- الاتفاق على أن هذه الأماكن على اختلافها انتشارها المكاني إلا أنها كلُّها داخل جزيرة العرب.
- ترجع التسمية بهذا الاسم إلى عدة أسباب تختلف حسب كل مكان من الأمكنة السابقة فمنهم من نسبها لجبل يُدعى عبقر، ومنهم من نسب التسمية إلى نوع من الثياب اليمنيّة، وغيرها من الأسباب الأخرى.
- وجود عدة أماكن أخرى تعتقد العرب قديما بأنها تؤثر في جودة الشعر إلا أن عبقر كان أشهرُها.

المصادر والمراجع:

- أبو الفضل، محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري جمال الدين، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414 هـ.

[39] - العامريّ، حميد بن ثور الهلالي، **ديوان حُمَيد بن ثور**، تحقيق: عبد العزيز الميمني، (القاهرة: دار القومية للنشر، 1965م)، ص: 15.

[40] - العامريّ، حميد بن ثور الهلالي، **ديوان حُمَيد بن ثور**، حققه وجمعه: محمد شفيق البيطار، (الإمارات: هيئة أبو ظبي للثقافة، ط1، 2010م)، ص: 359.

- الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر، ط1، 1992م.
- الجاسر، حمد، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، منشورات دار اليمامة، الرياض، ط1، 1968م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط 2، 1995م.
- الخالدي، محمد بن عبد الله بن بليهد، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من آثار، الرياض، دار عبدالعزيز آل حسين للنشر والتوزيع، ط3، ب.ت.
- الخزاعي، كُثير بن عبد الرحمن بن الأسود، ديوان كُثيّر عزة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1971م.
- ديوان النابغة الذبياني مع شرحه، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة، الذبياني، تحقيق: عباس عبد الساتر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1996م.
- ديوان النابغة الذبياني، القاهرة، دار المعارف، ط2، ب.ت.
- ديوان حُمَيد بن ثور مع تعليقات البيطار، تحقيق: محمد شفيق البيطار، الإمارات، هيئة أبو ظبي للثقافة، ط1، 2010م
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط3، 2002 م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، لَبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، معدود من الصحابة (ت:41هـ)، ت: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط1، 2004 م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط 5، 1999م.
- رشيد، حليمة خالد، الجن في الشعر الجاهلي، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين المحتلة، 2005م.
- الزَّوْزَني، حسين بن أحمد بن حسين، شرح المعلقات السبع، دار إحياء التراث، ط1، 2002م.
- سعد بن عبد الله بن جنيدل، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد، الرياض، دار اليمامة للنشر والتوزيع، ب.ت.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1414هـ.
- العامريّ، حميد بن ثور الهلالي، ديوان حُمَيد بن ثور، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة، دار القومية للنشر، 1965م.
- العدوي، غيلان بن عقبة، ديوان ذي الرمة، ت: عبد القدوس أبو صالح، بيروت، مؤسسة الإيمان للطباعة، 1982م.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد، علي معوض، بيروت، الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، جمهرة الأمثال، بيروت، دار الفكر، ب.ت.
- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط4، 2001م.
- القرشي، أبو زيد محمد، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة، 1981م.
- القنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم، بَيروت، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، 1992م.
- القيسي، أبو محمد مكي بن طالب، العمدة في غريب القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1981م.
- الكندي، امرؤ القيس بن حجر، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبي الفضل، القاهرة، دار المعارف، ط 4، 1984 م.
- منطقة الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية، من تصنيف أساتذة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط1، 1999م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف، صفة جزيرة العرب، ليدن، مطبعة بريل، 1884م.

تجربة إبداعية في روايات القصيبي

محمد منت اللّه *

Email: minnatullahshams@gmail.com

ملخص البحث:

يعد غازي عبد الرحمن القصيبي (1940م- 2010م) من الأدباء الذين لمعت أسماؤهم في سماء الأدب العربي السعودي، وهو في طليعة الروائيين الذين ذاع صيتهم في العالم العربي وغير العربي على السواء. كان القصيبي أديباً غزير الثقافة، واسع الاطلاع، وكان شاعراً موهوباً، وكاتباً بارعاً، وروائياً قديراً. خلف لنا كمية كبيرة من الإنتاج الروائي أثارت ضجة بين الأوساط الأدبية من طليعتها: شقة الحرية (1994م)، والعصفورية (1996م). فرواياته تعد من أحسن ما كتب في الأدب السعودي. كما يعتبر أحد المبدعين الذين خالفوا أساليب تقليدية وفتحوا مجال الإبداع والتجديد أمام غيرهم من الأدباء السعوديين في الكتابة. سيتناول هذا البحث مساهمة الكاتب في مجال الرواية العربية، بالتركيز على ممارسته الإبداع الفني في ثنايا رواياته كأسلوب جديد في الأدب المعاصر.

كلمات مفتاحية: الإبداع والتجديد، الرواية السعودية، شقة الحرية، غازي القصيبي، العصفورية.

Abstract:

Ghazi Abd Al-Rahman Gosaibi (1940-2010) is one of the prominent writers of Arabic literature in Saudi Arabia. He is at forefront of the novelists who have become equally popular in the Arab and non-Arab world. Gosaibi was a prolific writer, a gifted poet and potent novelist. He left for us a large number of fictions, like "Shuqqa al Hurriya" (1994) and "al Usfooria" (1996) are two of the best novels by the author. His novels are among the best writings in Saudi literature. He is also considered one of the pioneers who introduced creativity in writings, refusing the traditional style and setting examples of innovation for other Saudi writers.

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة علي كره الإسلامية، أترابراديش، الهند.

This research paper will discuss the writer's contributions to Arabic novel, focusing on the artistic creativity in his novels as epitome of a new style in the contemporary literature.

مقدمة:

تملأ أرض المملكة العربية السعودية بالأدباء البارزين المتميزين الذين قهروا اليأس زماناً ومكاناً، وتحددوا ظلام الجهل وبددوه بإرادتهم القوية، وعزيمتهم الصلبة. فنجحوا بفضل جهودهم البناءة في وعي حياة الجيل العربي الجديد العلمية والأدبية والثقافية الحديثة. والدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي واحد من هؤلاء العباقرة الذين أثروا المكتبات العربية والثقافية في بلاد المملكة وقدموا لها الكثير مما يضيف إلى تراثها الأدبي والفكري.

وُلد القصيبي في منطقة الهفوف في الإحساء في المملكة العربية السعودية عام 1940م، ومضى حياته الأولى فيها. وحصل على شهادة البكالوريوس في القانون من جامعة القاهرة عام 1961م، ثم حصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا عام 1964م، وعلى الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة لندن عام 1970م. وإضافة إلى ذلك، كان الكاتب أستاذاً جامعياً، وسفيراً للمملكة لدى البحرين وبريطانيا، ووزيراً تولى عديداً من المناصب الحكومية أكثر من مرة. بدأ الكاتب حياته الأدبية بقرض الشعر، وكان له ميول أدبية جادة ترجمها عبر دواوينه الشعرية، ثم تحول نحو فن الرواية،[1] ومن رواياته:

شقة الحرية (1994م)، والعصفورية (1996م)، وسبعة (1997م)، وهما (1998م)، والعودة سائحاً إلى كاليفورنيا (1999م)، ودنسكو (2000م)، وسلمى، وحكاية حب، وأبو شلّاخ البرمائي (2001م)، ورجل جاء وذهب (2002م)، وسعادة السفير (2003م)، والجنية (2006م)، والزهايمر (2010م). وله أيضاً مؤلفات عديدة في شتى المجالات العلمية والأدبية.

عناصر الإبداع والتجديد في رواياته:

[1] -الشرفات، حميدان أقطيش مطر، **شخصية المرأة في روايات غازي القصيبي**، (رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، 2013م)، ص: 50.

كان القصيبي يُعد واحداً من الروائيين المبدعين والكتّاب البارزين في السعودية والذين سمحت لهم الخبرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وسعة الاطلاع على كثير من المعلومات ومعاصرة كثير من الأحداث العالمية وكذلك العربية.

ساهم الأديب القصيبي كغيره من الأدباء والمفكرين، في إحداث تحول في الرواية السعودية أيضاً، وهو يمثل اسماً من خارج الكتابة السردية التقليدية المتعارف عليها في البلاد، وأسهم بشكل كبير في كتابة الرواية، فقد حمل في رواياته معالم واضحة تمثل التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كان القصيبي قد لعب دوراً بارزاً في هذا التحول الجديد، وتحوله يكمن في أنه اتجه من مسيرة الشعر إلى كتابة الرواية، وبدت ملامح التجديد والتغيير الذي أحدثه القصيبي واضحة من خلال ما جاء في بعض رواياته، كبنية الحدث الروائي، ورسم الشخصية الروائية، وتوظيفه تقنيات سردية جديدة على المستوى العالمي. فنرى روايته العصفورية، تمثل أنموذجاً رائعاً جديداً، كما وضح الحازمي في كتابه "البناء الفني في الرواية السعودية"، حيث يقول "وعي الشخصية مباشرة، ومليئة بالمعلومات الحاشدة غير المترابطة على لسان البطل، وهي تحمل مفهوم الرمز الذي أراده القصيبي من خلال أدواته التقنية"[2].

وبهذا تكون الرواية السعودية المجددة التي حمل لواءها غازي القصيبي ورفقاءه مواكبة لحركة التطور الاجتماعي في إطار تميزها وجمالها الأدبي، كما أشار إليه الشنطي: "فهي لا ترصد الواقع وتسجل تفاصيله بقدر ما تنفذ إلى جوهره بأدواتها الفنية ورؤيتها الخاصة"[3].

لقد كان غازي القصيبي وآخرون مدركين الجديد في العمل الروائي، ولا بد أن يختلف عما سبقه في الاهتمام بجماليات الرواية المتعارف عليها، حاملاً معه أنماطاً

---

[2] -الحازمي، حسن بن حجاب، **البناء الفني في الرواية السعودية**، (جازان: مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، 2006م)، ص: 28.

[3] -الشنطي، محمد صالح، **في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه**، (السعودية: دار الأندلس، الطبعة الأولى، 1995م)، ص: 513-514.

جديدة تعتمد التقنيات الحديثة، والرؤى والأبعاد، وكشف المستور في كثير من القضايا التي تمس الواقع الاجتماعي.

ومما يناسب ذكره أن روايات القصيبي تمثل تجربة فنية رائدة من حيث صياغة العلاقات المتشابكة والمتنوعة داخل العمل الروائي، ونظرة نقية جديدة في تاريخ الرواية السعودية، فقد كانت الروايات ذات أبعاد متعددة، وهذا الأمر يدل على تجربة إبداعية كبيرة تقوم على تعدد الصوت في الرواية وتعدد الراوي الذي يظهر ذلك جلياً في روايته.

كما نلاحظ تعدد الأفكار وصراعها داخل الرواية الواحدة، وهذا البناء الجديد لم يكن سابق الحضور في الرواية العربية السعودية التي اعتمدت البنية التقليدية منذ نشأتها، ويبدو هذا الأمر واضحاً كل الوضوح في رواية "شقة الحرية" حيث اتكأ على ضمير الغائب وهي تقنية جديدة، حيث يتفاعل هذا الضمير مع غيره من الضمائر في عمل متكامل ومتناسق، ويبدو هذا الأمر من إبداع يمثل قدرة الروائي من أجل أن يتاح للقارئ الكشف عن الإشارة إلى أصل واقعي اجتماعي، وهذا الأمر بطبيعة الحال يمثل قدرة فكرية وإبداعاً حقيقياً للقصيبي.

يعد من إبداعات القصيبي أيضاً تداخل الرواية مع الحكاية في العمل المتناول، ويظهر ذلك جلياً في روايته "الجنية"، التي اتخذت اسم الحكاية، حيث وظف الكاتب ضمير المتكلم، متقمصاً شخصية بطل الرواية، والحديث نيابة عنه في الكثير من المواضع، فتكلم عن البطل، وعن شخصيته ونشأته في منطقة الأحساء، وعمله، ومن ثم ابتعاثه إلى أمريكا للدراسة فيها، وقد ذيّل الكاتب هذه الرواية بالمعلومات من خلال الكتب العلمية، والمراجع الأجنبية، كما لعب الجن دوراً كبيراً في خدمة أحداث الرواية، وقد أورد القصيبي في هذه الرواية قصصاً قديمة قد تكون خرافية لا حقيقة لها مثل قصة: أم السعف، والسعلوة وغيرها. أبدع القصيبي من خلال تداخل الرواية بالسيرة الذاتية كما هو واضح في روايته الشهيرة "العصفورية" التي "تأتي وكأنها المرحلة الثانية من

حياة القصيبي، فهي تصور رجل، فهم الحياة، وأدركها، وعاصَر كثيراً من معانيها الاجتماعية والسياسية"[4].

وما الذي يذكر كثيراً للقصيبي هو بناء رواياته الفني، وهو بناء منسجم مع طبيعة الأفكار والأحداث التي تناولها في هذه الروايات، فهناك حوار مكثف ونقاش طويل وجريء بين الشخصيات الروائية داخل الرواية، وكذلك التقسيم الجديد في هذه الرواية حسب الأحداث التاريخية التي جرت على أرض الواقع في المنطقة العربية، وهذا واضح في روايته "شقة الحرية"، حيث قسم القصيبي روايته إلى فصول مقسّمة تبعاً لتلك الأعوام الواقعية التي عصفت بالأمة.

ومما يذكر في إبداعات القصيبي للرواية إيراد لأبيات شعرية عديدة استخدمت في ثنايا الرواية حيث ترد هذه الأبيات على لسان إحدى الشخصيات، فيحاول الروائي توظيفها للوصول إلى أهداف وغايات محددة، فالقصيبي يسوق في رواياته الكثير من الأبيات الشعرية، وهي تأتي للتعبير عن حالة الشخصية، فقد أورد - مثلاً - في "شقة الحرية" أبياتاً تمثل رسائل متبادلة بين الحبيبين ليلى وفؤاد، مضمونها الحب والحزن والألم في آن واحد، حيث يقول:

"يا شبَح القلوع !
يا أيها الغواص في الأعماقْ
يا من غسلتَ البحر بالدماء
يا أيها المعذَّب الموجوعْ
قالوا بأن الؤلؤ البراقْ
ينبت في محّاره
من دمعة المطر.
لكنني أعرف أنه
من دمعة البشر."[5]

[4] -المري، نورة بنت محمد بن ناصر، **البنية السردية في الرواية السعودية**، (رسالة الدكتوراه في الأدب الحديث، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 2008م)، ص: 12.

فهذه الأبيات الشعرية تكشف الخلفية الثقافية حيث تعبر عن دخيلة الكاتب وقدرته الإبداعية على تملكه أدوات فنية متميزة، وبراعة أدبية واضحة وجديدة، ويمثل أسلوب الكاتب الذي سلكه نوعاً من الثقافة العالية المتنوعة، وحرصه الشديد على السخرية التي تناول واقع المجتمعات العربية المؤلم، في مجالات كثيرة منها: الثقافية والاجتماعية، والسياسية والفكرية وغيرها.

يتضح هنا بأن روايات القصيبي جاءت مواكبة التطورات الرواية الحديثة، حيث تتلاعب ببنيتها السردية، ولم تعد ملتزمة بالطرق التقليدية التي هيمنت على الرواية سابقاً، حيث جاءت رواياته مجددة في هذا الموضوع، وتعددت الأصوات داخل الرواية الواحدة، وكذلك اللغات، والدلالات، وطرق التعبير غير الفنية المعروفة، كالأساطير والخرافات، حتى أعجزت في كثير من الأحيان النقاد عن تمييزها، إن كانت أعمالاً شعرية، أو سيرة، أو أسطورة، أو مذكرات، أو قصة. وهذا يدل على تطور البناء الفني الجديد الذي أبدعه القصيبي، حيث لم تعد الرواية كما كانت قديماً ذات شكل بنائي ثابت، والأمر ينطبق تماماً على روايته (سبعة) التي كانت تتمايز بين القصة القصيرة التي تأخذ شكل المسرحية والرواية.

يعتبر القصيبي أحد المبدعين الذين ساهموا وفتحوا مجال الإبداع والتجديد أمام غيرهم من أدباء السعودية في الخوض بطرح قضايا سياسية واجتماعية تمس الواقع في البلاد، فنجد الدكتورة عائشة بنت يحيى بن عثمان، تقول في "تعالق الرواية مع السيرة": "تمرد المبدعون السعوديون على طابع الحذر والخوف من طرق موضوعات كانوا يتحرجون من الخوض فيها احتراماً لمجتمعهم، فضربوا بظروف بيئاتهم وإمكاناتها الفكرية عرض الحائط، ودخلوا في منافسة أقرانهم المبدعين العرب فكشفوا عن المستور على جميع المستويات على مستوى الخطاب السياسي، وعلى مستوى الخطاب الاجتماعي، وعلى مستوى المخزون الثقافي والأسطوري، كما فتح

[5] -القصيبي، غازي عبد الرحمن، **شقة الحرية**، (بيروت: دار رياض الريس، ط5، 1999م)، ص: 369.

الباب أمام القادمين على مصراعيه، فأصبح السياق محموماً كل يترقب صدى السابق"[6].

إن ما يميز الرواية الحديثة والقديمة هو محاولة اكتشاف الواقع والحياة، والبحث في تجارب الإنسان وهمومه وقضاياه الاجتماعية والحياتية، وهنا تظهر قدرة وإمكانية الكاتب القصيبي من خلال استخدامه لغة خاصة متنوعة من سرد إلى حوار وتطور شخصيات وتعدد صوت الرواة داخل الرواية، حيث أن اللغة الروائية عادة تستخدم للتعبير عن الأحداث والأفكار الجديدة، وكذلك تطور الشخصيات الروائية.

ومما يشار إليه أن غازي القصيبي اعتمد على الرموز التي وظفت بأسلوب جميل للوصول إلى الهدف الذي أراده الروائي، وهذا الأسلوب قد ظهر جلياً في روايته (سبعة) التي جاءت مليئة بالرموز، والرقم (سبعة) من العنوان إلى الأسماء والشخصيات والأحداث، وقد ذكر القصيبي في روايته، تلك القدرة الكامنة في الرمز في الرواية، حيث يقول:

"الرقم 7 مليء بالأسرار وبالسحر، هناك 7 كواكب و7 أيام في الأسبوع، و7 أنغام في النوتة، و7 سماوات، و7 أراضين و7...

حسناً! حسناً! أعتقد أني بحاجة إلى إجازة قصيرة من 7 أيام"[7].

إن ظهور روايات القصيبي وغيره من الأدباء السعوديين هز قراء النص الروائي، حيث فاجأت الجميع بكشف الكثير من القضايا المسكوت عنها، وتمردت على التملص من سلطة الرقيب، لا سيما ونحن أمام روائي معروف، ومشهود له بالتصدي والجرأة في وجه الحكام، بقول الحقيقة ونقد الواقع، ومحاولة فتح الحوار على مصراعيه، والتمرد من بعض القوانين الصارمة التي تطبق، ومواكبة التطور العالمي، ومناصرة للمرأة وحقها في التعليم والمشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية.

---

[6] -الحكمي، عائشة بنت يحيى بن عثمان، **تعالق الرواية مع السيرة – الإبداع السردي السعودي أنموذجاً**، (القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، 2006م)، ص: 194.

[7] -القصيبي، **سبعة**، (بيروت- لبنان: دار الساقي، ط1، 1998م)، ص: 318.

أراد القصيبي من كتاباته الروائية تلمس حاجة القارئ من خلال الإيضاح والكشف عن الواقع المؤلم في البيئة السعودية، حيث يوجد في هذه البلاد مخزون اجتماعي وثقافي كبير، وهو يشكل بعداً معرفياً كبيراً، يتناوله الروائي من خلال روايته التي ترتبط بالسيرة الذاتية، حيث إن السيرة الذاتية تمثل كنزاً وجدانياً، وتكون العبرة في مهارة الكاتب في تحويل سيرته الذاتية إلى أحداث فنية، وثقافية مثيرة أيضاً.

إضافة إلى ذلك، نجد أسلوباً حكائياً عند القصيبي كما هو في روايته "الجنية"، التي أطلق عليها مفهوم الحكاية. فقد تناول فيها أموراً معيشية في الواقع تمثل حكايات سابقة ومفاهيم مختلفة مثل: الغول وأم السعف وغيرهما من شخصية الرواية. فقال البطل فيها مكاناً:

"أعتقد أن الكلام الذي سمعته من صديقي قنديش عن المرأة المغربية العاشقة لا يخلو من مبالغة!

ألاحظ، أحيانا، في عيني مشعل ومشاعل شعاعاً غريباً لم أره من قبل إلا في عيون القطط في الظلام. وأشعر، أحياناً، أن غزلان تستطيع التحدث مع مشعل ومشاعل بدون استخدام كلمات. وأسمع أحياناً، صوتاً جميلاً، لا أعرف مصدره يتغنى بترنيمة مغربية جميلة عن طفل يريد الطعام.

حسن أيها القراء الكرام! لا يجوز للرجل العاقل أن يعكر صفوَ حياته الزوجية السعيدة بأمور تافهة مثل هذه، أليس كذلك؟!"[8].

فإن الحكاية، كما هو معروف، هي تمثل جزءاً من تاريخ الماضي، والناس بطبيعتهم كانوا يحبون هذا النوع، وبهذا تكون الرواية الحكائية من أقدر الفنون الإبداعية وأكثرها ملامسة للواقع والحقيقة. والرواية كما هو معلوم عن بقية الفنون الأدبية الأخري لأنها تعطي مجالاً أوسع للكاتب أن يكتب ما هو ممنوع اجتماعياً وثقافياً، لأن الرواية هي المتنفس الوحيد وخير وسيلة للتعبير عنه، كما يقول الهاجري

[8] -القصيبي، **الجنية**، (الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، 2006م)، ص: 229.

في "جدلية المتن والتشكيل..." : "وإذا كانت الحاجة تخلق الوظيفة، فإن المجتمع كان محتاجاً إلى الجرأة الفكرية من الكاتب، ربما أكثر من حاجته المؤجلة إلى الجانب الجمالي، بل إن النقاد يؤكدون على هذا الجانب حين يساوون بين اللغة الشعرية المرهقة والجرأة الفكرية الواضحة[9]".

كما تظهر قدرة القصيبي الإبداعية على لسان بطله يعقوب العريان في رواية (رجل جاء.. وذهب) حيث يقول:

"نحن نصنع في رواياتنا ما لا نستطيع أن نصنعه في حياتنا. لو تمكن كل روائي من أن يفعل في حياته ما يريد لما اكتظت المكتبات بالروايات. يخطئ الذين يعتقدون أن الرواية سيرة شخصية، الشعر هو حياتنا، أما الرواية فهي حياتنا كما نتمنى أن تكون. تعني أنك لم تسطع... "[10].

كان القصيبي ممثلاً للمشهد الروائي السعودي الجديد، وقد حمل لواء التجديد في البناء الفني للرواية السعودية المعاصرة، وكان عمله يمثل ثورة وجرأة كبيرة وغير معهودة في المجال الروائي في هذه البلاد التي تمثل المجتمع المحافظ الذي لم يعتد الانفتاح والكشف المباشر للكثير من القضايا الاجتماعية، لذلك كان عمله نقطة انطلاق لكثير من الروائيين السعوديين المبدعين في الجرأة وطرح الواقع وكشف المستور في رواياتهم، معتمدين على أدوات فنية جديدة، وتقنيات حديثة، واستخدام اللغة الشعرية المكثفة، كما نجده موفوراً في روايات القصيبي[11].

وبعد ذلك يأتي دور القصيبي وإبداعه الروائي واضحاً وجريئاً ليكشف عن نضوج الرواية السعودية بكل ما تعنيه من الكلمة، والتجربة التجديدية الحديثة، حيث استطاعت رواياته التوسع عربياً وعالمياً، والمشاركة في خارج البلاد السعودية، وتمثل

---

[9] -الهاجري، سحمي بن ماجد، **جدلية المتن والتشكيل – الطفرة الروائية في السعودية**، (حائل، السعودية: منشورات النادي الأدبي، ط1، 2009م)، ص: 68.

[10] -القصيبي، **رجل جاء ... وذهب**، (بيروت: دار الساقي، ط1، 2002م)، ص: 48 -49.

[11] -الشرفات، حميدان أقطيش مطر، **شخصية المرأة في روايات غازي القصيبي**، (رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، 2013م)، ص: 60.

رواية (شقة الحرية)، البداية التجريبية لتطور الرواية السعودية ذات الجرأة القوية في تناول الممنوع.

تميز القصيبي بالمباشرة القوية في رواياته، وكانت تجربته تعتمد على الصراع بين الوظيفة الرسمية ومهنة الكتابة الروائية، وقد حاول القصيبي أن يكون قريباً من قلوب الناس وقرائه، ولذلك كانت أعماله ذات شهرة واسعة بين الناس، لأنها تنقل الواقع بشيء من التفصيل، وهموم المجتمع السعودي، معتمداً على السخرية في الكشف عن الكثير من السلبيات المجتمعية، للوصول إلى طرحها أمام القارئ، والتنبيه إلى مقاومتها أو بيان خطرها، ومقاومته[12].

ومن ميزات هذه الرواية أنها ترتكز على لغة مسرحية واضحة للعيان من خلال أحداثها ومكوناتها وحواراتها، كما أن الرواية تتداخل مع رواية أخرى (رجل جاء وذهب)، حيث تعتمد الرواية على شخصيتين رئيسيتين واضحتين هما يعقوب العريان وروضة الشخصية النسائية، فيمثل يعقوب العريان الخليجي البدوي صاحب الثروة والمال والسطوة، و تمثل روضة الأنوثة برغباتها الجسدية وحاجاتها المتزايدة.

وكذلك نجد فيها تنوع العناوين والموضوعات والمشاهد الروائية المطروحة، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى إنتاج شكل أدبي جديد غير معروف سابقاً يجمع بين الرواية والقصة في تعدد مشاهدها التي تعتمد على منطق السرد الروائي والحوار الطويل والفكرة، إضافة إلى كثرة الرموز الدالة.

ولقد بين القصيبي أن إبداعه الروائي كان يقوم على عملية واعية وتقنين محكم، لأن هذه العملية ظاهرة إرادية يملك الكاتب قدراً كبيراً في مسارها الأدبي، حتى يرى البعض أن النثر عند القصيبي يعكس الجانب الظاهري من شخصيته، حيث يقول القصيبي في استجواباته:

"إن النثر يعكس الجانب الظاهر من شخصيتي "الوعي"، أما الشعر فيمثل المختفي أؤ "اللاوعي" [13].

---

[12] -المرجع نفسه، ص: 61.

[13] -القصيبي، **استجوابات غازي القصيبي**، (الرياض: دار المداد للنشر والتوزيع، ط 2، 2011)، ص: 33.

ويشهد الكثير من النقاد للقصيبي دوره الكبير في مجال الرواية، والبعد الأكبر في النقد والسخرية من الأمور المجتمعية كثيراً، كما نجد الهاجري يوضح في "جدلية المتن والتشكيل" بأن روايات القصيبي منفتحة على الأساليب، والأشكال ما قبل الحكائية غير المترابطة، وتذهب لاستخدام أساليب المقامات مثلاً لتأكيد السخرية"[14].

إن الكاتب السعودي غازي القصيبي يمثل نزعة موسوعية كبيرة في الفن الروائي السعودي، وقد مثلت روايته الشهيرة "العصفورية" مزايا الرواية الحديثة التي ترصد الوضع الأنساني بوصفه وضعاً صعباً ومشتّتاً. يتبين من خلال دراسة الرواية أن النصوص فيها تنحاز إلى جانب الحكي الروائي الذي يعتمد على إثارة الأسئلة، والكاتب يقف مع هذا من خلال جمل قصيرة مفيدة، مليئة بالاستفهام والتعجب وغيرها، كما نجدها مثلاً في الرواية، حيث يقول:

" - من هم؟

- ماذا حدث إذن؟

- كيف استفزك؟

- يكفي! يكفي!

- صدقت!

- عفواً..."[15]

وكذلك جاءت رواية أخرى للكاتب المبدع، الذي يعطي الأمل للإبداع العربي، باسم "أبو شلاخ البرمائي" التي اتخذت شكل الخيال واللامعقول، والتي تمثل الواقع العربي الراهن وتفشي الأمية والجهل، وإمكانية استغلال الغرب للعرب، حيث تنتقل هذه الرواية منذ البداية مع بيئة "أبو شلاخ البرمائي" وبيئته التي نشأ فيها، ومن ثم محاولة الحوار مع الغريب، وهذا الأمر بطبيعة الحال يوضح أن هذه الرواية تنبه إلى أمور

[14] -الهاجري، **جدلية المتن والتشكيل**، المرجع السابق، ص: 335.

[15] -القصيبي، **العصفورية**، (بيروت: دار الساقي، ط3، 1199م)، ص: 75 -77.

كثيرة، متضمنة من خلال نصوصها وطريقة حوارها، فالرواية تتلاقح ببعض نقاط الواقع[16].

وقد تميزت هذه الرواية باستخدام الأسلوب الناقد واللاذع في نقد المجتمع، حيث تتضح قدرة الكاتب على الحوار المباشر من خلال هذه الرواية التي تشبه إلى حد كبير العمل المسرحي.

تناول الكاتب في رواياته كثيرا من الموضوعات والقضايا المتنوعة، فشكل ذلك انعكاساً حقيقياً لمشاعره وأفكاره الداخلية، فكان ذلك يصور ذاته ومجتمعه، وهنا يتوجه الكاتب إلى كتابة السيرة الذاتية من خلال رواياته، مثلاً "حياة في الإدارة" و"الوزير المرافق"، نجدهما مثالين مرموقين لهذا المجال، وهو عمل إبداعي جديد في تشكيل فنية الرواية الحديثة، وسيرته هذه هي من قبيل تشكيل رؤية عامة للكثير من آرائه في الحياة الاجتماعية.

خاتمة البحث:

لاحظنا من خلال هذه الدراسة أن لأثر الإبداع الشعري دوراً هاماً في الروايات، إذ هو –الإبداع الشعري– في الحقيقة عبارة عن العناصر الفطرية والمكتسبة لدى الكاتب من الطبع والذكاء والاستنتاج والمرونة. فهذا يأخذ بيد القارئ ويذهب به متجاوزا المألوف وخارجا عن الأنماط التقليدية إلى شيء جديد فيه سمة الأصالة والتفرد، بل والشذوذ أحيانا، ثم يدعه مترويا في النظر فيما يمر به. فلا تكاد تقرأ أي رواية من روايات الكاتب إلا وتجدها مليئة بالأبيات الشعرية، التي تنساب بين ثنايا الرواية هنا وهناك. كما وضح الباحث غيثاء حبيب داود، يقول "فما يكاد القارئ ينتهي من فصل، إلا بدعوة إلى الانتعاش الشعورى والتأمل، وكأن الرواية تحولت إلى قصيدة، وتحولت فصولها إلى مقاطع شعرية. ..."[17].

---

[16] -تاج السر، أمير، **الاستثناء، شهادات ودراسات**، (جدة: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، ط1، 2009م)، ص: 127 -131.

[17] -داود، غيثاء حبيب، **جماليات اللغة العربية في الرواية العربية المعاصرة**، (رسالة ماجستير، جامعة تشرين، 2004م)، ص: 92.

المصادر والمراجع:

- تاج السر، أمير، الاستثناء، شهادات ودراسات، جدة، مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، ط1، 2009م.
- الحازمي، حسن بن حجاب، البناء الفني في الرواية السعودية، جازان، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 2006م.
- الحكمي، عائشة بنت يحيى بن عثمان، تعالق الرواية مع السيرة – الإبداع السردي السعودي أنموذجاً، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط1، 2006م.
- داود، غيثاء حبيب، جماليات اللغة العربية في الرواية العربية المعاصرة، رسالة ماجستير، جامعة تشرين، 2004م.
- الشرفات، حميدان أقطيش مطر، شخصية المرأة في روايات غازي القصيبي، رسالة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة آل البيت، 2013م.
- الشنطي، محمد صالح، في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه، حائل، السعودية، دار الأندلس، ط1، 1995م.
- القرشي، علي بن سرحان، حكاية اللغة ونص الكتابة، الرياض، مؤسسة اليمامة، ط1، 2003م.
- القصيبي، (سبعة)، بيروت، دار الساقي، ط 6، 2011م.
- القصيبي، استجواب غازي القصيبي، الرياض، دار المداد للنشر والتوزيع، ط1، 1996م.
- القصيبي، الجنية، الأردن، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط3، 2007م.
- القصيبي، العصفورية، بيروت، دار الساقي، ط3 ، 1999م.
- القصيبي، حكاية حب، بيروت، دار الساقي، الحمراء، ط1، 2001م.
- القصيبي، رجل جاء ... وذهب، بيروت، دار الساقي، ط1، 2002م.
- القصيبي، غازي عبد الرحمن، شقة الحرية، بيروت، دار رياض الريس، ط5، 1999م.
- المري، نورة بنت محمد بن ناصر، البنية السردية في الرواية السعودية، رسالة الدكتوراه في الأدب الحديث، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2008م.
- الهاجري، سحمي بن ماجد، جدلية المتن والتشكيل – الطفرة الروائية في السعودية، حائل، السعودية، منشورات النادي الأدبي، ط1، 2009م.

قضية البدون في الكويت
في ضوء رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي

تجمل حق*
Email: tajammulkaifi@gmail.com

ملخص البحث:

ساق البامبو رواية كتبها الروائي الكويتي سعود السنعوسي في عام 2012م. حازت الرواية على جائزة البوكر العربية في أبريل 2013م، وحظيت بقبول حسن من القراء والنقاد، وتُرجمت إلى الإنجليزية والتركية والرومانية. قد عالجت الروايةُ قضايا عديدة، ومن أبرزها، قضية الهوية والاغتراب، وقضية العمالة الأجنبية، والقضايا الاجتماعية الكويتية والخليجية، وقضية البدون.

في هذه المقالة البحثية، سأتحدث عن قضية البدون وخلفيتها التاريخية وظاهرة انعدام الجنسية على المستوى الدولي، وأناقش أيضا هل نجح الكاتب في تصوير قضية البدون والوفاء بحقها ورسم الشخصية المعبرة عن هذه القضية؟ وما القيمة الفنية لهذا العمل الأدبي؟ كما سيتطرق هذا البحث إلى استعراض الأعمال الروائية البارزة في نفس القضية، وبيان قيمتها الأدبية في ضوء أقوال النقاد العرب.

كلمات مفتاحية: الرواية، ساق البامبو، سعود السنعوسي، عديموا الجنسية، قضية البدون، المجتمع الكويتي.

Abstract:

Saqul Bamboo (The Bamboo Stalk) is a novel written by Kuwaiti novelist Saud Alsanousi. He published it in 2012. The novel won the Arabic Booker Prize in April 2013, it is well received by readers and critics and got global wide spread. It is translated into English, Turkish and Romanian languages. It dealt with various issues and the most prominent issues are the issue of identity and alienation, foreign labors issue, social issue of Kuwait and gulf regionand the issue of Bedoon, (Stateless persons). This research article will focus on the issue of

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية مهيتوش نندى، هوغلي التابعة لجامعة كولكاتا، الهند.

Bedoon, its historical background and the phenomenon of statelessness at the international level. It will also discuss the artistic value of this literary work. In addition to that, this research will review the prominent literary works in same issue and explain their literary value in the light of Arab critic's sayings.

تُعتبر قضية "البدون" من القضايا الشائكة المعقدة في الكويت وفي دول الخليج العربي، وهي من أكبر التحديات التي يواجهها المجتمع الكويتي على الصعد الاجتماعية والأمنية والاقتصادية، والبدون هم فئة سكانية تعيش في الكويت دون أن تمتلك الجنسية، وهو الاسم المختصر لتوصيف "بدون جنسية"[1]. وقضية البدون كما هي معروفة في الدول الخليجية أو عديمو الجنسية في الساحة العالمية مشكلة نشأت وظهرت إلى حيز الوجود بعد تطور مفاهيم الدولة والمواطنة والهوية الوطنية، ومفهوم الدولة قديم قدم الحضارات العريقة، إلا أن مفهوم الدولة الليبرالية الحديثة ظهر بعد انحسار الاستعمار والحربين العالميتين[2]، وقد تركت هاتان الحربان العالميتان أعدادًا هائلةً من عديمي الجنسية، فالتفت المجتمع العالمي إلى هذه المشكلة، وعصبة الأمم (League of Nations) التى تأسست في فرنسا عام 1920م بعد الحرب العالمية الأولى[3]، أصدرت اتفاقية دولية لإنهاء حالات انعدام الجنسية عام 1924م[4]. هذه الاتفاقية هي الاتفاقية العالمية الأولى من نوعها. وبعد تأسيس منظمة الأمم المتحدة التى استبدلت عصبة الأمم المذكورة عام 1945م، قد تولت دراسة هذه المشكلة من جديد، وأصدرت اتفاقيتين دوليتين معروفتين باتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بمركز الأشخاص عديمي الجنسية الصادرة عام 1954م، واتفاقية الأمم المتحدة للتقليل من حالات انعدام الجنسية الصادرة عام 1961م. وقد أنشأت منظمة الأمم المتحدة منظمات ومكاتب تابعة لها، وهي ترصد

---

[1] -البدون مصطلح عام لا قانوني ولكن يتم تداوله إعلاميا وفي الدراسات الأكاديمية والأدبية، ولذا عولت عليه في هذه الداراسة مقتديا بالباحثين الآخرين.

[2] -ويكيبيديا، https://en.wikipedia.org/wiki/State_formation، تاريخ الزيارة: 4 أكتوبر2018م.

3 -ويكيبيديا، https://en.wikipedia.org/wiki/League_of_Nations، تاريخ الزيارة: 4 أكتوبر2018م.

4 - https://www.peacepalacelibrary.nl/2016/08/a-100-year-history-of-statelessness، تاريخ الزيارة: 1 أكتوبر2018م.

المشاكل المتعلقة بعديمي الجنسية وحقوق الإنسان على المستوى الدولي. واتضح من ذلك أن قضية البدون أو قضية عديمي الجنسية قضية عالمية، ويتراوح عددهم في العالم كله مابين 10 – 15 مليون شخص حسب الاحصائيات المختلفة[5].

وأما قضية البدون في الكويت فقد برزت في نهاية الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين، وبالتحديد بعد صدور قانون الجنسية الكويتية عام 1959م. والمسار التاريخي لقضية البدون مر بمسميات كثيرة بداية بأبناء البادية وسكان الصحراء، ومن ثم بدون، وبعد ذلك غير محدد الجنسية ومجهول الهوية، ثم غير كويتي، وأخيرا مقيم بصورة غير قانونية[6]. وهذه المسميات أطلقت عليهم في المراحل الزمنية المختلفة ابتداء من الستينات وانتهاء إلى العصر الحاضر. وهي أيضا الحيلة القانونية التى لجأت إليها الحكومة الكويتية لتحرم البدون من الحقوق والواجبات المقررة بحق البدون بموجب اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بمركز الأشخاص عديمي الجنسية الصادرة عام 1954م. والاصطلاح الصحيح القانوني الذي ينطبق عليهم هو عديم الجنسية، وعديم الجنسية هو أي شخص لا تعتبره أية دولة مواطنا فيها بمقتضى تشريعها[7].

وأما الخلفية التاريخية للبدون، فمعظمهم ينحدرون من قبائل عربية بدوية وأفراد العشائر الذين كانوا يسكنون في الصحراء والمناطق الواقعة بين شمال الجزيرة العربية وجنوب العراق، ويجوبون عبر الحدود البحرية التى انقسمت فيما بعد إلى الكويت وسوريا والعراق، وسابقا لم تكن هناك حدود مرسومة، فينتقلون من مكان إلى مكان بحرية وبدون قيود. ونظرا لطبيعة حياتهم البدوية، استثنى إياهم قانون إقامة الأجانب الكويتي رقم 17 لسنة 1959م من كل نصوص إقامة الأجانب كما هي الحال الآن بين الهند ونيبال، وأُجري التعديل في قانون إقامة الأجانب عام 1987م، وأُلغيت

[5] -مستفاد من تقارير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (الموقع: www.unhcr.org) وتقارير الجزيرة العربية وبعض الدراسات المتعلقة بعديمي الجنسية.

[6] -عبد الشافي، عصام، قضية البدون في الكويت: قراءة في الأبعاد الداخلية والخارجية، دراسة بحثية نشرت في الموقع http://kenanaonline.com/users/ForeignPolicy/posts/429191، تاريخ الزيارة: 6 أكتوبر2018م.

[7] -اتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بمركز الأشخاص عديمي الجنسية الصادرة عام 1954م، ص: 2.

الفقرة (د) لمادة 25 التى كانت تمنح البدون حرية التنقل والإقامة بدون أوراق ثبوتية، فاستغل بعض الأشخاص من الدول المجاورة لدولة الكويت هذا الاستثناء، وهاجروا إليها بطريقة غير مشروعة، وسجلوا أنفسهم كبدون للاستمتاع من مزايا اقتصادية واجتماعية التى كانت تمنحها الحكومة الكويتية للبدون بالتساوي مع الكويتيين حتى منتصف الثمانينات للقرن العشرين، وبعد ذلك، شددت عليهم الحكومة وجعلتهم محرومين من كل الحقوق، وأما عدد البدون في الكويت، فقد ازداد وانخفض حسب الأحداث والظروف التى مروا بها، فكانوا 51466 فردا في الستينات، وانخفض العدد في إحصاء عام 1970م إلى 29461 فرداً أو 39461 فردا حسب اختلاف القول، ونتيجة عدم وجود رؤية مستقبلية لمخاطر الموضوع، قد تزايدت أعداد فئة البدون وفق إحصاء عام 1990م قبل الغزو العراقي على الكويت ليصل إلى ما يقرب من 246 ألف فرد.

تضاربت الأقوال في عددهم والعدد يتراوح ما بين 219 -350 ألف فرد، وأما بعد الغزو وفي إحصاء عام 1992م فقد صار عددهم 120 ألف فرد بسبب الغزو والقتل والهجرة، ومن هاجروا أثناء الاحتلال، لم يستطيعوا العودة ولم تتقبلهم الحكومة. وأما العدد الحالي فهو يتراوح ما بين 90 -150 ألف فرد حسب اختلاف الأقوال[8]. وهناك سبب في اختلاف الأقوال، حيث أشار إليه الأستاذ سامي نصر خليفة قائلا ما مفاده إن الأرقام تختلف باختلاف المصادر، وأعداد البدون كانت ولا تزال تعتبرها أجهزة الدولة مسألة سياسية تتطلب السرية[9].

قضية البدون في الروايات العربية الكويتية:

الرواية من أبرز الفنون النثرية التى لاقت رواجًا كبيرًا في الدول العربية، وناقشت ثيمات عديدةً وموضوعات متنوعةً ولامست كل قضية تهم البشرية، وكما سبقت الإشارة إلى أن قضية البدون وعديمي الجنسية من القضايا المقلقة وعويصة الحل

[8] -هذه الاحصائيات مأخوذة من مقابلة الباحث مع الناشط الحقوقي والي العنزي المقيم في بريطانيا، وهو رئيس حركة البدون الكويتيين حاليا.

[9] -خليفة، سامى نصر، البدون في الكويت بين الحقوق المدنية والتجنيس، دراسة أصدرتها حركة الكويتيين البدون ونشرت في موقعها www.kuwbedmov.org، ونشرتها أيضا جريدة الرأي الكويتية عام 2007م، ص: 6.

في العالم كله، ولقضية البدون في الكويت تعقيدات إضافية، فالبدون عديمو الجنسية من ناحية، ولهم منزلة وسطى بين المواطن والوافد الأجنبى من ناحية أخرى، ونظرا إلى خطورة هذه القضية وتأثيرها البالغ على المجتمع، تناولتها الرواية الكويتية وعالجتها أدبيًا من منظور إنساني، وأبرز الروايات التى تحدثت حول هذه القضية هي ما يلى:

1. *ذكريات ضالة*،(2014م) لعبد الله البصيص. **2.** *في حضرة العنقاء والخل الوفي* (2013م) لإسماعيل فهد إسماعيل. **3.** *طيور التاجي*، (2014م) لإسماعيل فهد إسماعيل. **4.** *صندوق أسود آخر*، (2018م) لإسماعيل فهد إسماعيل. **5.** *شعف* (2014م)، لزينب بهمن. **6.** *سرحان*،(2014م) لعلي التميمي. **7.** *العشاء الأخير*، (2014م) لعلي الحسيني. **8.** *المغيسل*، (2014م) لموضي رحال. **9.** *سلالم النهار*، (2012م) لفوزية شويش السالم. **10.** *ساق البامبو*، (2012م) لسعود السنعوسي. **11.** *الصفيح*، (2012م) لهنادي الشمري. **12.** *أصفاد من ورق*، (2012م) ليوسف هداى ميس الشمري. **13.** *الصهد*، (2013م) لناصر الظفيري. **14.** *سماء مقلوبة*، (2014م) لناصر الظفيري. **15.** *كاليسكا*، ، (2016م) لناصر الظفيري. **16.** *المسطر*، (2017م) لناصر الظفيري. **17.** *ارتطام لم يسمع له دوي* (2013م) لبثينة العيسى.

هذه من أهم الروايات العربية الكويتية وأبرزها التي عالجت قضية البدون. وهي طبعا في درجات متفاوتة من حيث تناول القضية وأداء حقها واكتمال العناصر الفنية ونقصها، ولا نفصل الكلام فيها خشية الإطالة. وإذا تتبعنا المسار التاريخي لقضية البدون في الرواية، فيظهر لنا أن الروائي الشهير والكاتب البارز ناصر الظفيري تناول هذه القضية في روايته "سماء مقلوبة" التي نشرها عام 1995م، وقد تناولت الرواية مقاساة مراهق من البدون في مناحي حياته المختلفة، فيواجه التمييز ويصطدم بالعنصرية والطبقية المتجذرتين في المجتمع الكويتي على أساس البدو والحضر، ثم أصدر الروائي ناصر الظفيري روايةً أخرى في عام 2013 م عندما تعمق لديه الوعي بهذه القضية و هي رواية "الصهد". قدم الظفيري فيه حياة شومان البدوي الذي أصبح بدونا في دولة الكويت رغم أنه خدم في الجيش وكان سفيرا إلى القبائل البدوية من

الحكومة ليأتي بالبدو من الصحراء إلى المدينة ويشاركهم في نهضة الدولة التي كانت تشهد طفرة اقتصادية بعد اكتشاف النفط، وألقى الضوء فيها أيضا على المراحل التاريخية التى مرت بها قضية البدون، وتُعد هذه روايةً مهمةً في هذه القضية. ثم أصدر الروائي القدير ناصر الظفيرى روايتين معروفتين بـ"كاليسكا" و" المسطر" في نفس القضية عام 2016م و 2017م على التوالي. وهذه الثلاثة الأخيرة معروفة بثلاثية الجهراء.

وهناك رواية أخرى مهمة، ولا يمكن التغاضى عنها إذا تحدثنا حول المعالجة الأدبية لقضية البدون، وهي رواية "في حضرة العنقاء والخل الوفي" للروائي إسماعيل فهد إسماعيل. قالت الناقدة سعاد العنزي عن هذه الرواية: "إن رواية "في حضرة العنقاء والخل الوفي" للروائي المتميز والقدير إسماعيل فهد إسماعيل هي الوحيدة التي قدمت رؤيةً عميقةً عن فئة "البدون"، وحفرت في تاريخ هذه الفئة وتحولات القضية منذ نشأتها مرورًا بالغزو العراقي، حتى ما بعد الغزو العراقي"[10]. وقال الناقد الدكتور علي العنزي عنها "هي رواية مؤلمة إلى حد الوجع تجاه هذه القضية، حيث يسرد إسماعيل مجاهدة أب من "البدون"، يدعى المنسي بن أبيه، بطل الرواية الراقد على هامش أحداثها، وهو يسرد مأساته لابنته زينب، كشهادة على زمن شارك فيه تحت مسمى "بدون"، معرفا ماهية وضعه الإنساني، كمهمش يُجر دائما من ياقته إلى ما لا يشتهي، حيث قُرر له اسمه ومسكنه وزيجته وطلاقه واسم ابنته وحتى تصنيفه قسرا كـ "بدون"[11].

ويطول بنا الكلام لو تحدثنا عن كل رواية، ولذا أكتفي بذلك، وأفصل الكلام في رواية ساق البامبو لسعود السنعوسى.

قضية البدون في رواية ساق البامبو:

صدرت هذه الرواية المشتملة على 396 صفحة عن الدار العربية للعلوم ناشرون، ببيروت، لبنان، في أواخر عام 2012م. وقد كتبها الكاتب الكبير والروائي الكويتي البارز سعود السنعوسي. وقد نشر أربع روايات حتى الآن، وهي سجين المرايا، وساق البامبو، وفئران أمي حصة، وحمام الدار، ولكن الرواية التى اشتهر بها هي ساق

[10] -سويدان، ليلاس، شخصية «البدون» في الرواية الكويتية، جريدة القدس، تاريخ النشر: 1 أبريل 2014م.

[11] -المرجع نفسه.

البامبو، التي حظيت باهتمام كبير من الأدباء والنقاد والقراء، وتعاظمت العناية بها من قبل كبار الأدباء والنقاد عقب فوزها بجائزة البوكر العربية في أبريل 2013م، والتي يتم منحها سنويا من قبل هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة في الإمارات العربية المتحدة بالاشتراك مع مؤسسة جائزة بوكر البريطانية للكتابة العربية الإبداعية. وقد تم اختيار رواية "ساق البامبو" باعتبارها الأفضل من بين 133 رواية عربية تقدمت للتنافس على هذه الجائزة القيمة التي تبلغ قيمتها 60 ألف دولار. وقالت لجنة التحكيم موضحة أسباب فوزها بهذه الجائزة: قد نصت لجنة التحكيم عن هذه الرواية" إنها عمل جريء يتناول على نحو موضوعي ظاهرة العمالة الأجنبية في الخليج العربي، وهي رواية محكمة البناء، تتميز بالعمق وتطرح سؤال الهوية في مجتمعات الخليج"[12].

قد تناولت الرواية قضايا عديدة، ومن أبرزها قضية العمالة الوافدة، والهوية، ومشاكل المجتمع الكويتي والخليجى وقضية البدون. وفي هذه العجالة البحثية، سأتحدث عن قضية البدون، وقد اقتحم الكاتب في هذه القضية في روايته من خلال شخصية غسان، وغسان - كما صوره الكاتب - شخص مثقف وشاعر وفنان وعازف عود، خدم في الجيش الكويتي، وينتمى إلى سلالة العسكريين، يحب الكويت كثيرا ويحزن لوفاة أميرها، وينشد الأغاني الوطنية المناهضة للاحتلال العراقي، وينضم إلى جيش المقاومة في فترة الاحتلال ويدافع عن وطنه، ورغم ذلك، لم يستطع اكتساب الجنسية الكويتية وينتمي إلى فئة البدون المحرومة من كل الحقوق المدنية والسياسية والاجتماعية، ويعيش في السلم الأخير للتراتبية الاجتماعية.

أما شخصية غسان في الرواية فهي شخصية ثانوية، وخلفيته البدونية تظهر في الرواية عندما يتحدث عن نفسه مع عيسى راشد الطاروف الشخصية الرئيسية في الرواية، وهو الذي ولد من أب كويتي راشد وأم فلبينية جوزافين التى كانت خادمة في أسرة راشد، وهذا الولد الهجين لايجد القبول لا في أسرة أبيه ولا في عائلة أمه، فهو وصمة عار في الكويت، ويدعى بـ Arabo وابن العاهرة في الفلبين، وشخصيته تعبر في

[12] -فرغلى، إبراهيم، "الفائز بالجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر) سعود النعوسي" **مجلة العربي**، يوليو 2013م، العدد 656، ص: 26.

الرواية عن قضية الهوية والاغتراب ومشاكل الانتماء والولاء لأكثر من اسم ووطن وديانة، فيقول "إنه قدري، أن أقضي عمري باحثا عن إسم ودين ووطن"[13]، ورغم معاناته من أزمة الذات وأزمة الهوية، يفاجئ بأزمة إنسانية أخرى، ويندهش بما يسمع عن مخلوقات عجيبة تسمى البدون في الكويت، فيقول " تعرفت، من خلال غسان، على نوع جديد وفريد من البشر. فصيلة جديدة ونادرة. اكتشفت أناسا أغرب من قبائل الأمازون، أو القبائل الإفريقية التي يتم اكتشافها بين حين وآخر. أناس ينتمون إلى مكان لا ينتمون إليه.. أو .. أناس لا ينتمون إلى مكان ينتمون إليه.. استعصت الفكرة على فهمي. أرهقت غسان في طلب التوضيح. وبعد محاولات عدة لتبسيط الفكرة، تمكن عقلي من هضمها بصعوبة!

ولكنك سافرت على تلك الطائرة التي تم اختطافها ذات يوم!

قلت له، أجاب بابتسامة لا أجد لها مبررا:

كانت الأمور، نوعا ما، أقل تعقيدا مما هي عليه الآن..

احتشدت كل المعلومات التي سمعتها من أمي عن غسان.

ولكنك عسكري!

قلت له حاثا إياه على التوضيح. أجاب:

كنت في يوم ما..

ألححت بالأسئلة. حاصرته إلى أن عرفت عنه كل شيء، ومعرفتي بكل شيء لا تعني، بالضرورة، فهمي لكل شيء. ذلك الحزن الذي على وجهه بسبب صفة لصيقة به لم يستطع أن يتخلص منها. هو **بدون**، أكره هذه التسمية التي لا أفهمها رغم ترجمة غسان لها، هو بلا جنسية، خُلق هكذا. لو كان سمكة سردين منشأها المحيط الأطلسي لأصبح سمكة أطلسية. لو كان طائرا في إحدى غابات الأمازون لأصبح طائرا أمازونيا. أما أن يولد أبواه في الكويت، ويولد هو الآخر حيث وُلدا، لا يعرف أرضا سواها، يعمل في سلكها العسكري، ويدافع عنها زمن الاحتلال..

فهو.. بدون!

[13] -السنعوسي، سعود، **ساق البامبو**، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2012م)، ص: 65-66.

بدون.. له خمسة إخوة كويتيين. فلتوا هم، وسقط هو في ثغرة القانون.

من أجل الرب.. ما هذا التعقيد غسان؟

سألته. ضحك وكأن ما يعيشه لا يستحق البكاء. واصلت:

وُلدت وأبواك هنا.. أخوتك، كلهم، كويتيون.. شغلت وظيفة في الجيش.. شاركتَ أبي، الكويتي، بالدفاع عن الكويت.. وبالأمس، عذرا على التطفل، كنت أراقبك تبكي وفاة أميرها.. ورغم كل هذا[14].

هذا وقد طرح السنعوسي مشكلة "غسان" بطريقة فكهة وطريفة جداً، فالشخصية الرئيسية عيسى عندما يسأل غسان البدون عن السبب الذي يمنعه عن السفر فيقول: لست أستطيع السفر. فأنا لست كويتيا[15].

ثم يجرى الحوار بينهما، وفيه شيء من الفكاهة والسخرية من الواقع:

من أين أنت إذن؟

أجاب على الفور:

بدون..

قلت له والحيرة في رأسي:

حقا؟! حسبتك كويتيا!

لم يتفاعل مع حيرتي. قلت:

بدون لم أسمع بهذه الدولة من قبل!

بقي غسان على صمته. سألته بغبائي المعتاد:

هل البدون ضمن دول الـ G.C.C؟

ضحك ضحكة تشبه البكاء[16].

وقد اتضح من هذه الاقتباسات المذكورة أن البدون لا يمتلكون حق الجنسية في الكويت رغم أنهم ينتمون إليها عرقيا ويشابهون الكويتيين في العروبة والدين واللغة

[14] -السنعوسي، سعود، **ساق البامبو**، ص :192-193.

[15] -المصدر نفسه، ص:191.

[16] -المصدر نفسه، ص: 191-192.

والثقافة، وقد عرفنا أيضا أنهم محرومون من الحقوق المدنية والإنسانية ومنها حق التنقل والسفر، والواقع أن الحكومة لاتصدر لهم جوازات إلا عند الحاجة القصوى وبعد إجراءات قاسية ولسفرة واحدة فقط. وإضافة إلى ذلك، هناك مشكلة أخرى وهي أن المجتمع الكويتي على سبيل العموم لا يتقبل البدون ولايرغب في إقامة العلاقات معهم، وينظرهم بنظرة يشوبها الاستحقار والازدراء، ويظهر ذلك من قصة الحب التى نشأت بين هند الكويتية وغسان البدون، وعندما تقدم ليطلب يدها فقالت أسرتها:

"أنت ولدنا ونكن لك كل التقدير ولكن .. في مسألة الزواج.. أسأل الله أن يرزقك بفتاة أفضل منها، كان هذا رد ماما غنيمة. خولة تتفهم رفض جدتي لغسان، فهي لا تريد لأحفادها أن يكونوا " بدون " مثل أبيهم، يرفضهم الناس والقانون"[17].

وبعد أن فشل غسان في حبه بسبب لقبه " البدون"، رفض أن يقترن بأية امرأة، وآثر العزوبية على الزواج وظل مثل نبتة لا تستطيع التجذّر في هذه الأرض الطاردة لمواطنيها. فيقول "لا أريد أن أنجب أبناء يلعنونني بعد موتي يا عيسى..."[18]. ويضيف قائلا: ماالذي يمكنني توريثه لأبنائي سوى صفة ظلت لصيقة بي طيلة حياتي.."[19]. وقال أيضا: "البدون، يا عيسى، جينة مشوهة. تتعطل بعض الجينات ولا تصل إلى الأبناء، أو تتجاوزهم لتظهر في الأجيال اللاحقة من ذريتهم، إلا هذه الجينة الخبيثة، فإنها لا تخطئ أبدا. تنتقل من جيل إلى آخر محطمة آمال حامليها"[20].

يتضح من الاقتباسات المذكورة أن البدون يعانون من حالات قلقة تفوق الوصف والبيان، وقد ألقى الروائي سعود السنعوسى الضوء على بعض النواحي لحياة البدون وأهمل البقية، لأن الشخصية التى عبر بها عن قضية البدون شخصية ثانوية، فلا يمكن له استيعاب القضية والوفاء بحقها، ويؤكد ذلك ما قاله الروائي البارز ناصر الظفيري في نقده على رواية " ساق البامبو" إن سرد الرواية لم يكن مقنعا لرفض بطل الرواية "عيسى" لصديق والده "غسان" ورأى أن "الأنا" الضمني أو الراوي الضمني تعامل

[17] -المصدر نفسه، ص: 281.
[18] -المصدر نفسه، ص: 227.
[19] -المصدر نفسه، ص: 228.
[20] -المصدر نفسه، ص: 228.

مع غسان كرجل يستغل فرصة لم تتحقق فمارس الانتقام من خلال إعادة "عيسى". وقال في النهاية: لم تخرج الرواية الكويتية بعيدا عن تلك الصورة النمطية التي قدمت البدون "الآخر" بعد عام 1990م، قد تتعاطف مع هذا "الآخر" لكنها تقدم الصورة النمطية للبدون[21].

وما قاله الظفيري صحيح، فهناك مجال رحب للأدباء والكتاب أن يكتبوا عن هذه الفئة المحرومة من حقها الأساسي، وهو حق المواطنة، وقد أكد عليه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان للأمم المتحدة فتنص المادة الخامسة عشر للإعلان:

(أ) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

(ب) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها[22].

فأهيب بالمجتمع العالمي لبذل المحاولة الجادة لإعطاء البدون حقهم الأساسي، لأن المرء لو لم يتمتع بحق المواطنة فيحرم من الحقوق الإنسانية الأخرى أيضا، ومن أهمها التعليم. فقد قال أحد من البدون أمام صحفي "لقد اضطررت للانتظار أكثر من 16 سنة كي تسمح لي السلطات بالتسجيل في الجامعة. كيف يمكن أن أشعر عندما لا تعترف السلطات بوجودي؟ أنا غير موجود حسب الدفاتر الرسمية لأنني لا أتوفر على الجنسية الكويتية"[23].

فالواقع يشهد على أن البدون يعيشون الحرمان بمعنى الكلمة، فهم محرومون من الحقوق الإنسانية الأساسية مثل التعليم، والصحة، والعمل في القطاعين الحكومي والخاص، والسكن، ووثائق السفر، وشهادات الميلاد والوفاة، وعقود الزواج، ورخصة قيادة المركبات، وحق التملك. وفي السنوات الأخيرة، وجد البدون بعض الحقوق بعد الضغوط الدولية، ولكن لا يتم منحها للجميع على نحو مرضي وبطريقة شفافة وعادلة، ويعيشون حتى اليوم على هامش الوطن في أحياء فقيرة خالية من التسهيلات المدنية وفي مباني بالية توجد في أطراف الجهراء والصليبية وتيماء. فقضية البدون أزمة

[21] -أحمد، عبد المحسن، المقال: الظفيري: الرواية الكويتية حافظت على الصورة النمطية للبدون، جريدة الجريدة، نشر المقال في 13 فبراير 2014م.

[22] -الموقع الرسمي للأمم المتحدة "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" الموقع www.un.org/ar

[23] -موقع المستقبل، http://www.almustagbal.com/newstab.php?Vid=551 تاريخ الزيارة: 10 يوليو 2014م.

إنسانية موجعة وكارثة عظيمة ووصمة عار على البشرية جمعاء، فهى تستجدي الحل الشامل واهتمام المجتمع الدولى بصورة عاجلة.

خاتمة البحث:

لقد اتضح مما مضى أن قضية البدون قضية خطيرة، تتفرد بسماتها وملامحها من قضية عديمي الجنسية، وقد عالجها بعض الروائيين في أعمالهم الروائية لتقديم الجانب الإنساني للقضية وتصوير معاناة البدون في أساليب أدبية بارعة، ومنهم الكاتب سعود السنعوسي في روايته "ساق البامبو". إنه قدّم صورة نمطية للبدون، حيث انه عالج هذه القضية عبر شخصية ثانوية، وتناول معاناة البدون تناولا هامشيا. وركز أكثر على تصوير أزمة الذات وأزمة الهوية ومشاكل العمالة الأجنبية في البلدان الخليجية. وقد أحدث ضجة إعلامية كبيرة من خلال طرح القضايا الشائكة التي تهم المجتمع الخليجي والكويتي.

المصادر والمراجع:

- أحمد، عبد المحسن، الظفيري، الرواية الكويتية حافظت على الصورة النمطية للبدون، جريدة الجريدة، http://www.aljarida.com.
- إسماعيل، فهد إسماعيل، في حضرة العنقاء والخل الوفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2013م.
- تقارير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (الموقع: www.unhcr.org) وتقارير الجزيرة العربية وبعض الدراسات المتعلقة بعديمي الجنسية. ومنها "مشكلة غير محددى الجنسية، طبيعة التعامل الرسمى والخارجي" دراسة صدرت في نوفمبر 1996 من مجلس الأمة الكويتي.
- خليفة، سامى نصر، البدون في الكويت بين الحقوق المدنية والتجنيس، دراسة أصدرتها حركة الكويتين البدون ونشرت في موقعها www.kuwbedmov.org، ونشرتها أيضا جريدة الرأي الكويتية عام 2007م.

  دراسة مستفيضة نشرت في الموقع: http://kenanaonline.com/
- السنعوسي، سعود، ساق البامبو، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل، ط1، 2012م.

- سويدان، ليلاس، شخصية «البدون» في الرواية الكويتية، جريدة القدس، تاريخ النشر 01/04/2014، رابط المقال لا يعمل، المقال موجود بصيغة pdf.
- الظفيري، ناصر، الصهد، البحرين، دار مسعى للنشر والتوزيع، ط1، 2013م.
- الظفيري، ناصر، سماء مقلوبة، البحرين، دار مسعى للنشر والتوزيع، ط3، 2014م.
- عبد الشافي، عصام، قضية البدون في الكويت: قراءة في الأبعاد الداخلية والخارجية،
- فرغلى، إبراهيم، " الفائز بالجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر) سعود النعوسي" مجلة العربي، يوليو 2013م، العدد 656، تصدر المجلة من وزارة الإعلام بدولة الكويت.
- موقع المستقبل، http://www.almustagbal.com
- https://www.peacepalacelibrary.nl/

روايات أحلام مستغانمي:
مقاربة جندرية مابعد الاستعمارية

محمد ميكائيل*
Email: mohd.mikail@gmail.com

ملخص البحث:

إن أحلام مستغانمي ابنة الجزائر، التي حملت وطنها في صفحات أدبها قضيةً ورسالة، بلغت مرتبةً لا بأس فيها من حيث جودة الإنتاج الروائي الذي يناقش مواضيع مختلفة سواءً على الصعيد السياسي أم الديني أم الاجتماعي أم الثقافي، وإن كان بالتحديد يعالج واقع المرأة العربية. سيتناول هذا البحث أحد المواضيع العديدة في روايات أحلام مستغانمي وهو مقاربة جندرية مابعد الاستعمارية. كما نرى أن أحلام مستغانمي ظهرت ككاتبة محترفة تتقن رسم التفاصيل بدقة وجمال، معبرة عن واقع الأنثى بكثير من الشفافية والوجع، رافضة أن تكون النساء مجرد جوار على مائدة الشهوة الذكورية، إنها ناضلت في كل رواياتها مع بني قومها لنيل الحرية، ورفضت الظلم بكل أشكاله. إنها تريد أن تعطي المرأة الحق في أن تعيش خارج إطار الذكرى المؤلمة، وبعيدا عن حكاية لم يكن لها محصلة إلا الخيبات والأوضاع المتتالية، وهي تناضل ضد سلطة الرجل الذكورية. نجد الحرب ضد سلطة الرجل الذكورية في كل أعمالها من فوضى الحواس وعابر سبيل ونيسان دات كوم والأسود يليق بك، حتى نقدها بعض النقاد بأنها بالغت في تصوير آلام المرأة والهجوم على الناس.

كلمات مفتاحية: أحلام مستغانمي، آلام المرأة، الحب، السلطة الذكورية، مقاربة جندرية.

Abstract:

Ahlam Mostaganemi, the daughter of Algeria, who took up her country as an issue and a message in her literary works, has reached a considerable level in the field of novels in terms of quality, which discuss political, religious, social and cultural aspects of the society. They specifically address the reality of Arab women and different issues related

* باحث هندي.

to them. This article will examine one of the themes in the novels of Ahlam Mustaganemi, i.e. a post-colonial gender approach. We find that Ahlam Mostaghanemi has emerged as a professional writer who has the ability to render details beautifully and accurately, expressing the reality of women with transparency and pain, refusing to be a mere object at the table of masculine lust. She fought in all her novels for freedom and rejected injustice in all its forms. She wants to give women the right to live outside the painful memory, away from a tale that has only the consequences of successive disappointments, and struggles against the male authority. We find the war against the male authority in her all works such as Fauza Al Hawas, Abir Sarir, Nisyan dot com and Al aswad yaliqo bik. So she has been criticized by some critics that she has exaggerated the portrayal of women's pain and attack on people.

مقدمة:

عاشت المرأة عامة والمرأة العربية خاصة مدة طويلة على هامش التاريخ، في المجتمع، ماكانت لها قدرة ولا سلطة ولا اختيار في حياتها، كان المجتمع الذكوري يحكم عليها في جميع مجالاتها، وباتت القضية أي قضية النهوض بالمرأة وتطوير وتحسين وضعها وظروفها إلى مستوى المكانة التي تستحقها واحدة من أهم القضايا المعاصرة التي مازالت تشغل الحكومات والهيئات والمؤسسات والإدارات المحلية والدولية، فكانت هذه القضية على جدول أعمال العديد من المؤتمرات الدولية منذ مطلع التسعينات، وتم تبني مجموعة واسعة من الأسس والمعايير المحلية والدولية لحماية حقوق المرأة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والمدنية. وقد التزمت الدول باتخاذ إجراءات وخطوات حاسمة للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة ومنحها الحقوق في التربية والتعليم في الحياة والعامة والخاصة داخل الأسرة وخارجها، والقضاء على الأدوار والنمطية للجنس[1].

وبعد هذه المحاولات الكثيرة ومشاركة الدول العربية والإسلامية في هذه المؤتمرات والندوات، تحسنت أوضاع المرأة نسبيا وأعطتها بعض الدول والحكومات فرص التعليم والتربية والعمل وأبعدت القيود والعقبات أمام حريتها واستقلالها. ولكن

[1] -السيوف، نبيلة فايز، **قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية**، (رسالة الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية 2002 م)، ص: 109.

رغم هذا التحسن في الوضع والتغير في المتخيل والمفاهيم حول دور المرأة وحقوقها إنها لاتزال تعاني من استلاب الحقوق في مجالات مختلفة إضافة إلى سيادة المفاهيم الذكورية الاجتماعية التي تحملها الكثير من أعباء الحياة وتجعلها بعيدة عن مواضع القرار[2].

كما يقول الدكتور صابر بلول "فعلى الرغم التقدم الذي شهدته المرأة العربية في مجال الصحة والتعليم لم تقترن هذه المكاسب بإنجازات مماثلة في مجال الميدان السياسي وحصة المرأة في المشاركة في الحياة العامة والسياسية في المنطقة العربية، هي من بين أدنى الحصص في مناطق العالم، على أرض الواقع توجد فجوة كبيرة جدا بين التوجهات والقرارات الدولية وبين واقع تمكين المرأة العربية سياسيا"[3].

في هذه الظروف السيئة المظلمة ما كانت للكاتبات والأديبات العربية أن يكوني مكتوفات الأيدي إزاءها، فقد كافحن للدفاع عن حقوق المرأة وقمن بمواصلة الجهود والمساعي بقلمهن ولسانهن لتعزيز ودعم المرأة والنهوض بها. وقد شهدت الدول العربية بعد الاستقلال من الاستعمار الأجنبي تحولا كبيرا في الكتابة النسائية، واكتظت الساحة الأدبية والعربية بعشرات الكاتبات في القصة والأقصوصة والمقالة والشعر. وكذلك مالت الرواية إلى الاتجاه الواقعي الاجتماعي، ورُفع الصوت ضد الظلم والقهر السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمرأة. وقد برزت روائيات طرحن مفاهيم جريئة في أعمالهن ورفضن قيود السلطة الأبوية واخترقن معظم التابوهات وذكرن في كتاباتهن هموم المرأة وآمالها وآلامها وقضاياها. كما جاهدن للقضاء على السلطة الذكورية على الأدب واللغة والثقافة والتعبير الإبداعي. وإن أحلام مستغانمي هي من بين كاتبات وأديبات العشرية السوداء في القرن العشرين التي واصلت جهادها ضد السلطة الذكورية على الأدب والثقافة وعملت لحماية حقوق المرأة ببث الوعي لإزالة التمييز الجندري، ودعت إلى المقاربة والمساواة بينهما في كافة المجالات.

---

[2] -المصدر نفسه، ص: 10.

[3] -بلول، الدكتور صابر، **التمكين السياسي للمرأة العربية بين القرارات والتوجهات الدولية والواقع**، مجلة جامعة دمشق، العدد الثاني، المجلد 25، 2009م، ص: 645.

فنحن ندرس هذه القضايا المتعلقة بالمقاربة الجندرية في الحقوق والأدب واللغة والثقافة والكتابة بعد الاستعمار، وجهود المرأة والكاتبة والأديبة والعربية في إمحاء السلطة الذكورية في هذه المجالات بكتاباتها الروائية. وفي هذه الصدد، نركز على جهود أحلام مستغانمي وثلاثيتها وعلى ما تتضمن رواياتها من القضايا.

مقاربة جندرية في روايات أحلام مستغانمي:

عندما ندرس ونستعرض روايات أحلام مستغانمي التى جاءت في عقد العشرينات أو بعدها نجدها سلسلة من تلك الجهود والمساعي التى بذلت في سبيل حماية حقوق المرأة والدفاع عن شرفها وكرامتها وإعطائها تلك المكانة المرموقة التى تستحقها والتعامل معها معاملة المساواة في الحقوق والواجبات أو التربية والتعليم والمجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والوظائف المهنية منها نضالها مع بني قومها لنيل الحرية، الحرية من براثن الاستعمار، الحرية من السلطة الذكورية وكل نوع من التبعية. إنها أثبتت بواسطة أبطالها أنه لا فضل لإنسان على إنسان بجنسه ولونه وشكل جسده وإنما فضل الإنسان يتأتى بعمله وعلمه وما يقدمه لنفسه وللآخرين.

تريد الكاتبة من المرأة أن تخرج من هالة الرجل وسطوته وسلطته وتخلق عالمها الخاص وتسلك مسلك الاعتدال والوسطية في الحب والعشق والحنان كما تقول "في الحب لا تفرطي في شيء، بل كوني مفرطة في كل شيء، اذهبي في كل حالة إلى أقصاها، في التطرف تكمن قوتك ويخلد أثرك، أن اعتدلت أصبحت امرأة عادية، يمكن نسيانها واستبدالها لاتحبي...اعشقي...افقدي عقلك، لاتقيمي في قلبه.. تفشى فيه، لا تكوني أمامه... بل خلفه، تقمصى كل امرأة لها قرابة به وكل أنثى يمكن أن يحتاج إليها وكل شيء يمكن أن يلمسه كوني ابنته وشغلته وقطته ومسبحته وصابون استحمامه ومناشفه ومقود سياته وحزام أمانه ومصعد بنايته .... كونى عباءة بيته... سجاد صلاته، كوني أريكة جلوسه ومسند راحته وشاشة..كوني بيته كوني المرأة التى لا يرى قبلها امرأة ولن تأتى بعدها... بل مجرد إناث"[4].

هناك ثلاثة خطوط حمراء (السياسة، الجنس، الدين) كانت على الكاتبة العربية أن لا تتجاوزها ولا تقترب منها ولكن الروائية أحلام مستغانمي استطاعت بجرأة

[4] -المصدر نفسه، ص: 85-87.

نادرة أن تدخل المناطق المحرمة، كما نجد بطلة رواياتها تحب كما يحب الرجل وتعشق كما يعشق الرجل حتى تختلط في العزلة وتفعل كل ما كان ممنوعا ومحرما في المجتمع العربي، كنا نفهم بعضنا بصمت متواطئ كان حضورك يوقظ رجولتي، كان عطرك يستفزني، ويستدرجني إلى الجنون، وعيناك تجرد أنني من سلاحي حتى عند ما تمطران حزنا[5].

وقد جاء الجنس في موضع آخر أكثر شفافية ونقاء "كنت أريد أن أقول لك شيئا لم أعد ذكره، ولكن أقول قبل أن أقول أية كلمة، كانت شفتاي قد سبقتاني، وراحتا تلتهمان شفتيك في قبلة محمومة مفاجئة، وكانت ذراعي الوحيدة تحيط بك كحزام، وتحولك في ضخمة واحدة،إلى قطعة مني، انتفضت قليلا بين يدي كسمكة، خرجت لتوها من البحر ثم استسلمت إلي، أن شعرت الطويل الحالك، ينفرط فجأة على كتفيك مثالا غجريا أسود، ويوقظ رغبة قذعة، لإمساكك منه، بشراسة العشق الممنوع بينما راحت شفتاي تبحثان عن طريقة تتركان بها توقيعي على شفتيك المرسومتين مسبقا للحب"[6].

وقد تبلغ أحلام مستغانمي في بيان الحب والعشق هذا الجنون وتقول ما يتجاوز حد الأخلاقيات حتى تصل إلى باب المحرمات، كما هي تقول " لو كنت في أه..... لوكنت في ذلك الصباح .. في السرير الكبير الفارغ البارد دونك، في ذلك البيت الشاسع، بذكريات الطفولة المبثورة، شهوة الشباب المكبوت، الذي مر على عجل، لو كنت لي لامتلكتك كما لم أمتلك امرأة هنا، لاعتصرتك بيدي الوحيدة في لحظة جنون، لحولتك إلى قطع، إلى مواد أولية ..... على بقايا امرأة إلى عجينة، تصلح لصنع امرأة. إلى أي شيء غيرك أنت، أي شيء، أقل غرورات وكبرياء، أقل ظلما وجبروتا منك. أنا الذي لم أرفع يدي الوحيدة في وجه امرأة، ربما كنت ضربتك ذلك اليوم حد الألم، ثم أحببتك حد الأم، ثم جلست إلى جوار جسدك اعتذر له... أقبل كل شيء فيك، أمحو بشفتي حمرة أطرافك المخضبة، بالحناء، لأوشمك بشراسة القبل"[7].

---

[5] -مستغانمي، أحلام، **ذاكرة الجسد**، (بيروت: دار الجيل، 1999م)، ص: 120.

[6] -المصدر نفسه، ص: 172.

[7] -المصدر نفسه، ص: 232 - 233

تنادي أحلام مستغانمي بإخراج المرأة العربية من العادات الواهية والتقاليد السياسية، وتحب منحها الاختيار في الزواج واللباس وبناء العلاقة مع الآخرين، كما تذم هي هذه الفتورة بلسان بطلة في فوضى الحواس بأسلوب السخرية "إننى أمضي نحو عبوديتي بمشيتي ومن الأرجح ... دون انتباه .. سعيدة سكينتي أواستكانتي إليه تاركة له الدور الأجمل، دور الرجولة التى تأمر، وتقرر، وتطالب، وتحمي، وتدفع، وتتمادى، كنت أجد في تصرفه شيئا من الأبوة[8].

تبرز أحلام مستغانمي مدى سيطرة الرجل على المرأة حتى في السرير فهي مسلوبة الإرادة و ذلك عندما تقوم "حياة الحب عن المعاشرة بينها وبين زوجها الضابط دوما، كان ضابطا يحب الانتصارات السريعة حتى في سرير، أنثى تحب الهزائم الجميلة"[9].

تسلّط الكاتبة الضوء على مسألة لطالما عانت منها النساء في المجتمع العربي بشكل عام، ألا وهي مسألة المرأة المطلقة، حيث تقوم الكاتبة بسردها بلغة نسوية متوافقةً مع الضجة التي تثار حول هذه المسألة، فعندما تسأل "حياة" عشيقها عن الارتباط بها في حال طلاقه من زوجها الضابط: "لو انفصلت عنه ...هل تتزوجني؟"[10]، فيتذرع العشيق بعدم امتلاكه لشيء، وعدم مقدرته على تلبية احتياجاتها الحياتية، فتستفيد الكاتبة من افتراض وقوع طلاقها وعدم ارتباط عشيقها بها "قد أنجح في أن أتحرر من هذا الرجل -زوجها -، رغم أنني لا أتوقع أن يكون هذا أمراً سهلاً، ولكن الأصعب ستكون حرّيّتي بعده، فحياة امرأة مطلقة في بلدٍ كهذا هي عبودية أكبر، إنها تتحرر من رجل كي يصبح كل الناس أوصياء عليها"[11].

فالكاتبة تطرح نظرة المجتمع للمرأة المطلقة، فهي نظرة فيها من القساوة والعتاب واللوم، وقسوة المعاملة وقلة احترامها، مما يجعلها أكثر عرضة للذئاب البشرية بحكم فقد عذريتها وتسترها بكلمة مطلقة.

---

[8] -مستغانمي، أحلام، **فوضى الحواس**، (بيروت: منشورات أحلام مستغانمي، 2001م)، ص: 38.

[9] -المصدر نفسه، ص: 97.

[10] -المصدر نفسه، ص: 320.

[11] -المصدر نفسه، ص: 320.

إنها تبين مدى معاناة المرأة عندما تمشي في الشارع منفردةً، فالمشكلة الكبرى التي تواجه المرأة في حالةٍ كهذه هي نظرات الرجال التي تنهال عليها من كل حَدَبٍ وصَوْبٍ كالسهام، أو التحرش الذي قد تتعرض له، فتصورها الكاتبة بلغتها الخاصة قائلةً: "لتجد في انتظارها جيشاً من الرجال الذين لا شغل لهم سوى التحرش بأنثى، على قدرٍ كافٍ من الحرية أو الجنون"[12].

وفي رواية "فوضى الحواس" نلاحظ الكثير من المحاور التي تلجأ إليها الكاتبة بغية الدخول في تفاصيل غالباً ما يكون سردها مختصاً بالمرأة. ونجد في بداية الرواية سمة من سمات المرأة وهي كثرة الأسئلة، فنلاحظ أن كثرة أسئلة المرأة هو نابع من فضولها وحبها في التعرف على كافة التفاصيل التي تتعلق بموضوع معين لها طرف فيه، أو هي الأنانية التي تتملكها في سبيل الإبقاء على الرجل ملكاً لها ومعرفة كافة أفكاره وتصوراته. وفي حوار آخر يتضح إكثار المرأة من الأسئلة عندما يردّ الرجل على "حياة" قائلاً "كم يلزمني من الصمت يا سيدتي.. لأردّ على أسئلتك"[13].

ثم تلج الكاتبة في خفايا المرأة ومقارنتها بين الحبيب غير الزوج والزوج، ومدى توافر عنصر المفاجأة مع كلا الشخصين، ومدى الضياع الذي تعاني منه بعض النساء خلال مسيرة الزواج، وتريد أن تلفت الانتباه إلى ما يجول بخاطر المرأة من أفكار حول العلاقة الغرامية والعلاقة الزوجية، فتقوم بعقد المقارنة بين مدى الرتابة التي تعيشها المرأة في حال ما إذا امتدت حياتها الزوجية، وأصبحت تلك الحياة عبارة عن خدمة الزوج والأبناء والقيام على الشؤون الداخلية للبيت، وبين ما تكتشفه المرأة في حال إنشاء علاقات غرامية متجددة تحمل لها الكثير من المفاجآت التي تغير من نمط حياتها وتجعلها أكثر معرفةً بالرجال.

وفي سياق العلاقة الزوجية للمرأة العربية تبدي الكاتبة مدى تعلق المرأة العربية بزوجها وتنصيبه ولياً لأمرها والقائد الوحيد لها، فهي تريد أن تبرز أن المرأة العربيّة أسيرة التقاليد، ولكنها كذلك تستغلّ هذه التقاليد لمصلحتها ساعة تريد، إضافةً إلى إظهار المرأة العربيّة كضحيّة للرجال، ولكنّها الضحيّة التي تستلذّ ألمها وتستعذب

[12] -مستغانمي، **فوضى الحواس**، ص: 45.

[13] -المصدر نفسه، ص: 81.

معاناتها وتستفيد من صورتها هذه لتتصرف إمّا إلى الكسل والاتكاليّة أو إلى استدرار العطف وكسب التأييد، فالكاتبة تشير إلى بدايات علاقة "حياة" بزوجها الضابط العسكري قائلةً: "إنني أمضي نحو عبوديتي بمشيئتي، ومن الأرجح ..دون انتباه.. سعيدةٌ بسكينتي أو استكانتي إليه، تاركةً له الدور الأجمل، دور الرجولة التي تأمر، وتقرر، وتطالب، وتحمي، وتدفع، وتتمادى. كنت أجد في تصرفه شيئاً من الأبوة...".

تنتقد أحلام مستغانمي بعنف النفاق الاجتماعي في المجتمع الجزائري، وغرور الرجل، بتمسكه بالشرف، ولكنه في نفس الوقت، يتباهى برجولته ومغامراته الجنسية، بينه وبين أصدقائه، فمع من هو يزني إذن؟؟؟ وهذا هو خداع للذات، وهذه هي العقلية الذكورية المتفشية عربيا، من المحيط إلى الخليج، وليس فقط في المجتمع الجزائري فحسب.

تريد أحلام مستغانمي من المرأة العربية بعامة والمرأة الجزائرية بخاصة أن تتمرد على الأعراف والتقاليد التى فُرضت عليها من المجتمع الذكورى. كما نجد رواية فوضى الحواس تقدم على حوار بين حبيبين يستعيدان ذكرياتهما، يتفقان للذهاب إلى السينماء في قسنطينة وتتخذ الرواية قرارا بالذهاب إلى السينماء، هنا يختلط وهم الكتابة بالحياة، تفنن الرواية ببطل قصتها وتجعله يغادر الورق وتبدأ بينهما قصة غرامية تصل فيها البطلة إلى حد خيانة زوجها، تتمرد البطلة على الأعراف والتقاليد، وتغامر بارتياد المقاهي وقاعات السينماء وتشتري علب السجائر لعشيقها وتسافر عدة مرات لملاقاته في مدينة أخرى لتحقق معه مالم تستطع تحقيقه مع زوجها، "سيكون من الصعب أن ألتقي بك في النهار، فليس من المعقول أن أترك ناصر وأمّا وحدها، لكنني عثرت على حيلة تمكنني من أن أقضي ليلة الغد معك"[14].

هكذا حاولت أحلام مستغانمي إلغاء التميز الاجتماعي الثقافي بين الذكر والأنثى وخلق نوع من المساواة بينها على أساس إنساني. يرى عبد الله الغدامى أن الكاتبة أحلام مستغانمي عندما جعلت الراوي ذكرا في ذاكرة الجسد وأنثى في فوضى الحواس إنما أرادت المساواة بين الرجل والمرأة على مستوى إعطاء الحق لكل

[14] -مستغانمي، أحلام، **عابر سرير**، (بيروت: منشورات أحلام مستغانمي)، ص: 199.

منهما ليدلي بشهادته عن قصة الحب التى جمعت وفرقت بينهما، وليحدثنا كلاهما عن الجزائر من الزاوية الخاصة. فلا تظهر المرأة مستودعا للأسرار فحسب بل تعبر أيضا وببليغ الكلام عما يختلج في نفسها مثلها في ذلك مثل الرجل[15].

إن أكبر المهمات والإنجازات التى قامت بها أحلام مستغانمي هي أنها كسرت تابوهات الرجل وسلطته وغلبته على الكتابة ومجال الإبداع. كان قد اعتاد القارئ العربي على أن الإبداع مقتصر على الرجل دون المرأة. فمكانها في الإبداع كان ينحصر في الإنجاب والطبخ والكنس وتدبير شؤون البيت. وإن هذه النظرية الذكورية الاستعلائية مستمرة قبل زمن الخنساء حيث يرى الرجل المبدع في إبداع المرأة محض تسليات لا تؤخذ بالجد الكافي حتى إن المرأة الكاتبة المبدعة نفسها كان يلازمها الشعور بالوهن والخوف من تجربتها ومن عدم قدومتها على الصمود أمام تجارب الرجال، فتتكفئ على ذاتها وتنسحب من الساحة الأدبية.

وأشارت إليه عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ "النقاد العرب القدماء حصروا شاعرية المرأة في الرثاء فقط، متأثرين في ذلك بأوضاع مجتمعهم الذي وأد الأنثى عاطفيا واجتماعيا ولم يعترف بالنساء غير راثيات[16].

هكذا نجد الأدباء والنقاد في العصر الحديث قد أحاطوا المرأة في دائرة الحب والعاطفة والرغبة الجنسية، وقد حاولت غادة السمان أن تبدل هذا المتخيل تجاه المرأة المبدعة وتتحداه وتتخطاه بقدرتها على التلاعب بمفردات اللغة وإكسابها الدلالات العديدة وجمعت في لغتها بين الشعر والنثر، فجاءت لغتها مصقولة منولوجية شعرية الأسرة هامسية مثيرة تأخذ بالقارئ وتأسره، ثم جاءت أحلام مستغانمي برواياتها الأخاذة والتاريخية وكسر السلطة الذكورية على الأدب واللغة نهائيا.

قد مارست أحلام مستغانمي في رواياتها بعض التحرير غير المعهود ودعت المرأة العربية إلى دخول عالم الكتابة والإبداع كأسرة الحواجز والعوائق أمامها، وإلى إيصال صوتها لتعترف الجميع بتمكنها وتقر بتجربتها الأدبية بعد أن وجدت نفسها في وسط

[15] -الغدامى، عبد الله، **المرأة واللغة**، ص: 183.

[16] -بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، **الخنساء**، دار المعارف، 1963م، ص: 59.

يقيدها ويحاسبها على أنها فرد فاقد الأهلية، لايحق له أن يمارس حرياته المتنوعة إلا ضمن الإطار الذى يحدده العرف والمجتمع[17].

تناضل أحلام مستغانمي من أجل حرية الوطن ولكنها تؤمن بأن حرية الوطن لا يمكن الحصول عليها إلا بحرية المواطن، وأن الكلمات حرة منطلقة ثائرة مجلجلة بالحقيقة على الرغم من مرارتها. جاء على لسان بطلها خالد "ها هو ذا القلم إذن الأكثر بوحا الأكثر جرحا، ها هو ذا الذي لا يتقن المراوغة، لايعرف كيف توضع الظلال على الأشياء، ولا كيف ترش الألوان على الجرح المعروض للفرجة[18]. ثم هي في موضع آخر تزاوج بين الكتابة والأدب "إن المهم في كل ما نكتبه هو ما نكتبه لا غير، فوحدها الكتابة هي الأدب وهي التي ستبقى"[19]، لتجعل منها فيما بعد مرحلة تابعة للصدمات والآلام، فبمجرد غياب الحب يظهر الأدب كما تقول " هنيئا للأدب على فجيعتنا إذن[20].

حولت الكلام مستغانمي في الرواية إلى أيقونة بل عملية لاشتمالة القارئ مهما كان نوعه أوصفته، إنها ما كتبت كتابة الجسد بل عمدت إلى خرق كل التابوهات لتؤسس علاقة جديدة بينها وبين العالم، وخلق أفق جديد للأدب، إنها ما كتبت عن الجنس للمتعة بل للرغبة بل لبيان ما كانت عليه الحقيقة، أنا لا أكتب الجنس لأجل الإثارة بل أكتب كما أتكلم وأحس. ..... وأنا كاتبة الرغبة، ولست كاتبة المتعة وكل كتاباتي قائمة على الرغبة لمتعة شيء آخر لا يعنيني لأن المتعة قتل للأدب، ربما لأن الرغبة صنع لإرادة الحياة والمتعة قتل وإطفاء للرغبة[21].

يعاني المجتمع الجزائري كبقية المجتمعات العربية الأخرى عدة مشاكل اجتماعية وتعترض سبيل تقدمه جملة من عوارض تخلف ومظاهر الظلم والحيف، ومن جملة المشاكل المطروحة قضية المرأة. استمر هذا التمييز الجنسي في فترة الاستعمار

---

[17] -آمال، منصور، "الخطاب الأدبي النسوي بين سلطة المتخيل و سؤال الهوية"، **مجلة المخبر**، العدد 3، قسم الأدب العربي ص: 199.

[18] -ذاكرة الجسد، ص: 10.

[19] -المصدر نفسه، ص: 15.

[20] -المصدر نفسه، ص: 7.

[21] -موساوي، آسيا بشير مفتى، "**مقالة أحلام مستغانمي لا أغفر للذين نهبوا الجزائر**"، مجلة الاختلاف، العدد3، 2003م، الجزائر، ص: 30.

ولكن ظروفها وواقعها تغير نسبيا في أثناء الثورة والحرب إذ أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح ضد السيطرة الأجنبية بمساعدتها الرجل وبحمل السلاح، وعبرت عن نفسها بصورة مضاعفة تثبت قوتها لمستعمر وللرجل في الوقت نفسه فكانت الثورة الجزائرية ثورة في عقول الرجل وارتفعت أول مرة مكانة المرأة في المجتمع[22]. كما تقول الباحثة "لقد برهنت الحرب حقا أنها كانت الفترة الذهبية في تاريخ المرأة الجزائرية، إذ أنه في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغييرات مفاجئة شاملة وبعيدة المدى في وضعية المرأة[23].

ولكن المرأة خاب أملها بعد الاستعمار إذ رفض الرجل لمرة ثانية قبولها في الأمكنة العامة، وعلى الرغم من أن المرأة الجزائرية قد حققت بعض مطالبها من خلال القوانين مثل "برنامج طرابلس" و"ميثاق الجزائر" ما ينص على مساواة المرأة بالرجل إلا أن هذه المساواة لم تتحقق كاملة، قد بقيت المرأة وسيلة للمتعة أو للخدمة قبل كل شيء.

فرفعت المرأة صوتها وثارت ثائرتها، وفي صفها الأول كانت أحلام مستغانمي التي نادت من خلال شعرها وكتاباتها ورواياتها إلى حماية المرأة والدفاع عن شرفها وكراماتها وحقوقها، يقول نزيه أبو نضال أن الرواية (ذاكرة الجسد) تشهد حضورا كثيفا لجنس الرجال في مقابل غياب الجنس المؤنث، إن دور البطولة الرئيسي وشبه المطلق للرجل، هكذا يقول التاريخ الاجتماعي للجزائر، أما المرأة فظل دورها هامشيا، وبهذا فإن "بطلة حياة تلعب نسبيا دور النموذج الواقعي لدور المرأة في الزمن الاجتماعي للرواية"[24].

لم تحدد أحلام مستغانمي آفاقها الروائية في حدود التنظير للشعر والكتابة الروائية بصفة عامة إنما راحت أيضا تطالب بإعادة النظر في قضايا نقدية وإبداعية كثيرة لم يفضل النقد فيها نهائيا وأشارت بإلحاح إلى قضية الأدب النسائي والنقد النسائي وطالبت العديد من النساء المبدعات بإعادة النظر في المبدأ والمعيار الذي يجعل

[22] -سلمان، نور، **الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير**، (بيروت: دار العلوم للملايين 1981م) ص: 451.

[23] - باميه، عابدة أديب، **تطور الأدب القصصي الجزائرى**، (الجزائر: المطبوعات الجامعية، ط 2، 1982م)، ص: 207.

[24] -أبو نضال، نزية، **تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية** (نقلا عن قضايا المرأة بين الصمت والكلام)، وزارة الثقافة الأردنية، مكتبة الأسرة الأردنية، ص: 114.

من الإبداع حكرا على الرجال لا يحق للمرأة أن تشارك فيه، كما تبلورت من فترة السبعينات إلى التسعينات من القرن الماضي العديد من النساء الباحثات والناقدات سلكت مناهج نقدية سعت إلى احتراق حدود النظريات الذكورية التى بدأت في عصور النهضة والحداثة. حاولت أحلام مستغانمي تحدي كل تلك التعليقات والانتقادات التى تهمش المرأة وكتاباتها وتجعلها كائنات سلبية مثلها مثل شهرزاد لا شأن لها في أمور الكتابة، وقد كانت بداية هذا التحدي من روايتها الأولى "ذاكرة الجسد عندما استعارت ضميرا ذكوريا لتعبر عن ذاتها كامرأة، لتجعل الرجال يقرؤونها أو بالأحرى يقرؤون ضميرهم الذكوري، وهذا مفترض من جانب، ومن جانب آخر قد تكون استعارت ذلك الضمير لترد به على النقد الذى يصف المرأة بالقصور وأنها غير قادرة على التعبير عن الإحساسات عن المرأة، فهي لا تزال تطالب بعدالة النقد الموجه للكتابة النسائية التي ما تزال مرهونة بحركات النساء المطالبة بالمساواة والتي برزت فيها "العديد من النساء الكاتبات اللواتي فهمن هذه المنظومات وطورن أدوات نقدية خاصة بهن، لتفكيكها ودحضها وفضح مراكز وعلاقات القوة المؤسسية لها، والتي تكشف تحيزا واضحا للرجل وتهمش إن لم تستثن المرأة"[25].

فهي تظهر أسفها الشديد على النقد العربي المعاصر بشأن الكتابة النسائية "عجيب أن روايات (أغاتا كريستي) أكثر 70 جريمة وفي روايات كاتبات أخريات أكثر من هذا العدد من القتلى ولم يرفع أي مرة قارئ صوته ليحاكمهن على كل تلك الجرائم أو يطالب بسجنهن، يكفي كاتبة أن تكتب قصة حب واحدة لتتجه كل أصابع الاتهام نحوها وليجد أكثر من محقق جنائي أكثر من دليل على أنها قصتها، اعتقد أنه لا بد للنقاد أن يحسموا يوما هذه القضية نهائيا، فإما يعترفوا أن للمرأة خيالا يفوق خيال الرجال وإما أن يحاكمونا جميعا[26].

رفضت الكاتبة من خلال التعليق السابق فكرة الأدب النسوي بحيث دعت النقادَ بأن يفصلوا في هذه القضية نهائيا، أويعترفوا ويقروا بخيال المرأة الذى يفوق خيال

[25] -بعلى، حفناوي، **مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية**، (الجزائر: منشورات والاختلاف، ط 1، 2009م)، ص: 112.

[26] -مستغانمي، أحلام، **ذاكرة الجسد**، ص: 126.

الرجل، كما أنها رفضت أن تحاكم من منطلق "تاء التأنيث " فقد صرحت في حوار أجرته معها مجلة "زهرة الخليج" قائلة "أنا أريد أن أحاكم ككاتبة بدون تاء التأنيث وأن يحاكم نصي منفصلا عن أنوثتي ودون مراعاة أي شيء، وفي موضع آخر هي ترفض الأدب النسائي لأن هذا التقسيم الأدبي يستخف شأن الأدب الذي تبدعه المرأة، فهي تقول "أنا لا أومن بالأدب النسائي وعندما أقرأ كتابا لا أسال نفسي بالدرجة الأولى هل الذى كتبه رجل أو امرأة"[27].

كما أن روايتها الأخيرة من ثلاثيتها "عابر سرير" يتحدث السارد فيها عن قدرة المرأة وتفوقها ويبطل الزاعم بقصور المرأة حيث يقرنها بوظيفة واحدة هي حفظ النسل والاستجابة لرغبات الزوج دون أن يكون لها في كل ذلك مجال ممارسة الأدب والتفوق فيه، كما قال السارد في الواقع كنت أحب شجاعتها عندما تنازل الطغاة وقطاع التاريخ ومجازفتها بتهريب ذلك الكم من البارود في كتاب، ولا أفهم جبنها في الحياة، عندما يتعلق الأمر بمواجهة زوج تماما، كما لا أجد تفسيرا لذكائها في رواية وغبائها خارج الأدب، إلى حد عدم قدرتها وهي التي تبدو خبيرة في النفس البشرية على التمييز بين من هو مستعد للموت من أجلها ومن هو مستعد أن يبذل حياته من أجل قتلها، إنه عماء المبدعين في سذاجة طفولتهم الأبدية[28].

خاتمة البحث:

بعد هذه الدراسة، يختلج سؤال في أذهاننا هل المرأة بعد المحاولات الكثيرة والمساعي الجميلة استطاعت تسجيل حضورها في مجال الكتابة والإبداع؟ هل تغير المخيل الذكوري تجاه الإبداع النسوي أو الأنثوي ؟ هل استطاعت الأنثى أن تخلق خطابا أو كتابة مختلفة تمتلك أدواتها وتميزها عن الأدب الذكوري أم هي مجرد أفكار؟ وهل خرجت المرأة من شعورها الداخلي بالخوف والحيف. في هذا الصدد يمكننا القول إن المجتمع الإنساني عامة والمجتمع العربي خاصة بكل معتقداته الدينية والثقافية واللغوية لا يجعل المرأةَ حتى الآن إلا الزوجة الوفية والأخت المشفقة والأم الحنونة ومنبع

[27] -زهور، كرام، **السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب**، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1. 2006م، ص: 94.

[28] -مستغانمي، **عابر سرير**، ص: 17

الجمال والإلهام والإبداع للشعراء والأدباء وأصحاب الفكر والرأى والأدب، وإبداعها يقتصر على الطبخ والكنس والإنجاب والدائرة الضيقة للحياة، واختارت المرأة مجال الكتابة لكي تظهر الرد على السطوة والغلبة الرجولية أو لتتخلص من ذاكرتها السوداء بإفراغها على مساحة الورق كما قالت أحلام مستغانمي "هل الورق مطفأة للذاكرة؟"[29].

المصادر والمراجع:

- أبونضال، نزيه، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية، عمان، وزارة الثقافة، 1997م.
- آمال، منصور : "الخطاب الأدبي النسوي بين سلطلة المتخيل و سؤال الهوية"، مجلة المخبر، العدد 3، قسم الأدب العربي.
- بامية، عايدة أديب، تطور الأدب القصصى الجزائري، (1967 -1925م) ترجمة : خنفر، الجزائر، دايون المطبوعات الجامعية، ط 2، 1982م.
- بعلى، حفناوي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، الجزائر، منشورات والاختلاف، ط 1، 2009م.
- بنت الشاطئ، عائشة، الخنساء، القاهرة، دار المعارف، 1963م.
- الدكتور صابر بلول، "التمكين السياسي للمرأة العربية بين القرارات والتوجهات الدولية والواقع"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 25، العدد الثاني، 2009م.
- سلمان، نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، بيروت، دار العلوم للملايين، 1981م.
- السيوف، نبيلة فايز، قضايا المرأة بين الصمت والكلام في الرواية النسوية العربية، رسالة الماجستر، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2002م.
- الغدامي، عبد الله، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2006م.
- كرام، زهور، السرد النسائي العربي: مقاربة في المفهوم والخطاب، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2006م.
- مستغانمي، أحلام، أكاذيب سمكة، بيروت، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1993م.

[29] -مستغانمي، **ذاكرة الجسد**، ص:9.

- مستغانمي، أحلام، الأسود يليق بك، بيروت، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، 2012م.
- مستغانمي، أحلام، الكتابة في لحظة عري، بيروت، دار الآداب، 1976م.
- مستغانمي، أحلام، ذاكرة الجسد، بيروت، دار الجيل، 1999م.
- مستغانمي، أحلام، عابر سرير، بيروت، منشورات أحلام مستغانمي، 2003م.
- مستغانمي، أحلام، على مرفأ الأيام، بيروت، أدبيات العرب، 2013م.
- مستغانمي، أحلام، فوضى الحواس، بيروت، منشورات أحلام مستغانمي، 2001م.
- مستغانمي، أحلام، قلوبهم معنا وقنابلهم علينا، دار الآداب، بيروات، سنة الطباعة غير مذكورة.
- مستغانمي، أحلام، نسيان دات كوم، نوفل، دمغة الناشر هاشيت أنطوان، ط2، 2014م.
- موساوي، آسيا بشير مفتى، "مقالة أحلام مستغانمي لا أغفر للذين نهبوا الجزائر"، مجلة الاختلاف، العدد3، 2003م، الجزائر.

قصص قصيرة

في محكمة الخلود

(نص متخيّل على نص أمام العرش لنجيب محفوظ)

د. سناء الشعلان *
Email: selenapollo@hotmail.com

بماء القدر والمسرّات والأحزان كُتب في سفر الخلود...

"في محكمة الموتى انعقدتْ المحكمة بكامل هيئتها المقدّسة في قاعة العدل، (أوزيريس) يغوص في عرشه الذهب في صدر القاعة، على يمينه زوجته (إيزيس) ، وعلى يساره ابنه (حورس)، وبين أيديهم وقف كاتب الآلهة (تحوت)، وقد أحاطت به كراسي ذهبية شغلها الخالدون، تقدّم (تحوت) خطوتين من عرش (أوزيريس)، وطالع سِفْره الخالد ، وصرخ بصوت جهوري: الروائي العربي نجيب محفوظ.

فدخل من الباب في أقصى القاعة رجلٌ متلفعٌ بكفنه، عاري الرأس، حافي القدمين، وأخذ يقترب من العرش بقسمات هادئة، ونظرات ثابتة. فأومأ (أوزيريس) إلى (تحوت) كاتب الآلهة، فقرأ من سِفْره:

أعظم روائي القرن العشرين، مصري صاحب رؤية قومية إنسانية، له الكثير من الإنجازات الإبداعية، فقد ألّف 34 رواية، و15 مجموعة قصصية، وقصتين للأطفال، وترجم كتاباً واحداً، وقدّم الكثير من المقالات، كما ألّف 7 مسرحيات، وكتب السيناريو لـ25 فيلماً. وتُرجم عددٌ كبيرٌ من أعماله إلى لغات متعدّدة، ولا سيما إلى الفرنسية والإنجليزية بعد حصوله على جائزة نوبل للآداب عام 1988 ، وكان قد حصل مسبقاً على جائزة الدولة التشجيعيّة في الرواية عام 1959م. اشتغل في أوّل حياته بكتابة الرواية التاريخية ثم انحاز إلى الرواية الاجتماعية، ثم ركن في نهاية مسيرته الإبداعية إلى الرواية الفلسفية.

قال (أوزيريس) مخاطباً نجيب محفوظ: هات ماعندك.

* أديبة وأستاذة جامعية، الأردن.

قال محفوظ ونظرة عميقة تسكن عينيه: ياقاضي محكمة الخلود لقد لخّص كاتب الآلهة حياتي في كلمات، فما أسهل الكلام وأشقّ العمل!

-ابنْ. ماذا تريد أن تقول؟

- أريد أن أقول إنّ مسيرتي قد نافت على الخمسين سنة، انقطعت فيها لإبداعي، فما سافرتُ خارج مصر إلاّ مرة واحدة، وما تزوجتُ إلا بعد منتصف العقد الخامس من عمري، وقسرتُ حياتي على أسرتي وعلى عملي وعلى كتابتي، حتى جادتْ قريحتي بما جادتْ به.

تقول (إيزيس) بنبرة حانية مشفقة: ولكنك أسخطت الكثير عليك بسبب بعض ما كتبت، وكدتَ تلقى حتفك بسبب ذلك في محاولة فاشلة لاغتيالك في عام 1994م. أظن أنّك قد أسأت في روايتك (أولاد حارتنا) إلى الأنبياء.

-نعم أغضب بعض ماكتبت الكثير من الناس. ولكن ليس لأنني أسأت، بل لأنّهم أساءوا الفهم، وتعجلوا الحكم، أنا لم أعد كتابة التاريخ الديني، ولم أتحدّث عن الأنبياء، ولكنّني وظّفت تجربة النبوة لرسم مسار تاريخ الصراع بين الحق والظلم في الأرض، وما أردت بذلك إلاً أن أقول لكلّ إنسان: هكذا جاهد وقاتل الخالدون دون مبادئهم وآرائهم. فلماذا لا نكون مثلهم؟!

قال (حورس) بصوت عميق وهو يتفرّس ملامح نجيب محفوظ: إذن أنت لم تقصد الإساءة إلى الأنبياء؟

-أبداً. فأنا قد ترعرعتُ في أسرة متديّنة، لم تعرف إلاّ التدين والاستقامة منهجاً في حياتها.

-ولكنّك ذكرت مراراً أنّ العلم هو طريق الخلاص.

- العلم مهم للغاية، وهو طريق النجاح، أنا أحبّ العلم، وأنادي به كي تنهض أمتنا، ولكنّه لن يكون بديلاً عن الدين، بل سيكون العون له لتحقيق رسالته في إحقاق الحق، وإقامة العدل، وديننا الحنيف يدعو إلى العلم والتعلّم.

قال (أوزيريس): ولكنّك يانجيب لم تخلص لفنّك، ولم تعكف نفسك عليه، بل انشغلتَ طوال عمرك بالوظيفة الحكومية.

-كان علي أيّها القاضي العادل أن أعمل بسبب حاجتي المادية، ولكنّني سرعان ما اكتشفتُ أنّ الوظيفة الرسميّة وسيلة لمشاهدة النماذج البشرية، وللتعامل معها عن قرب.

قالت (إيزيس) بعطف بالغ، وبتأثر واضح بنبرة محفوظ الصادقة والدافئة: أنت يا بنيّ قد سجنتَ نفسك داخل مصر وفي أروقة تاريخها الفرعوني وفي حاراتها، ولم تتنفس أجواء وطنك العربي الكبير، ولم تتكلّم عنه في رواياتك. أنت متهمٌ بالإقليمية. فما قولك؟

-كان مولدي في حي الجمالية، وهو أحد أحياء الحسين، وفي حي الجمالية الذي يقع في قلب القاهرة القديمة يعيش أبناء الشعب جيلاً بعد جيل. وقد عرفتُ في هذا الحيّ الحياة الشعبية وعادات سكانها، وقد غدتْ الحارة عندي ذات بعد رمزي للمجتمع والعالم، أيّ رمزاً للحياة والبشر.

وقد جسّدتْ في أعمالي حياة الطبقة المتوسطة في أحياء القاهرة، فعبّرت عن همومها وأحلامها، وعكستُ قلقها وتوجّساتها حيال القضايا المصرية، كما صوّرتُ حياة الأسرة المصرية في علاقاتها الداخلية، وامتداد هذه العلاقات في المجتمع، متناولاً كلّ المعاني الإنسانية لمجتمع مصر بكلّ صراعاته وتطوّراته المختلفة مع كلّ جديد في الحضارة الحديثة.

وإن كان الرائي يحسب أنّ ما أكتب هو حكر على مصر وعلى حاراتها، فحكمه متعجّل وغير دقيق، فأنا عندما كتبتُ عن الإنسان المصري في رحلة صراعه مع الظلم من أجل الحق والعدل والإخاء إنّما عنيت الصراع الإنساني من أجل حقوقه في كلّ مكان. أمّا التفاتي إلى الحقبة الفرعونية في مصر فقد كان تأدية لحق بلادي في أن أخلّد تاريخها العظيم،وأن أنفض الغبار عن بعض صفحاته المشرقة، وأن أجعل أمجاده نبراساً لكل باحث عن الشمس والنور.

-وماذا عن كتاباتك الجرئية في بعض المواضيع لاسيما عن المرأة والجنس؟

-الكاتب الصادق والمبدع الحق لا يمنعه خجل من أن يضع إصبعه على مكان الداء، ولو كان الداء في أخبث الأماكن، وقد كلّفت نفسي وزر قول الحق وفضح المخازي، فلا عجب إذن أن أكتب بكلّ جرأة، وقد سمحتُ لنفسي بأن أوظّف

الجنس في رواياتي، ما دام لذلك هدف فني وإنساني وراقي، وليس الأمر في موضع التجارة أو الهبوط أوتسليع المرأة، فلقد كنتُ دائماً حريصاً على مكارم الأخلاق حتى أنّني قمت وأنا طالب في المدرسة بتأسيس جمعية لمحاربة الألفاظ النابية المنتشرة على ألسنة الطلاب.

يتنحنح (أوزيريس) ويقول بصوت حازم: ولكنّك لم تكن ممن واجه السلطة، أو أدار لها ظهر المجن؟ بل كنت مهادناً ليناً.

قال نجيب بثقة: أنا لم أكن جباناً أوصحب مواقف متلوّنة، ولكنّني ضننتُ على موهبتي على أن تتعفّن في غياهب المعتقلات،لذلك فقد قلتُ كلّ ما أريد أن أقول، ولكن عبر رواياتي، وكان لصوتي الغلبة والتأثير المنشودان. وقدكنت حتى اللحظة الأخيرة من حياتي ملتزماً بقول ما أريد، ونظرة على (أحلام فترة النقاهة) وهي آخر إنجازاتي تشهد على ما أقول، وهي أحلام تقوم على على اقتناص المفارقة، والتقاط ما يثير روح التحفّز في القارىء بما يتعلق بموقفي من السلطة. وقد صُغتُ فيها أفكاري عن العدالة الاجتماعية، وعن ثنائية الشعب والسلطة.

-يبدو أنّنا ما أنزلناك بعد يانجيب محفوظ حق منزلتك. يقول (أوزيريس) مبتسماً وهو يطالع وجه زوجته (إيزيس).

تقول (إيزيس) بابتسامة حانية: ابننا البار نجيب لم يكن عبقرياً فحسب، بل كان إنسانا محبا للضحك للنكتة وللموسيقى وللطرب، متعلّقاً بصوت صالح عبد الحي، وبصوت محمد عبد الوهاب، وبصوت أم كلثوم، التي سمّى إحدى ابنتيه على اسمها، كما أنّه تميّز بصوته الجمهوريّ، وبسرعة ابتداعه للفكرة. وكان صديقاً للناس، يخاطب العامة، ويزور المقاهي، ويلتقي الأصحاب، وهو فضلاً عن كلّ ذلك متواضع ينصت للناس باهتمام، ويناقشهم بصبر وبهدوء وبتفهّم. لقد كان نِعم الفنان الإنسان الطيب الخيّر.

-لقد آن لك يا نجيب محفوظ أن تتخذ مكانك بين الخالدين. اقترب واجلس على يميني ها هنا،حيث ينبغي لأمثالك من العباقرة الذين حفروا أسماءهم بالذهب في سِفْر البشرية.

يتقّدم نجيب محفوظ بكلّ تواضع من (أوزيريس) ويتخذ مكانه بين الخالدين بعد رحلة مضنية وطويلة...".

قصص قصيرة

معنى الأمومة

محمدعلي الوافي كرواتل *
Email: muhammadaliwafy@gmail.com

حزن كثيرا برغم أنه يتوقع هذا الخبر المفجع لأن الأطباء في قسم الولادة قد أخبروه بأنه سوف يفوت أحدهما. وأنفق كل ما يملك لإنقاذ زوجته الوفية التي لم يقض معها إلا ثلاث سنوات. ولكن مشيئة الله اختارتها هي، دون الولد الجميل الذي أبقاه جهد الأطباء ودعاء الأقرباء. وأقسم بأنه لن يتزوج مرة أخرى وفاء لزوجته الأولى وإشفاقا على هذا الولد اليتيم. وكفلت اليتيم خالته لانشغاله بالأمور الرسمية في الحكومة.

قبل أن تمضي سنة من فراق زوجته، فكر فيمن تتحمل عبء حياته لتشارك أحزانه وأفراحه، واعتقد بأن الحياة سوف تكون سعيدة عندما يقاسمها الاثنان... كأنه قد نسي ذلك القسم والوفاء به. وأنجب من زوجته الجديدة ولدين. وبعد مرور ثلاث سنوات توفيت خالة الطفل، فأخذ الرجل طفله ليعيش معه باقي الحياة. وفور دخوله إلى بيت والده أحس الطفل بأن أمه الجديدة لا تهتم به كما تهتم بأبنائها، بل هي تعاملها بشدة وقسوة، وتعاقبه بلا رحمة ومودة.

كانت كثيرا ما تضع له الطعام ليأكل بمفرده في طبق، تقاسمه أحيانا قطط المنزل، وفي يوم من أيام العيد استضافت المرأة أهلها وأقرباءها... ونظر اليتيم إلى مائدة الطعام وما عليها من أنواع الوجبات والحلويات التي تغري الأطفال، فمد يديه الصغيرتين ليأخذ قطعة حلويات لذيذة يأكلها، فرأته أمه الثانية وضربته زاجرة لقلة أدبه مع الضيوف، ثم قامت بإعطائه طبقا من الأرز وأدخلته بالكونة البيت وقالت له: اجلس هنا حتى ينصرف الضيوف ولا تخرج من مكانك دون إذني... جلس الطفل ولم يتجاوز الأربعة من العمر فى البالكونة بمفرده، يأكل هذا الأرز الذي لا يمكن أن يطعم أقرانه مثله إلا بالأساطير والنوادر، فكيف يأكل الطفل وهو دون الرابعة، ولم يجد أمه تحكي عليه قصص الحيوانات والطيور... وكان اليوم شديد البرودة، ! وشعر ببرودة

* أستاذ مساعد، حرم الوافي الجامعي، جامعة تنسيق الكليات الإسلامية، كيرالا، الهند.

الجو.... والجو يعبث بجسده اللين، والهواء القارس لم يلطف بصغره ولم يعطف على يتمه... وكم تمنى اليتيم أن ينجو بنفسه من هذه البرودة القارسة، والظلام الحالك أخذ أن يحيط به ولا يدري أحد أهو يقشعر من برودة الجو أم هو يرتعد من الظلام الحالك، أم يرتجف من نباح الكلب المرتفع من بعيد... ولكن خوفه من زوجة أبيه منعه من أن يخرج عليها فتصفعه بلا رفق... وعلا صوت بكائه المتقطع، ولكن ضجات الحفلة تمنع صوته النحيل من أن يصل إلى آذان السكارى.... وبزفرات اللسان التي ما زالت تغص كلماته نادى رب السماوات أن يرد عليه أمه التي اختارها القدر أن تكون في عالم لا يصل إليه بكاؤه مهما كثر.

انصرف الضيوف بعد الحفلة....وأطعمت المرأة طفليها من أشهى الوجبات وألذها...وفرح اليوم وسروره أنسى المرأة عن اليتيم وحاله في الخارج مع البرودة المهلكة، وهي لا تتذكر وحشته في بالكونة البيت. ودخلت مع طفليها إلى غرفة النوم، لأن البرودة أخذت تنساب إلى داخل البيت تدريجيا.

رجع الزوج مؤخرا إلى بيته، سألته زوجته هل تريد العشاء...؟ فأجاب بأنه تناول العشاء من الخارج، فسأل عن ابنه يتيم الأم، فأجابت، بأنه نائم فى سريره، ويدل جوابها على أن عادة المرأة ألا تعتني بهذا الصبي اليتيم، وأنستها فرحة الحفلة جلوسه في البالكونة... راود النوم عيني الرجل حتى سقط في نوم عميق بعدما أتعبته شواغل اليوم ومسؤولياته في المكتب، وبينما يسيح في دنيا أحلامه، رأى زوجته المتوفية تقول له، أين وديعتي... تقصر في أمره ولا تعتني به، ! فقام الرجل مذعورا وسأل الزوجة عن ولده اليتيم ... فأجابت المرأة غاضبة قلت لك إنه فى سريره، فنام الرجل، وجاءته زوجته المتوفية للمرة الثانية تقول له، ولدي يتهيأ ليزورني...! فوثب الرجل من سريره يسأل عن الولد، كأنه يجد للأحلام تعبيرا. وفي هذه المرة هدأته زوجته قائلة: " آآه لا تزعجني، أتعبتني شواغل الضيوف، الولد رأيته ينام وأغلقت الغرفة عليه"

وفي المرة الثالثة، لم يلبث الرجل أن يجاوز حدود اليقظة حتى أتته زوجته في المنام بوجه طلق مسرور، وهو يسمع هتافها قائلة: "الحمد لله الذي أوصل فلذة كبدي إلي أخيرا... كي يبيت معي للعين قريرا..." وثب الرجل من سريره مذعورا، وهو يسمع

صدى صوتها في غرفة نومه، ففر إلى حجرة اليتيم يبحث عنه في سريره وفي زوايا منزله، وأيقظ أهله وألح عليهم عن أمر اليتيم.

بعد أن أذهبت النوم عن عينيها المغمضتين تتذكر النهار..... آآآآه، أخيرا تذكرت، وهو أسير فوق البيت منذ ساعات، فأسرعوا إلى البالكونة، ولكن ملك الموت سبقهم بروح اليتيم، لأن أمه ألحت رسل الموت على أن يأتوا بروحه قبل أن يسقط اليتيم في قبضتهم مرة أخرى، صرخ الرجل بصوت عال كأنه زئير أسد جريح، رددت جدران البالكونة صرخته، كأنها تهتز من رؤية هذا المنظر الأليم. وصفعت زوجتها صفعة كادت أن تذهب بحياتها....

نظر الرجل إلى وجه الطفل، وبين يديه صحن الطعام أكل منه القليل وترك منه الكثير، لأنه سارع إلى ثدي أمه، وفضّل مهدها الدافئ، كي يرتمي إلى حضنها وهي تداعبه بكل مكنوزات الأمومة، كم كانت الأم تنتظر وحيدها لتطمعمه الحلويات التي مازالت تجمعها منذ دخولها إلى الجنة.

قصص قصيرة

حدادك لا ألبسه هو من يلبسني

هاجر عبد الباقي *
Email: abdelbakihadjer16@gmail.com

أجلس إلى طاولة الحزن أتأمل مأدبة فراقنا ملتحفة ثوبا للحداد لم أخلعه منذ زمن طويل، ما أصعب أن تبحث عن ألوان ولا تجد سوى الأسود يلون لوحاتك كما يلون حياتك، تأتي الأغاني مسامعي وهي تلبس الحداد وتأتيني القهوة في فنجان أبيض تلبس الحداد ويطل الليل من نافذتي يلبس الحداد، حدادك لا ألبسه هو من يلبسني وليس علي أن أخلعه هو من عليه أن يخلعني كما أنت من حياتك خلعتني.

تمنيت أن تخونني الذاكرة لمرة واحدة كما يخونني دائما النسيان، وأن يخذلني الشوق والحنان كما تخذلني أنت بالبعد والهجران، عشقك ينام داخل أعماقي يوقظه الحنين إليك في كلّ آن، أحاول دائما أن ألملم حطامي وأن أداوي جروحي في طيّ الكتمان لكن من شدّة غوصي في بحور حبك نسيت السباحة في بحور النّسيان.

أتفقد الماضي كل يوم وأسترجعه وأقلّب في صفحاته التي أصبحت محض ذكريات لعلّ جنون الذكرى يجمل حياة تلبسك في سائر الأوقات، يعود بي الزمن إلى وراء وتتلألأ أجمل اللحظات وأحن إلى الصبا وإلى عمر فات، تعال يا حبيبي اختصر تلك المسافات قطار العمر يمضي وأنا في انتظارك في كل المحطات، تعال لتسمع نبض الفؤاد دقات دقات إجازة في الحب طال حضورها ما أحببتها رغم عشقي للإجازات.

* روائية يافعة وطبيبة أسنان، ولاية الشلف، الجزائر.

قصص قصيرة

المحطة

الأندلسي محمد الأمين*
Email: elandaloussiamine3131@gmail.com

وقفت ناهد تتأمل الصبي الذي يلعب أمامها وهو يرمي بحبات الذرى نحو السكة ويلهو بمرح، اتكئت على جانب الكرسي الخشبي وهي تقول لقد مرّ الزمن بسرعة 37 سنة لم أشعر بها أي قطار هذا الذي يمشي بكل هاته السرعة، لم أشعر به، يبدو أنه عاد بي لنقطة البداية، لم أتوقع أني سأتخلى عن كل شيء بهاته السرعة وبهذا الشكل، كم هي سخيفة هاته الحياة، ثلاثة أيام هو كل ما تبقى لي من حياتي الجميلة، كيف يمكن للأطباء أن يجزموا بذلك أهم آلهة أم لهم إطلاع بالغيب وأي ورم هذا الذي بث سمه بي طيلة 5 سنوات ولم أشعر به، القطار يمضي والسكة لا تتحرك هو في الأعلى وهي في الأسفل لكنها على مايبدو هي أكثر تمسكا بالأرض منه وأكثر صلابة أيضا، ليس لها توقف وكل ما يمر منها وبها ينزل لها، لما تحولت أنا فجئت لقطار خارج السكة.

لوحت بيدها للصبي وهي تقول أرجوك لا تكبر يا صغيري لأنك ستموت عند آخر محطة لك وستتهاوى فوقك القاطرات هذا ما سيحدث معي، آه يا جرير حتى أنت لا تعلم بقرب بزوغ محطة نزولي، كم كنت جميلا وأنت تساعدني لامتطاء قطاري، وماذا يعني أن تهديك الحياة صديقا لا يكون شريكا لك فيها، لما ركبت قطارا آخر يا جرير، هل كنت تدرك أن مساري قصير أم انك هنالك تنتظرني لتركبني في قطار آخر.

أبي الغالي كم كان قطارك بطيء لكنه استمر بك ضعف مدتي، هل نخطئ عندما نختبر الحياة بسرعات مرتفعة هل يجب أن نقاوم غرائزنا وطموحاتنا وحماستنا ونجلس كل منها بمقطورة مختلفة حتى لا تتعارف فيما بينها وتسرقنا، أم كان علينا

* صحفي وكاتب، الجزائر.

أن ننزلها لكي نستأثر بالقطار لمحطات إضافية وهل سنكون حينها سعداء أم أننا نضيف تعاسة مثلما حدث معك طيلة 30 سنة.

يا صغيري اغتنم كل محطاتك وتجول بها وانتقي منها كل ما يناسبك ولا تستعجل المغادرة فقط تكون محطتك الأخيرة كن وحيدا إلى حيث تذهب وكن برفقة أحدهم إلى حيث تسعى عسى يخبرهم بمكان حقيبتك .

لما يكتبون بالأبواب هنا كلمة خروج أو ليس دخولا إلى أنفسنا إلى حيث نكون ضعفاء أمام الحياة التي توهمنا أنها ملاذنا، إلا أنها كانت تحاول توريطنا لنهرب إلى نقطة النهاية، فكيف نغادر ونحن نمضي من باب كتب عليه خروج، إلى أين نخرج إلى داخل القطار المؤدي للمجهول.

أمي لما كنت تصنعين تلك الأوشحة القطنية، ولما لم تغادري تلك المحطة حتى وصل قطارك بنفسه وجلس بالقرب منك ينتظر إتمام وشاحه لينام به ثم يسحبك إليه، هل يجب علينا دائما أن نحيك شيئا ما لنبقى أطول مدة ممكنة كيف كنت تشعرين يا أمي وأنت ترصعين أعناقنا بما جادة به أناملك،لما لم تزدنا الأوشحة عمرا لقطاراتنا، أم كان يجب أن نلبسه على طول الطريق، أماه اعذريني فوشاحي سرق مني ذات ليلة ثلجية.

قصيدة

غمض جفونك

عبد الله محمد السلمي*
Email: profmabdulla@gmail.com

غمض جفونك كي ترى
لتشوف منها طيفها
والطيف خفاش لا يرى
وجه النهار ولا الضياء

والليل ذا عتماته
أحلى ولو دون الكرى
لو كان هذا طائفا
صبحي كسير كالسرى،

والقلب يحدو هازجا
كل الجمال ولا أرى
مترنما بل عابسا
متبسما، متناوما،

أيدور طيفي حولها
أم طيفها حولي بوحد
فمن الذي أو ما الذي
أرجو وترجو حبذا،

* أستاذ زائر في جامعة الهند الإسلامية، ولاية كيرالا، الهند.

فتح عيونك نحوها
فتح نوافذ قلبها
وتجوس فيها عمقها
منع نفوسك، يا لها،

هل مس جسدك صرعة
أم مس شيطان مريد
وأجن قلبك والشعور
وجنة تغشى؟ غرير،

ضوء النهار اللامع
كيف يستره الأصابع
أم يغطيه المنادل
أم ويمحوه الصدود ؟،

كلا إذا انهدمت جبال
أو تفطرت السماء
وجف بحر صار يبسا
لا زال وصلك ظاهرا، ، !

قصة هندية

سومو الشرير*

إنتاج: تشاندرامني براهمادت **

ترجمة وتلخيص: عبد الواسع ***

Email: nadwiwasiabdul@gmail.com

كان شِريرا. لا علاقة له بحسن السلوك والسذاجة. فقد أزعج أفراد الأسرة بسوء خلقه من الكذب والخدعة. إنه تربى على أيدي عمته منذ الطفولة دون أن تربيه زوجة أبيه. كانت الجدة قد أمرت زوجة ابنها الأكبر بتربيته. فأفسده المزيد من الحب، حتى بدأت القرية بأكملها توبِّخه وتلومه. فالإساءة إلى المواشي، واستهداف الرجال والنساء بالأذى كان من شيمته. ولم يعد محببا لدى أهل القرية بل أصبح بمثابة شيطان يتعوذون منه.

بعد خمسة عشر يوما من وفاة الأم الأرملة، آل الأمر إلى الانفصال بين الأخوين غوفاردهان وشانكار. قام رئيس القرية بالقسمة بينهما بالعدل، ولكن سومناث كان يأكل على سفرة عمته رغم الانفصال، إلا أنها لا يعجبها تعامل سومناث فترفضه غير أنه لا يبالي رفضها.

- استعد سومناث للذهاب إلى المدرسة وبدأ بالصراخ.
- أنا في وقت متأخر، أعطيني شيئا آكله.
- كان قد ذهب عمه إلى دكانه، وكانت رامكالي (عمته) مريضة،
- فقالت: اطلب اليوم من أمك. أنا مريضة.
- لكنه العنيد هدم الموقد الطيني في غضب وذهب بعيدا. كانت راديكا تراقب كل هذا وتحاول منعها لكنه حنى يدها وخرج من البيت.

---

* هذه القصة مأخوذة من مجموعته القصصية "لتتا كارواں"، مطبعة بسانتي، نيو دلهي، 1ط، 2011م.

** ولد في العاشر من يوليو عام 1971م بمديرية خورجا في ولاية أترابراديش. حصل على شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. ونال أكثر من عشر جوائز لمؤلفاته. أسس مجلس الفلاحين الدولي، وهو رئيس مهرجان إندرا براستا للأدب، يشتغل حاليا كضابط في قسم الشرطة بدلهي.

*** باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

لدى الوصول إلى المدرسة في وقت متأخر، أقامه الأستاذ في الشمس، فغضب سومناث وضربه في رأسه بالكرسي وهرب، فانتشرت الفوضى في المدرسة. وقعت أربع غرز في رأس الأستاذ، وجاءت الشرطة ولكن المعلم رفض تقديم الشكوى ضد سومناث.

قُرع الباب، ولم ينم أحد في البيت، وكلهم يذكرون ماذا حدث في المدرسة على يد ذلك العنيد. فتحت بنت الأستاذ الباب فإذا هو بسومناث قائم على الباب، فاندهشت، أين هذا الشرس في البيت... غير أنه تضرع ورمى بنفسه على قدمي الأستاذ.

- عفوا أستاذي، أعذرني... لا يحبني أحد لذا اعتراني الغضب.
- يا بني اسكت ولا تتفوه بمثل هذا الكلام. كل يحبك....
- لا....لا يحبني أحد، قبل الانفصال كانت العمة تغمرني بالحب، والآن هي تستهترني، وتأمرني أن أطلب الوجبة من أمي. ينشغل أبي وعمي في الحقول والمتاجر، ونساء البيت يتشاجرن فيما بينهن.

كلهم يهدئونه.

كان شانكار يبحث عنه في جميع أنحاء القرية. وكان غوفاردان أيضا يوبخ زوجته....

- كيف لا تتحملين تصرفاته، تتعاملين معه كأنه دخيل عليك....

كان جميع أفراد المنزل منزعجين من سوء تصرفه. من عادته أنه يغيب عن البيت دون أن يخبر أحدا، ولا يراعي الوقت.

نجح سومناث في امتحان الثانوية وآن أوان أن يذهب بعيدا لتحصيل التعليم العالي. لكن زوجة الأب تريد منعه من التعليم غير أنها لم تتجرأ فاقترحت لزوجة الأخ الأكبر أن تطلب من زوجتها منع سومناث من التعليم حيث يستمع إليها ويقبل آراءها.

عندما وصل إلى البيت شانكار، واجه زوجة الأخ الأكبر تناديه!

- أخوي....أريد أن أقول لك شيئا...
- نعم، قولي...هل هناك أمر مهم حدث في البيت؟؟
- لا لا...حديثي عن ابنك...عليك أن تمنعه عن التعليم، وأشغله في متجر شقيقك الأكبر... وبناتك مقبلات للزواج.

كان شانكار في حيرة مما سمع من زوجة شقيقه. النساء قد تشاورن في هذا الأمر... يا للعجب لا يمكنهن التوافق فيما بينهن، ولكن في المكر والحيلة ضد غيرهن، يتوافقن.... لعل هذا هو مما يعلم الدهر.

لو كانت أم سومو على قيد الحياة لكان الأمر عكس ذلك. في المساء خرج سومو وشانكار إلى المزرعة للتنزه.

- يا بنيّ...ماذا تحب أن تكون بعد التخرج؟
- أريد أن أكون جنديًا. أصدرت الإدارة إعلان الشواغر، سأتقدم بالطلب... وسيتم التعيين وأنا قد أكملتُ مرحلة التعليم الثانوي، وأنا أستطيع أن أهزم الجميع في العدو والقفز.....

أعجبت شانكر فكرة ابنه، والجيش لا يقاتل دوما بل أحيانا يضطر إلى القتال.

كانت العمة تحب سومناث فتخشى على ذهابه، لأنه كان وحيداً، فلم تنجب الزوجة الثانية سوى بنتين. أصابها الخوف حينما سمعت عن اشتغاله جنديا، ماذا لو أصابه ضرر، فهي التي أقنعت والده بمنعه من التعليم وإشغاله في عمل. قلبها لا يطمئن بهذه الفكرة غير أنها لا تود أيضا أن يتوقف ويسكن في البيت.....

اقترب الموعد للانشغال، وكان شانكار يتهيأ للسفر إلى المدينة، حيث لا يود أن يسافر ابنه الشرير وحيدا، في اليوم التالي، هيأ شانكار الزاد من الرغيف والخضراوات، وغادر مبكرا مع سومو إلى المدينة. واتجها إلى إدارة الشرطة. وبعد كد طوال اليوم بلغهما أن سومو قد عُيِّن جنديا. كانت زوجة أبيه تشعر الراحة في ذهابه بعيدا عن البيت ولكن عمته قلقة.

ذهب سومو لتلقي التدريب. ومضى شهران. كان قد أرسل الكثير من النقود والسلع إلى عمته. وكتبت الأخوات إليه رسائل، فأرسل الأشياء المطلوبة إليهن.

في القرية، بدأ الأقارب يخطبون غير أن أباه أعلمهم أن الزواج لن يتم إلا بعد أن انتهى من عملية التدريب. بعد سنة، عاد سومو إلى منزله في عطلة لمدة شهرين. في نفس المدة كان الزواج أن يتم. وانتهى البحث عن العروس بخطوبة بنت "ستيا" من أهل عمته. تزوج سومو، وكان كل شيء على ما يرام. وقد تحول سومو من ولد شارد إلى رجل

جادّ، كانت زوجته تعيش مع العمة، والآن زوجة أبيه تتأسف على فقدانها ابنها الجاد، فتحاول دائما إثارة زوجته كي تزداد قربا منها غير أنها عاقلة فلا تعتني بها.. بل كانت تقوم بمراعاة جميع أفراد الأسرة وتخدم خالتيها.

ازداد له الاحترام في العائلة. كل يحترمه ويحبه احتراما وحبا لم يحظ بهما في زمن الدراسة. اليوم سينتهي موعد العطلة...وسيغادر بيته وأهله... يغادر زوجته الطيبة... كانت العمة وزوجة الأب تهيئان له أنواعا من الأطعمة الشهية... وهو مع زوجته في الغرفة...

- إلى متى تغيب عنا متى ستعود؟؟
- لا أعرف. ممكن أن أكون مشتغلا بالحدود. لا أعرف إلى متى الاشتغال...؟

كانت صامتة...لم تتفوه بكلمة

- أريد أن أقول لك شيئًا. كان ينظر في وجهها.
- قل أنا أسمع.....
- إن العمة هي التي ربتني...وامتنت.. فعليك أن تعيشي عيشة ترضي أفراد الأسرة جميعا مع أن تراعي بخالتك وأخواتي... فأنت زوجة ابن البيت الأكبر...
- سأحاول بقدر المستطاع أن لا يبلغك أي شكوى عني.

كانا يتعانقان....في محاصرة الأذرع كأن الفراق يحل بينهما لقرون.

ذهب سومو، لم يمض إلا عشرة أيام أن بلاد باكستان بدأت الحرب على الحدود... فاعترى عمته الخوف، بل كلهم خائفون....حيث سومو كان من الذين نُشروا في المعركة... جميعهم يصغون إلى المذياع طوال اليوم. وكانت زوجته تبدو جريئة...فتفهّم العمة...

- القتال لأجل الوطن من بواعث الافتخار...الموت لا نجاة منه...أما إذا كان في الحماية عن الوطن فشهادة...وتقنعها بأنه سيعود فاتحا.

كانت تشجع جميع أفراد الأسرة. بعد رحيل سومو، عرفت أنها حامل لكنها لم تخبر أحداً بذلك. تقضي لياليها ساهرة، وأيامها في أشغال البيت، أصبحت هزيلة الجسم.....

في مجال القتال كان سومو يحرز منجزات كثيرة بنشاطه وحيلته، حيث كان ذكيا منذ الطفولة. كان جميع جنوده في فريقه في مأمن من هجوم العدو، يهجم على العدو بدون أمر قائده. ويقوم بإطلاق النار بشكل عشوائي، وإلقاء القنابل اليدوية من أكياس الآخرين، جميعهم كانوا سعداء ببطولاته. اليوم، تم تدمير ثلاثة مخابئ للعدو على يديه. كان العدو في هزيمة وتخلف بسببه.

كانت المحادثات بين الحكومتين مستمرة، حتى صدرت أوامر وقف لإطلاق النار. ونال سومو التقدير والترقية إلى درجة القائد في الجيش. وبعد وقف إطلاق النار، كانت الإجازة للجنديين لخمسة عشر يوما. فكان الجميع يستعدون للعودة إلى ديارهم. ولكن كان سومو يضطر إلى أن يذهب لتدريبات عسكرية، فذهب إلى القرية بسيارة عسكرية ورجع بعد زيارة أهله.

قلبه يطير بسعادة كونه أبا، كم يتوق إلى أن يمكث مع أهله، غير أنه أقنع قلبه بالعودة حيث كان لا بد من التدريب، وأداء المسئولية يقتضي الضحايا....

كان الوقت يمضي، انتقلت العمة إلى ساتيا في الدار المخصصة من الحكومة. وأنجبت ساتيا ولدين في مستشفى عسكري.

قد تقلبت أوضاع الأسرة الاقتصادية بالمال الذي اكتسبه سومو، حتى اتجهت الأخوات إلى البلدة للتعليم العالي.

تحول سومو العنيد الذي كان يزعج الناس، إلى شاب نالت القرية سمعة بفضله. الولد الذي حرم من الأمومة، وواجه الذلة، تحول إلى رجل ذكي..... الأفكار تلاحق العمة.....تشعر الندامة في الداخل....تلاحقها ذكرى الأيام التي كانت تضيق فيها بإطعامه فتوبخه.....

كادت الدموع تسيل من عينها، وكانت ساتيا تنظرها... فقالت..

- عمتي...هل بك وعكة؟؟؟ أطلب الطبيب؟؟؟؟
- لا....هذه الدموع أجرتها ذكريات طفولة سومو... توفيت والدته وهو في الثاني من عمره... وتزوج أبوه في نفس السنة بامرأة تحرمه من الأمومة..... فقمت بتربيته بعد أن كانت تحت رعاية جدته لسنتين، غير أنني بعد الانفصال شعرت الضيق بأنه ليس ممن أنجبته، ولكن يا حبذا إنه لم يبال

توبيخي قط ولم يتركني. نفس الولد ترقى ونال مكانا مرموقا محسودا عليه....كانت ساتيا تصغى إلى شقاوة زوجها.

- غدا ستأتي أم زوجك مع شانكار لزيارة الأولاد..أخبرتها العمة.
- لا بأس، تمكث عندنا لأيام، هي تسكن وحيدة في القرية...أجابت ساتيا.

كان سموناث يسمع كلامها وهو في الغرفة، ففرح بأن زوجته تعني بجميع أفراد الأسرة. وتقلبت فكرته لزوجة أبيه.... فتذكر أنه لم يكرمها حق إكرامها...وعزم على أنه سيذهب بها وعمتها لزيارة البلد...حيث كان معينا في جامو.

كل ينتظر شانكار اليوم، حتى سومو لم يقصد المكتب، إذ صرخت شترا...ها هما العم والعمة...فاندفع سومو وخرج إليهما....ولمس رجلي أبيه...وخضع للمس رجلي زوجة الأب غير أنها منعته قائلة..

- لا..لا...أنت في قلبي بني، وعانقته...

كل كان يشهد هذا التوق والمودة.

فرحت ساتيا بهذا المشهد، فكانت لا تحب البعد بينهما وكانت تنتظر اليوم الذي يتم لقاؤهما....فهذا المشهد أتى له بسعادة بمعنى الكلمة.

هذه الأسرة تؤدي واجبها بكل طمأنينة وذلك بسبب تحسن سومو....كان الوقت يمضي...وتم زواج الأخوات.....وسافر ولدا سومو إلى أمريكا للتعليم العالي....توفيت زوجة أبيه، وتوفي عمه وعمته....كان حزينا...

تقرب إليه أبوه شانكار...وقال ...لا تحزن بني، أنا على قيد الحياة وأسكن عندك...لا أستطيع أن أراك حزينا..

- أبوي...كنت أفكر أنك قضيت حياتك بسعادة....ولكن ما هو الشأن إذا أموت... فأولادي كلهم خارج الوطن...حتى سأنتظرهم لمأتمي....لا لا...سآمرهم بالرجوع إلى الوطن بعد التخرج...فالوطن وأرضه لا بديل لهما...توفي الجميع سوانا...
- لا بأس...لا تضق بهذه الفكرة....سيمكث ولداك عندك.
- أبوي أريد أن أتكلم معهم ....أنا أتصل بهم....ساتيا..إئتي بالهاتف....

فأتت به...واتصل ....سلام عليك أبي...قرع أذنه صوت ابنه.

- أطال الله بقاءك....كيف الحال؟؟؟
- بالخير..
- أريد منكما أن تعودا إلى وطنكما من أمريكا بعد إكمال الدراسة هناك..
- توجه سومو إلى أبيه وقال أبوي... قد قبلا رأيي.... وهو يعانق أباه.... وكانت الدموع تسيل من عينيه.. دموع الفرح والاطمئنان.

كان شانكار فخورا بأن ابنه يحمل المودة والمحبة للأقارب بكل سذاجته مع كونه ضابطا حكوميا.

قصة فرنسية

البَطُّ فِي الطَّائرة

ترجمة: إيناس سي محمّد *
مراجعة: د. أمين مصرنّي
Email: inessimo13@gmail.com

في يوم ما ....

كان يسكن بطّ داخل طائرة، لا يستطيع النزول منها لأنّه عند كلّ هبوط ينتظر حتى ينصرف كلُّ المسافرين، وبعدها يخرج من مخبئه.....

كيف وصل إلى هذا المكان؟ لسنا ندري .... وأظنه كذلك.

كل يوم كان يحاول النزول، لكنها تُقلِع وهو بداخلها.

كان يقضي أيَّامه في السماء..... حياة بط عجيبة....

حتى جاء ذلك اليوم الّذي قال فيه مُقرِّرًا: "لا أبالي إذا رآني المسافرون .... أريد الخروج من هنا..."

وفي وقت أقل من قوله هذا، خرج البطّ الصغير الّذي يُدعى"أوسكار" من المخبأ.

اندهش بعض المسافرين ..."انظر إنّه بطّ"....

لكن "أوسكار" تابع طريقه بهدوء، وبعد وصوله إلى الأرض، لم تكن في باله إلا فكرةٌ واحدة هي "إيجاد بركة.... بركة للبطّ...."

سار طويلا... دون أن يعرف أنه في الاتجاه الصحيح .... وصل أمام بركة من الماء... اقترب ببطء خطوةً خطوة ... حلم كثيرًا بهذه اللحظة... المنظر كان رائعا "كم هو جميل!" قال.

كانت هناك أشجار، كبيرة وصغيرة، أزهار جميلة حول البركة، كلُّها على مدِّ البصر...

بدأ بتبليل رجليه ..."يا لروعتها...لا باردة و لا ساخنة..."

و في نفس الوقت يستمع إلى خرير المياه "بلق...بلق...بلق..."

* طالبة، الجزائر.

فاقترب للاستمتاع بكل لحظة ... يمشي متباطئًا ليجد نفسه يسبح فوق الماء... كم هو جميل الانجذاب التلقائي محاطا بالأمواج الصغيرة، يشعر بالهواء الذي يجذبه ببطء ... يحرك رجليه يمينًا و شمالاً بهدوء.

كم هو مريح الطفو... يشعر بنعومة الماء، وكل جسده يرتخي... داخليا و خارجيا... يتأمل جمال الطبيعة ثم يكتشف بسرورٍ الأعشابَ الجميلةَ الطويلة المحيطة بالبركة... وهي التي تحميها في الوقت نفسه ... يستمع إلى زقزقة العصافير... ناعمة كلمسة المياه الهادئة المستوية ... وعندما كان "أوسكار" يطفو فوق الماء، كان بإمكانه مشاهدة انعكاس السماء الأزرق، فكان أنْ لاحظ طائرة تطير عاليا فابتسم... كان يترك نفسه يطفو لا إراديًّا ... هنا كان يشعر بأمان تام... ويشاهد بعيدا بطا آخر يتجول بهدوء مثله..... فأدرك أخيرا وأحسَّ أنه في موطنه...

قصة بنغالية

مهر الزواج*

إنتاج: ربندر ناث طاغور **

ترجمة وتلخيص: ولي الله السنابلي ***

Email: waliullah.sagar@gmail.com

وُلدت "نيروباماباما" بعد خمسة أبناء لوالديها. ولما أصبحت شابةً بدأ والدها "رام سوندر" يبحث عن عريس. بعد البحث الطويل وجد عريسا مناسبا من أسرة أرستقراطية، وكان الابن الوحيد لرايباهادور أحد أثرياء المنطقة.

طلبت عائلة العريس عشرة آلاف روبية بالإضافة إلى عدد هائل من الهدايا كمهر الزواج. فوافق عليه رام سوندر.

مع اقتراب يوم الزواج، تعرض رام سوندر لصعوبة في جمع الأموال التي طلبوها. فرهن وباع معظم ممتلكاته، وبذل أقصى جهوده. وعلى الرغم من ذلك، تمكن من جمع حوالى ستة أو سبعة آلاف روبية فقط.

أخيراً، جاء يوم زفاف نيروباماباما. وقد كان وعده رجل بإقراض المال، لكنه لم يحضر بالمناسبة. فرفض والد العريس رايبهادور أن يزوّج ابنه ما لم يتم منح المبلغ كله كمهر الزواج، وكاد أن يلغى الزواج. فتحولت حفلة الزفاف إلى حالة الفوضى. تضرع رام سوندر إلى رايباهادور ولكنه أصر على قسوته، وكانت العروس تنتظر ملبوسة فستان الزفاف والحلى حزينة وكئيبة وقلقة.

* تعتبر"دينا باونا" (Dena paona) مهر الزواج من أروع قصصه القصيرة. تحكي القصة عن سلوك المجتمع الهندي تجاه المرأة في القرن العشرين.

** كان ربندر ناث طاغور رائد النهضة الثقافية والحضارية في الهند. وكان شاعرا وكاتبا وأديبا ومسرحيا وروائيا ورساما وفلسفيا ومفكرا. ومعظم أعماله هي في اللغة البنغالية. وهو أول هندي نال جائزة نوبل في الآداب عام 1913م، وأنشأ مدرسة فلسفية معروفة باسم "بيسوا بهاراتي" التي تعد اليوم من أجود الجامعات الهندية. أحدث طاغور تغييرا كبيرا في الثقافة الهندية.

*** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية شمسي التابعة لجامعة غور بنغا، بنغال الغربية، الهند.

بينما قام العريس فجأة وخالف والده قائلا: "أنا لا أفهم ماذا يجري من التداول والمساومة؟ لقد جئت هنا لأتزوج وسأكمله في أية حال" اعتبره رايباهادور إهانةً وعقوقاً.

هكذا تم النكاح وودّع رامسوندر ابنتها وتسيل الدموع من عينيه فسألته ابنتها وهي تكتم دموعها: "هل لن يسمحوا لي أبداً بأن آتي إليك يا أبي؟"

"لماذا لا يا بنتي العزيزة؟ سأذهب إلى بيت زوجك وأطلب الإذن منهم" أكدها رامسوندر. بدأ رامسوندر يتردد إلى بيت زوج بنتها، وفي غضون أيام قليلة أدرك أن أفراد عائلة زوجها يحتقرونه و يسمحون له بلقائها لدقائق فقط وفي بعض الأحيان لم يسمحوا له بالاجتماع على الإطلاق.

كل ذلك الإذلال يحدث لأن رامسوندر لم يتمكن من سداد مهر زوج ابنتها فعزم أن يدفع له المبلغ المتبقي من المهر في أقرب وقت ممكن بأية حال، وهو لا يدري كيف يمكن ذلك؟ وكان غارقا في الديون.

في هذه الأثناء، تحولت حياة نيروباما في بيت زوجها إلى الجحيم. كانت تتعرض كل يوم للإساءة والظلم والقسوة والعنف المنزلي ولم تقدر على شيء إلا أنها تحبس نفسها فى غرفتها تسيل فيها الدموع.

ما كانت في حياتها اليومية في المنزل إلا الخزي والإهمال والعار، لقد حرمت من كل أسباب العيش من الغذاء المناسب والملابس الملائمة والرعاية والاهتمام. عندما يحاول بعض الجيران المخلصين التعاطف مع العروس الجديدة المهملة تقول حماتها: "إذا كان يدفع أبوها مجموع المهر فإنها ستحظى بكل الحب والرعاية والاهتمام".

مع مرور الأيام شعرت نيروباما أنها خادمة في منزل زوجها. وقد أظهر جميع أفراد العائلة من سلوكهم أنها خدعتهم بعدم دفع المهر الكامل فليس لها أي حق في المنزل.

علم رامسوندر بما تعاني ابنته من الإذلال والإهمال والقسوة في منزل زوجها، فقرّر بيع منزله ملجأه الأخير لجمع بعض الأموال سِرًا لكي لا يعلم أبناؤه، لكنهم علموا به و تضرعوا لأبيه على أن لا يفعل ذلك، فتراجع عن قرار بيع منزله، واضطر إلى الديون بأعلى معدل الربا. وبعد أيام أصبح من الصعب تحمل نفقات أسرته.

بعد فترة طويلة سُمحت نيروباما بالاجتماع مع والدها فعلمت شقائه وبؤسه وفقره وألمه مما تظهر من آثارها على وجهه الحائر وشعره الرمادي وجسمه النحيف والضعيف. فالتمست منه: "خذني معك إلى منزلك لمرة واحدة، من فضلك! يا با با" فأومأ رامسوندر رأسه وأجاب: "طيب، يا بنتي" وهو يعلم هذا مستحيل ولن تسمح به عائلة زوجها فإنها لم تزر منزل والدها بعد الزفاف. ليس لرامسوندر حق على بنته كأنه قد رهن حقه الطبيعي على ابنته بدلاً من أموال المهر التي لم يدفعها بالكامل. أجبر حنين نيروباما إلى زيارة المنزل أباها على اتخاذ أي وسيلة ليتحقق حلمها. تمكن من جمع ثلاثة آلاف روبية بعد جهود متعبة.

جاء رامسوندر للقاء مع أبي زوج نيروباما ويحمل ثلاثة آلاف روبية ملفوفة في منديل. بعد تمهيد طويل والخوض في شتى الموضوعات والأحداث وصل إلى النقطة الرئيسية قائلا: "علي ديون من قبلك لم أتمكن من سدادها، أتذكرها كل مرة قبل زيارتك، ولكن بعد ذلك أنسى. لا عجب، لقد كبر سني وضعفت ذاكرتي، ترى!" بعد هذا الاعتذار قدم إلى رايبهادور ثلاثة آلاف روبية، وعندما وجد رايبهادور المبلغ أقل من المهر الغير المدفوع ضحك ساخرا وقال: "حافظ على هذا المال لنفسك، لا أحتاج إليه ولا أريد أن يلقى علي اللوم بهذا المال القليل".

هذه الإهانة المفاجئة هزت رامسوندر، فسكت برهة ثم قال بصوت خافت: "أريد أن آخذ ابنتي معي إلى منزلي لبعض الأيام" فأجاب رايبهادور رفضا "هذا غير ممكن الآن" وغادر الغرفة دون أن يذكر سببا لرفضه.

قام رامسوندر ولف الأوراق الثلاث من الروبيات في منديله بأيدي مرتعشة غير المرغوب فيه وغادر دون لقاء ابنته المحبوبة. عقد العزم ذلك اليوم أنه لن يزور منزل زوج نيروباما حتى يتمكن من سداد المبلغ الكامل من المهر الذي طلبوه. فيعيد به حقوقه على ابنته.

حان وقت "دورغا بوجا" (أكبر الأعياد الهندوسية في البنغال) فأقسم رامسوندر أن يحضر نيروباما إلى بيته. ولف بعض النقود في منديله واتجه إلى بيت صهره.

دخل منزل ريباهادور ولا تزال صرخات الإهانة والطعن بالفقر ترن في أذنيه. ولكن اليوم لا يبالى تلك الإهانات لأنه جاء هذه المرة بالمبلغ الكامل من المهر.

اجترأ رامسوندر اليوم على لقاء نيروباما على الفور دون إذن والد زوجها. قال لها: "لقد جئت لآخذك معي" في تلك اللحظة، وصل هناك شقيق نيروباما الأكبر *هاراموهان* مع ولديه الصغيرين وسأل والده "كيف يمكنك أن تفعل هذا بنا، بابا؟".

كان رامسوندر قد باع منزله من أجل جمع نقود المهر. وأخفى هذا الأمر على أولاده. عندما علمت نيروباما هذا الأمر التمست من أبيها أن لا يدفع أي مبلغ إلى أبي زوجها. وقالت "إذا أعطيت له المال، فسيكون ذلك إهانة لي. فهل أنا فقط حقيبة مليئة بالمال؟ وهل يتم تقييم وجودي فقط بتوافر المال؟".

"إذن لن يسمحوا لك بالذهاب معي، عزيزتي" أجاب رامسوندر وصوته اختنق في العجز.

رجع رامسوندر خائبا وخاسرا. اطلع أهل زوجها على أنها منعت أباها من إعطائهم مال المهر. فأصبحت حياة نيروباما في مكان زوجها أكثر بؤسا وقسوة. اضطر زوجها الذي ارتقى إلى منصب نائب القاض، إلى تركها للذهاب إلى عمله بعد بضعة أيام من زفافهما. ومُنعت من لقاء أي شخص من عائلتها.

لم يمض وقت طويل بعد، فأصيبت نيروباما بمرض خطير. تدهورت صحة نيروباما لعدم الاهتمام بالأكل والشرب وقلة الرعاية. في البداية اعتبر أهل زوجها أنها مجرد عذر، وعندما أصبح مرض نيروباما أكثر حدة وكانت على وشك الموت تضرعت إلى حماتها لرؤية والدها وإخوانها للمرة الأخيرة. ولكنهم رفضوا طلبها. بعد أيام ماتت نيروباما بدون علاج.

تم إجراء مراسم جنازة نيروباما مع الفخامة والعظمة التي لم يرها أحد قبل، حيث ذاع صيتها في المنطقة وأشاد الناس بكرم عشيرة رايبهادور.

بعد بضعة أيام، كتب زوج نيروباما نائب الحاكم رسالة: "لقد اتخذت جميع الاستعدادات اللازمة لزوجتي لتسكن معي هناك، فأرسلوها هنا دون أي تأخير".

فأجابه والده:

"ابني العزيز! قد قررنا زواجك مع فتاة أخرى. فارجع إلى البيت على الفور"

"هذه المرة، سيكون مبلغ المهر عشرين ألف روبية، ومن المقرر أن يتم دفع النقود على الفور".

قصة أردية

كبير مُحَاسِبِي الهَرَم*

إنتاج: نيّر مسعود**

ترجمة: هاني السعيد***

Email: hany_alsaeed@yahoo.com

اسمُ فرعونَ وتمجيداتُه منقوشان على جُدران الهرم الأكبر، ممَّا يُستخلصُ منه نتيجةٌ بَدَهيَّةٌ مفادُها أنَّ فرعونَ هو الذي بنى هذا الصَرْح. غير أنَّ ثمَّة نتيجةً بَدَهيَّةً أخرى يمكنُ اسْتنباطُها كذلك، وهي أنه قبل نقش اسم فرعونَ وتمجيداتِه، كان بناءُ الهرم مُكتملًا بالفعل. لكن بكمْ من الوقت قبل ذلك؟ بضعةِ أشهر؟ أم بضعِ سنين؟ أم بضعةِ قرون؟ أم بضعةِ آلافٍ من السنين؟ إذا ادّعى أحدٌ أنَّ الهرم كان موجودًا قبل فرعون بعشرين ألف سنة، فلن يكون هناك أيُّ دليل لدحْضِ هذا الادِّعاء، سوى أنَّ اسمَ فرعون منقوشٌ عليه، بل سيكونُ هذا الأمرُ نفسُه بُرهانًا على أنه أثناءَ نقشِ الاسم كان هذا الصَّرْح مبنيًا وموجودًا قبله. لكن منذ متى كان موجودًا؟ يعجزُ المؤرِّخون عن الإجابة على هذا السُّؤال، وكذلك المِعماريُّون: أمَّا المؤرِّخون فلأنهم لا يملكون وثائقَ بناء الهرم، وأمَّا المِعماريُّون فلأنهم لا يملكون أجهزةً تحدِّد عمره. فأجهزتهم المتطوِّرة لا

* قصة "اہرام کا میر محاسِب" مأخوذة من المجموعة القصصية الأردية "طاؤس چمن کی مینا"، عرشيه پبلی کیشنز، دہلی، ہندوستان، دوسری ایڈیشن، 2017ء، ص 31 – 35. وقد صدرت لأول مرة في سنة 1997م عن آج کی کتابیں، کراچی، پاکستان، ص 30- 34.

** نيِّر مسعود (16 نوفمبر 1936م – 24 يوليو 2017م) كاتب وباحث وقاص ومترجم أردي كبير. ولد وعاش وتوفَّى في لكناؤ بالهند. عمل في بداية حياته الأكاديمية مدرسًا للغتين الأردية والفارسية في الكلية الإسلامية ببريلي، ثم عُيِّن مدرسًا للغة الفارسية في جامعة لكناؤ التي تدرج فيها أكاديميًا حتى حصل على الأستاذية. كتب العديد من الكتب البحثية والنقدية، وكتابين للأطفال، وترجم عدة كتب، أشهرها "قصص كافكا"، غير أن شهرته الأدبية قد تأسست على قصصه القصيرة، ومجموعاته هي: "سيميا" (1984م)، و"عطر كافور" (1990م)، و"طاؤس چمن کی مینا" (1997م)، و"گنجفه" (2007م). حصل نير مسعود على وسام بدم شري في التعليم والأدب سنة 1979م. كما حصل على جائزتي "أكاديمية ساهِتيه" (2001م)، و"سرسوتي سمان" (2007م) عن مجموعته القصصية " طاؤس چمن کی مینا".

*** باحث ومترجم مصري، حاصل على درجة الماجستير في اللغة الأردية وآدابها من كلية اللغات والترجمة -جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

يمكنها أن تبين كم مضى من عمر الهرم، ولا كم بقىَ له منه. اللهم إلا أنَّ هذه الأجهزة تشيرُ إلى رحلة الهرم الطويلة جدًا في كلا الاتجاهين الماضي والمستقبل.

بالنظر إلى مساحة الهرم نفسِه والأراضي المحيطة به، قدَّر المِعماريُّون بالطبع أقصى عددٍ من الرجال كان يمكنهم أن يعملوا معًا في بناء الهرم، وأدنى مدةٍ كان يمكن أن يستغرقها أقصى عددٍ من الرجال في إتمام بنائه، وهذه المدَّة الأدنى تبلغ مئات السِّنين.

لكنْ في عهد الخليفة عُثِر على العبارة التالية منقوشةً على أحد ألواح الهرم الحجريَّة:

" لقد بنيْنَاهُ في ستة أشهر، فَلْنَرَ من ذا يهدِمُه في ستة أشهر".

كان لا بد أن يُشعِل هذا غضبَ الخليفة. فأُحضر العمال، وبدأت المعاولُ تنقضُّ على جانبٍ واحدٍ من الهرم. لكن لم يحدث أي شيء سوى أنَّ أسنَّة المعاول تكسَّرت، وتتطاير الشَّررُ من الحجارة. فزاد غضب الخليفة. فأمر بتسخينِ حجارة الهرم من الأمام، وعندما اشتدَّ توهُّجها صُبَّ عليها الخلُّ البارد. فطقْطقت الحجارة، وتشقَّقتْ تشقُّقاتٍ ضيقة، فانهالتْ عليها معاولُ جديدة، وكسَّرتْ منها قطعًا صغيرة. فطابت نفسُ الخليفة، وعاد إلى عاصمته تاركًا وراءَهُ أمرًا بأن لا يتوقَّف العملُ في أيِّ وقت من الليل أو النهار لمدة ستة أشهر.

❖❖❖

وبينما كان الشهر السادس يُوشك على نهايته، وقف الخليفةُ مع أمرائه مجددًا في مواجهة الهرم. فشعر بخيبة أمل لما رآه، فكلُّ ما أمكن تكسيرُه من الهرم خلال كلِّ هذا الوقت مجرَّد حجارةٍ بحجم جدارٍ صغير. وقد لاح قبوٌ صغير خلف هذه الحجارة موضوعٌ فيه برْطمانٌ منحوتٌ من حجر. قُدِّم البرْطمان للخليفة، وعندما أُفرغتْ محتوياته، تبيَّن أنها أحجارٌ كريمةٌ، ومجوهراتٌ ذهبيةٌ من طرازٍ عتيق. ثم لُوحظ أنَّ البرْطمان الحجريَّ أيضًا عليه عبارةٌ منقوشة، قُرِئَتْ بأمر الخليفة، نصُّها:

"إذًا ها أنت لم تستطعْ هدمه. خذْ أجرةَ عملكَ وانصرفْ".

كان الخليفةُ حينئذ يقفُ أمام القبو، وظلَّ الهرم المخروطيُّ ممتدًّا وراءهُ إلى مدىً بعيدٍ في الصحراء. فاستدارَ وسار ببطءٍ حتى وصل حيثُما ينتهي الظل. ثم تقدَّم إلى الأمام قليلًا وتوقَّف. الآن بدأ ظلُّه هو أيضًا يتراءَى على الأرض. وبرؤْيَة الظلِّ فقط في ضوء شمس الصحراء، بدا كأنَّ الخليفة يقف على قمة الهرم. لكن لم يكنْ ثمَّةَ أحدٌ على القمَّة. عاد الخليفة ووقفَ أمام القبو مجددًا، والآن أصدر أمرًا بإعداد كشفِ حسابٍ كامل

بنفقاتِ المُهمَّة المستمرة منذ ستة أشهر، وتقديمِه إليه. كما أصدر أمرًا آخر بضرورة إبداءِ تحديدٍ دقيقٍ لقيمة الكنز المُستخرج من البرْطمان.

ومن المشهورِ أنَّ قيمةَ الكنز التي حُدِّدَتْ كانت مساويةً تمامًا للمبلغ الذي أُنفق على مُهِمَّة فتح قبو الهرم، ولا عجب في ذلك – أي في شُهرة مثل هذا الأمر –. كما لا ينبغي العجبُ أيضًا من انتشاره حتى قبل الانتهاء من الحسابات. أمَّا ما يثير العجب حقًا فهو أنه خلال هذه المسألة برُمَّتها قد نُسِي تمامًا كبيرُ المحاسِبين الذي كان مسؤُولًا عن هذين الحسابين.

❖❖❖

كان مشهورًا بأنَّ لديهِ إحصاءٌ بكلِّ شيء في مملكة الخليفة، حتى ذرَّات الرمال. وما أن تُوضعَ أمامه حُزَمُ كُشوف الحسابات حتى يُقدِّر مجاميعَها بنظرةٍ واحدة. كما قيل أيضًا: إنَّ أخطاء الجمع والطرح تقفزُ على الورقة من تلقاءِ نفسها لتظهر أمام عينيه. لذا لا عجبَ من أنَّ معظم الناس كانوا يخافون من كبير المُحاسِبين أكثر من الخليفة نفسِه. واعتاد سكان العاصمة أنْ يقولوا لبعضهم -تارةً لإثارة السُّخرية، وتارةً لإثارة الخوف -:إنَّ مساحة المشاعرِ في قلب كبير المحاسِبين ومساحةَ الأفكار في عقله ممتلِئَتَان بالأرقام. وهذا الأمر– أو بالأحْرى ما يُشير إليه هذا الأمر – لم يكن مُجانبًا للصَّواب كثيرًا، على الأقلِّ حتى ليلة ذلك الحساب.

في تلك الليلة كانت كُشوفُ كلا الحسابين مفرودةً أمامه، وقدَّر بنظرةٍ واحدةٍ أنَّ كلا الحسابين متساوٍ على وجه التقريب. ومع ذلك رأى من الواجب أنْ يفحص ويُمحِّص كل بندٍ في كلا الحسابين. وكان مرؤُوسُوه الأكْفَاء قد سجَّلوا كلَّ شيءٍ بعنايةٍ فائقة. فلم تكن هناك أيُّ زيادةٍ أو نقصانٍ في قيمة أيِّ بندٍ على الإطلاق. ولحساب المجموع أمسك أولًا كشف حسابِ الكنز المُستخرج من البرْطمان. لكنْ عندما بدأ يكتب ناتج الجمع تعثَّر قلمه، وأحسَّ أنه ارتكب خطأً في موضعٍ ما من حِسْبته. فجمع الحساب مُجددًا، ووجد ناتج الجمع الآن مختلفًا بعض الشيء، لكنه أحسَّ مجددًا بارتكابِ خطأ ما، فأعاد جمع الحساب من جديد، ووجد الناتج مختلفًا كذلك. وفي النهاية وضعَ ذلك الكشفَ جانبًا، وأمسك كشفَ نفقات مُهمَّةِ فتح القبو، لكنه كان كمنْ يريد فقط تأكيد شبهةٍ لديه، وفي الواقع تكرَّر نفسُ الأمر مع هذا الكشف أيضًا. فكانا أمامه كشفيْن وستةً أو سبعةً أو ما يزيد من نواتج الجمع. وبعقلٍ مُشوّش،

أهمل الكشفين هكذا وخرج. كان هناك سؤالٌ ما يزعجه، وسؤالٌ ما يريد الوصول إليه، لكن لا يجدُ طريقًا له وسط زحام الأرقام.

ظلَّ يقف في ضوء القمر بالخارج حتى بدأت قدماه تُنَمِّلان، وكفَّاه يحْتَقِنان، عندئذٍ فقط أحسَّ بأنَّ حشد الأرقام يتباعدُ عنه باستمرار شيئًا فشيئًا. وبدتْ له هذه الأرقام المتباعدةُ عنه كجماعاتٍ من الناس. فرأى الاثنين والاثنين يسيران متشابكيْ الأيدي، ووراءهُما ناتجُ جمعهما، الذي لم يستطعْ أن يُميِّز ما إذا كان أربعةً أم شيئًا آخر. بعد مرور هذا الحشْدِ الأخير عاد إلى الداخل. ووضع الكشفين فوقَ بعضهما، وراح يفكِّر ما إذا كان ناتجيْ جمعِهما سيكُونان مُوحَّدَين أم مختلفين؟ ثم طفِق يفكِّر ما إذا كان هو نفسُه يريدُ أنْ يكون الناتجان مُوحَّدين أم مختلفين؟ ثم ماذا يريد الخليفة؟ عندئذ أدرك فجأة أنَّ هذا هو السُّؤال الذي كان يبحث عن طريقٍ لهُ وسط زحام الأرقام، ماذا يريد الخليفة؟

أمضى بقيَّة الليل وهو يفكِّر، ماذا يريد الخليفة؟

عند حلول الصباح غلبهُ النوم. فرأى في منامه الخليفةَ وفرعونَ يسيران متشابكيْ الأيدي، ومتَّجهين إلى نهاية ظلِّ الهرم، لكن لم يكنْ ثمَّةَ أحدٌ على القمَّة. وأدركَ في منامه أنه يحلُم، فتركَ عينيهِ تنْفَتِحان.

كان النهارُ يتلاشى عندما أحرقَ كلا الحسابين وأحالهما إلى رَمَاد، وسَرَّج بغل أحد عبيده، وارتدى ثياب العبدِ، ثم انطلق إلى الخارج. كان الَّلا مُبالون يتجوَّلون في الأسواق مُتشابكِي الأيدي، ومكوِّنين مجموعاتٍ صغيرة. لم يكنْ هناك سوى موضوعٍ واحدٍ فقط هو مدار الحديث في المدينة يومذاك، إذ كان يقول بعضهم لبعض: إنه لم يُعثَر على ذرة فرقٍ بين قيمة المبلغ الذي أُنفق على فتح القبو، وبين كنز البرْطَمان، وأنَّ هذا الحسابَ صدَرَ من جانبِ كبير المُحاسِبين، الذي لديه إحصاءٌ بكلِّ شيء في مملكة الخليفة، حتى ذرَّات الرمال.

❖❖❖

إنه لم يخرج من البيتِ بأيِّ نيةٍ للعودة. بل نخَسَ البغل، وترك وراءهُ الأسواق، وضيَّع نفسه في متاهاتِ الصحراء التي تتطايرُ فيها ذراتُ الرِّمال كالشَّرر، ويُلْقي الهرمُ على أرضها ظلَّهُ المخروطِيّ.

❖❖❖

قراءة في كتاب

من علّمني؟

محمد محبوب عالم *
Email: mahboobjnu@gmail.com

أصدرت حديثا دارُ الرشيد، لكناؤ، الهند، كتاباً بقلم الدكتور محمد أكرم الندوي. يشتمل هذا الكتاب على تراجم نخبة ممتازة من كبار أساتذة الدكتور أكرم الندوي في دار العلوم لندوة العلماء الذين قاموا بدور كبير في تعليمه وتثقيفه وتربيته تربيةً إسلاميةً، ولهم فضل عظيم عليه في إعداده كعالم بارع وأديب مبدع وباحث جاد في العلوم والدراسات الإسلامية. كما يقدّم الكتاب تصويرًا صادقاً لدار العلوم لندوة العلماء التي قضى المؤلفُ في رحابها أحلى أيام حياته وتربى في حضنها الأليف، والتي كانت تفتخر بوجود أساتذة بارعين في فنونهم يعامِلون الطلبة معاملة الآباء لأبنائهم، ويُحسنون إليهم بكل رفق وحنان، ويوجِّهونهم إلى ما فيه خير وسعادة ونجاح في الدنيا والآخرة، وينصحونهم بالابتعاد عن كل شيء وهو شر لهم، ويساعدونهم على حل المشاكل وتذليل الصعوبات التي يتعرضون لها خلال حياتهم الدراسية. يُشير الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي في "كلمة الناشر" لنفس الكتاب، إلى ما كان يتميز به أساتذةُ ندوة العلماء وقتذاك بالقول "إن هؤلاء الأساتذة رغم علو شأنهم ومكانتهم في المجتمع كانوا يتكيفون مع احتياجات الطلاب... ويفرِّغون من أوقاتهم الثمينة لإفادة كل من يرون فيه الرغبة في الحصول على العلم... ومن خصائص هؤلاء الأساتذة أنهم لم يكونوا مدرسين فقط، يحضرون الصفوف، ويلقون الدروس...وانتهت الحصص الدراسية ومضوا، وإنما كانوا بجانب هذه الوظيفة المهمة الأساسية مربِّين، نعم! كانوا مربِّين يقومون بتربية

اسم الكتاب: من علّمني؟
اسم المؤلف: د. محمد أكرم الندوي
الناشر: دار الرشيد، لكناؤ- الهند
الطبعة الأولى: 2018م
عدد الصفحات: 152
ثمن النسخة: 125 روبية هندية

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

الطلاب تربية دينية خلقية اجتماعية... وهذا ما تفقده المدارس اليوم بسبب المادية التي غزتها بفيروساتها"[1].

يعبّر المؤلف بالطبع عن شوقه وحنينه إلى ندوة العلماء، وعن حبه الجم وتقديره البالغ لثلة من أساتذته في مختلف العلوم والفنون، من التفسير والحديث والفقه والأدب واللغة والإعلام وغيرها من الفنون الأخرى، فإن القارئ سيستفيد ويستمتع عند قراءته بأسلوب رائع وفريد من أول صفحة إلى آخر صفحة في الكتاب، من حيث لا يدخل المؤلف إلى ترجمة أساتذتهم ووصف خصالهم الحميدة وخصائصهم البارزة مباشرةً – كما نجد في الكتب عامةً– بل إنه يُعالج العلوم والفنون بمختلف جوانبها أولاً بأسلوب سردي أخاذ، مستوعبًا جوانب حياة أساتذته المختلفة دراسة وتدريسا وتأليفا وما إلى ذلك.

أذكر هنا مثالا لما جاء تحت باب "من علَّمك الفكر الإسلامي؟

"قالوا: ما الفكر الإسلامي؟ قلت: هو ما أورثه المسلمون من أعمال عقلية ونظرية في العلوم والفنون والفلسفات والآداب إبداعا وإنتاجا واجتهادا، منذ بدء الإسلام إلى يومنا هذا.

قالوا: ما الفكر الإسلامي المعاصر؟ قلت: هوالفكر النزيه الصافي الذي طوره المفكرون المسلمون إنكارا للفكر العلماني، ومقاومة للهجمات الفكرية والثقافية الغربية، وتصحيحًا للفكر التجددي المتأثر بمصادر غير إسلامية.....

قالوا: ما مصدره؟ قلت: مصدره هو القرآن الكريم والسنة النبوية وعيا لهما وفهما، واستنباطا منهما واستخراجا، فهو إذًا فكر رباني.....

قالوا: ما خصائصه؟ قلت: يتميز الفكر الإسلامي بما ذكرنا من سمو مصدره وثباته، وهو فكر شامل، أي يشمل جميع مقتضيات الحياة ونواحيها.....

قالوا: من علَّمك الفكر الإسلامي؟ قلت: شيخنا السيد محمد واضح رشيد الندوي، قالوا: أفدنا بترجمته. قلت: سألتموني ترجمة شيخ محبب لدي أثير، أنست به أنسًا كبيرا، وألفته أيما ألفة، أشعلتم بذكره عاطفة في صدري، وأيقظتم نائم

[1] -نفس الكتاب، ص: 4.

الأشجان في قلبي..... هو العالم الصالح، التقي النقي، الأديب اللوذعي، اللغوي الألمعي، المفكر المتوقد الذكي، الأستاذ الشريف أبو جعفر محمد واضح رشيد الندوي بن ..... ولد سنة ..... وتخرج في دار العلوم لندوة العلماء ..... عمل لفترة في إذاعة عموم الهند بدلهي..... ألف "من قضايا الفكر الإسلامي: الغزو الفكري"، و"أدب الصحوة الإسلامية".... وأنشأ مئات من المقالات التربوية والفكرية والتوجيهية باللغتين العربية والأردية.

يمتاز بالعلم والعمل، جامعا بين العقل والحكمة والخلق الحسن، ومضروبا به المثل في التواضع.....

قرأت عليه أشياء من كتاب "الأدب العربي بين عرض ونقد" و"الفكر الإسلامي" للأستاذ محمد مبارك، وأخذت منه دروسًا في الأدب العربي والإنشاء والكتابة، ودروسًا في الغزو الفكري.....

قالوا: مالذي امتاز به شيخك في شرح الفكر الإسلامي قلت: ما رأينا من يدانيه في شرح الفكر الإسلامي عبر أدواره المختلفة.....

قالوا زدنا من فضائل شيخك ومناقبه فقد نراك به متيما وبذكره سعيدا، قلت: هو معلِّم أغرُّ، لندوة العلما فخر.....

قالوا: مالك مفيضا في الإشادة بفضله ومناقبه هذه الإفاضة؟

قلت: اعفوني، فقلبي مليء بحبه، ولي بث منه طيب لذيذ أعانيه، وكأن دافعا يدفعني إلى الاستكثار من ذكره، على أن الكثير منه عندي قليل، فإني أجد ثناءه في الناس أشرف من ثناء الملوك الكرام، ... وإذا أفضت في ذكره حسبت أني غير مفيض"[1].

إلا أن المؤلف عندما يتناول الحديث عن العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كان المؤلفُ من المقربين إليه منذ فترة دراسته في ندوه العلماء، حيث إنه اقتفى أثره في السيرة والسلوك والبحث والتحقيق، يتخذ أسلوبا عاديا ويُلقي ضوءً كاشفا على شتى جوانب حياة العلامة رحمه الله من الدعوية والإصلاحية والفكرية والتأليفية وغيرها.

[1] -الكتاب نفسه، ص: 74 -79.

وإلى جانب ذلك، يحتوي الكتاب على مقامة أيضا بعنوان "المقامة اللكنوية" تُشير إلى بداية رحلة المؤلف إلى مدينة لكناؤ لتحصيل العلم والمعرفة، وحنينه إلى هذه المدينة التي قضى فيها فترة طويلة. ويُفرد المؤلف بالذكر من بين أصدقائه ورفقائه عبدَالحي مع الإشارة إلى صفاته النبيلة وخصاله الحميدة التي يتسم بها.

كما يتزين الكتاب بمقدمة رائعة مفصلة بقلم محمد حشمت الندوي المقيم حاليا في دولة قطر، والذي كان زميلاً للدكتور أكرم الندوي في الدراسة بدار العلوم لندوة العلماء، تحدث فيها حشمت الندوي عن مسيرة صاحب الكتاب العلمية والعملية مستوعباً جوانب حياته المختلفة من البداية إلى النهاية بشكل موجز، وأبرز فيها الخصائص العلمية والعادات الشريفة التي يتحلى بها أكرم الندوي.

كما حاول محمد حشمت الندوي في مقدمة الكتاب تصويرَ ندوة العلماء تصويرًا دقيقاً يعكس الجوَّ التعليمي والأدبي والثقافي السائد في رحاب ندوة العلماء خلال فترة الثمانينيات من القرن الماضي.

يقول محمد حشمت الندوي في مقدمة الكتاب، عن الأسلوب الذي يتميز به المؤلف "يتحدث زميلي الفاضل عن سيرتهم، وفضلهم، ومكارمهم، ومآثرهم العلمية والفكرية وإنجازاتهم القيمة في مجالات البحث والتحقيق والتأليف والتدريس، ويقدم كل ذلك، كباقة حب وإخلاص وعرفان بجميلهم وفضلهم عليه، وعلى الآخرين من طلاب العلم، في حلة قشيبة من اللغة العربية العصرية وبأسلوب علمي وأدبي راق وجميل، ويمتاز أسلوبه ببلاغة التعبير، وفصاحة البيان، وصياغة رصينة، وعبارات رائعة معبرة، تعطر المسامع، وتذكي الوجدان، وتنعش القلوب"[1].

ويزيد هذا الكتاب قيمةً وأهميةً أن المؤلف نفسه بارعٌ في العلوم والفنون التي ناقشها في هذا الكتاب، حيث يتمتع المؤلف بذوق أدبي، ويتميز بثقافة واسعة ومطالعة دقيقة، فيقدّم تعريفاً كافياً وشرحاً وافياً لكل علم و فن أخذه عن أساتذته الكرام في ندوة العلماء.

[1] -من مقدمة الكتاب، ص: 13-14.

صاحب الكتاب الذي بين أيدينا الدكتور محمد أكرم الندوي هو من مواليد 1963م. بعد تلقي العلوم الابتدائية والثانوية في جونفور، سافر إلى مدينة لكناؤ والتحق بدار العلوم لندوة العلماء، فحصل على شهادة العالمية عام 1981م، وشهادة الفضيلة (اختصاص في الحديث النبوي الشريف)، عام 1983م. وأكمل شهادة البكالوريوس عام 1989م، وشهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها عام 1992م من جامعة لكناؤ. وقدّم رسالة الدكتوراه في قسم اللغة العربية في نفس الجامعة بعنوان "بستان المحدثين للشاه عبد العزيز الدهلوي: دراسة نقدية" عام 2001م.

كما قام بالتدريس منذ 1984م إلى 1990م في دار العلوم لندوة العلماء، ثم عقد عزمه على الرحلة إلى لندن باقتراح السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، وسافر إليها سنة 1991م ليعمل باحثاً في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية التابعة لجامعة أكسفورد، وقضى فيه أكثر من عشرين سنة كباحث، واشتغل هناك مدرسًا في مؤسسات ومعاهد مختلفة. وحاليا يتولى منصب عميد كلية كامبرج الإسلامية بالمملكة المتحدة إلى جانب كونه مشتغلا بتدريس العلوم الإسلامية المتقدمة كمحاضر كبير في مؤسسة "السلام" بلندن.

حظيت المكتبة الإسلامية والعربية بقسط وافر من مؤلفات الدكتور أكرم الندوي، فله أكثر من خمسة وعشرين كتابا حول موضوعات شتى. ومن أهم إنتاجاته كتاب في طبقات المحدثات في 52 مجلدا، جمع فيه تراجم ثمانية آلاف امرأة محدثة عن الحديث النبوي، وأكمل هذا العمل في ثمانية أعوام من العمل المتواصل.

فيستحق المؤلف كل الثناء والتقدير على إتحاف هذا الكتاب القيم المفعم بمعلومات كافية عن ندوة العلماء وبيئتها التعليمية وأساتذتها الحاذقين في فنونهم المختلفة، والمخلصين لطلابهم والمشرفين على نشاطاتهم التعليمية والثقافية والدعوية في داخل الصفوف وخارجها. وسيكون الكتاب مرجعاً أساسياً للدارسين والباحثين في إسهامات كبار الأساتذة لندوة العلماء الذين كانت تفتخر بهم وقتا ما.

قراءة في كتاب

الجواهر الفريدة من مناهل الأدب العربي

د. **محمد ريحان الندوي** *
Email: raihan.amu@gmail.com

هذه مجموعة مشتملة على المختارات الفريدة والأخبار النادرة والحكايات الممتعة من أمهات الكتب الأدبية العربية. قد جمعها ورتّبها وعلّق عليها الدكتور محمد سليم. وهو أستاذ مساعد في جامعة إنديرا غاندي الوطنية المفتوحة بنيو دلهي. كما هو رئيس البرنامج العربي في نفس الجامعة. إنه سافر إلى دلهي بعد إكمال التعليم الثانوي واستقى مزيدا من العلم والفضل من جامعة جواهر لال نهرو، بنيو دلهي، حيث نال شهادة الدكتوراه في الأدب العربي.

اسم الكتاب: الجواهر الفريدة من مناهل الأدب العربي
اسم المؤلف: الدكتور محمد سليم
الناشر: روز ورد بوكس نيو دلهي، الهند
الطبعة الأولى: 2018م
عدد الصفحات: 174
ثمن النسخة: 200 روبية هندية

هذا الكتاب زبدة الكتب الأدبية المرجعية. لا يستفيد الطلاب والباحثون في عصرنا هذا من الكتب المرجعية الأدبية إما بسبب عدم توافرها في المكتبات أو بقلة رغبتهم في الأدب القديم، مع أنه هو المنهل الصافي المعين الذي يتولد منه الأدب الحديث. "يقال إن اللغة العربية قد تطورت ودخلت فيها الألفاظ والتعبيرات والأساليب الأجنبية وهي الآن تساير الزمان، فلماذا نركز على الكتب العربية التي ألفت قبل ألف عام أو أكثر، والجواب هو أن الجديد لم يخرج إلا من بطن القديم. هل أتى على الإنسان حين من الزمان أصبح فيه منقطعا عن تجارب الماضي. أليس كل من يدعى العلم والفضل قد نهل من تلك المناهل العذبة الصافية النميرة حتى ارتوى وبدأت في نفسه تموج المعاني والأساليب الجديدة بفضلها" (ص:6). فهذا سعي حثيث وبذل مشكور في إيقاظ الوعي والشعور بأن نستفيد من جديد من أدبنا القديم.

* باحث هندي.

حينما تطالع هذا الكتاب تبكي وتفرح، وتحزن وتمرح، وتتحير وتقلق بما فيه من حكايات نادرة ونكت فريدة وقصص عجيبة، وتعلم مما لا تعرف في باب السيادة والاقتصاد والعلم والفن والأدب، وتستفيد من آراء الحكماء والعلماء، وتعرف معنى الفصاحة والبلاغة، والشعر والأدب. تشارك مجالس الشعراء والأدباء وترافق محافل الزهاد والنساك، وتصاحب عيش الأعرابي والبدو. كما تدري كيف كان العرب يتحاكمون ويتشاورون ويتحابون ويتعاملون فيما بينهم. وتعرف حقيقة العلم والمال والجاه لدى العرب، فهذه المجموعة تحتوي على هذه الجواهر الفريدة واللآلي الأنيقة التي تعطيك صورة حقيقية للعرب الأقحاح.

يقول المؤلف "حاولت أن أقدم إلى إخواننا الهنود مختارات من أروع ما قرأت في أمهات الكتب الأدبية العربية ليكونوا واقفين على فنون القول وألوان البيان ومنابع الحكمة. وقد تناولت بشرح الغامض من الألفاظ والجمل والتعليق على بعض النصوص، وأرجو أن تفتح هذه القطعات الأدبية بابا واسعا للدخول في بساتين الأدب والفكر العربي".

ها هي بعض النماذج من هذه المجموعة من التعليقات والمعلومات وحل الكلمات الصعبة. لو ذكر الأديب في هذه الكتب الأدبية الشاعر أو الأديب بالكنية أو اللقب فإن المؤلف يذكر الاسم المعروف الحقيقي مع ذكر اشتغاله وسنة وفاته "عبد الله بن جعفر: صحابي معروف، ولقب ببحر الجود لكرمه، توفي سنة 80هـ "(ص:70). ففي بعض الأحيان يذكر المؤلف الاسم الحقيقي ولقبه وأسرته وكنيته ومهنته وحكايته، ويترك ذكر سنة وفاته أحيانا مع ذكر المرجع الأصلي للمراجعة والاستفادة، وإنه لا يذكر سنة ولادة الشاعر أو الأديب، ويكتفي بذكر سنة وفاته فقط "أبو حازم بن دينار: هو سلمة بن دينار المخزومي بالولاء، أبو حازم، عالم المدينة وقاضيها وشيخها، فارسي الأصل، كان زاهدا عابدا، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه فقال: إذا كانت له حاجة فليأت، فأما أنا فما لي إليه حاجة. أنظر بهجة المجالس وأنس المجالس، الجزء الثاني". كما يذكر المؤلف معنى الكلمات الصعبة في حاشية النص مثلا: الصنيعة: كل ما عمل من خير أو إحسان جمع صنائع، (ص:131)، منقوص البيان: عاجز عن البيان غير قادر عليه، (91)، أسبل الشيء: أرسله وأرخاه يقال أسبل الثوب وأسبل

الستر، (ص:82)، هش يهش هشاشة وهشوشا العودة: صار هشا أي سريع الكسر والشيء: لان واسترخى فهو هش،(58) وغير ذلك من الكلمات التي يكتب المؤلف معناها في الحواشي.

وأما ما يتعلق بذكر النماذج من الكتاب ففي هذا الصدد يختار المؤلف قطعة أدبية من أمهات الكتب فيعنون عنوانا شيقا ويختار أحيانا قطعات كبيرة. وفي معظم الأحيان يختار قطعة وجيزة في سطرين أو ثلاثة أسطر. يذكر قول رسول الله (ص) تحت عنوان "من آداب الطعام" مستفيدا من كتاب لباب الآداب لابن منقذ "عن بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا وضعت المائدة فليأكل الرجل مما يليه، ولا يرفع يديه وإن شبع، وليعذر فإن ذلك يخجل جليسه" (ص: 99).

"نعمة الدنيا" عنوان جذاب يطالع المؤلف هذه القطعة الأدبية من الكتاب "الكامل للمبرد" فيضع لنا هذا اللؤلؤ القيم فيقول: "وقيل لحزيم ما النعمة؟ فقال: الأمن، فإنه ليس للخائف عيش، والغنى، فإنه ليس للفقير عيش، والصحة، فإنه ليس لسقيم عيش، قيل ثم ماذا؟ قال: لا مزيد بعد هذا" (ص: 60).

يستفيد المؤلف من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ويروي لنا هذه النصيحة الغالية تحت عنوان "نموذج من الفكر الهندي" فيذكر" وجاء في كتاب من كتب الهند: "شر المال ما لا ينفق منه وشر الإخوان الخاذل، وشر السلطان من خافه البريء، وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن" (ص:48).

لو قسم المؤلف هذا الكتاب إلى أبواب وفصول مثلا باب القصة والحكاية أو باب العلم والفضل، والشعر، والفكاهة، والحكمة وما إليها، وكذلك لو فسّر مزيدا من الكلمات الصعبة لكان الكتاب أكثر قيمة، وأجود هدية للمبتدئين والمتوسطين من الطلاب الجامعية والمدرسية. كما نجد فيه أخطاءً إملائيةً ومطبعيةً، وأرجو إزالتها في الطبعة القادمة.

وفي الأخير فهذا كتاب نافع ومختار نادر سيستفيد منه طلاب وباحثون، ويستمتعون بمعان الجياد والألفاظ الحسان والنكت النوادر والمثل السائرة، فهذا المؤلف يؤنسك في الوحشة ويجالسك في الخلوة ويرشدك في الضلالة ويهديك من عسر إلى يسر ومن لهو إلى عظة ومن ضحك إلى تذكير ومن جد إلى هزل وعكسها.

قراءة في كتاب

نشأة المعاجم والمصطلحات العربية الطبية

آصف إقبال *
Email: Iqubalasif2010@gmail.com

تحتل المعاجم الطبية العربية مكانة مرموقة في تعريب العلوم الطبية ونقل مبادئها إلى اللغة العربية؛ إذ الطب من أقدم العلوم وأسبقها التي شغلت بال الإنسان وحظيت عنايتهم منذ عيشهم في الأرض، كانت المدونات والوصفات الطبية من التراث العلمي الذاخر بما بذل الأطباء من مجهودات قصوى لتحسين مستوى العيش الإنساني وتطوير الرعاية الصحية البشرية، فأصبح الطب ودراسته من أهم العلوم وأكثرها تلبية للحاجات الإنسانية الحيوية.

اسم الكتاب: نشأة المعاجم والمصطلحات العربية الطبية: منظور تاريخي
اسم المؤلف: الدكتور محمد أكرم
الناشر: اصلاحي هيلتھ كيئر فاؤنڈيشن، نيو دلهى
الطبعة الأولى: 2018م
عدد الصفحات: 304
ثمن النسخة: 225 روبية هندية

تتفرع دراسة الطب البشري إلى بحوث علمية ووثائق بحثية، وفي طليعتها معاجم طبية يتصدى لوضعها الأطباء البارزون منذ انفجار العلوم الطبية تحديدا لهيئات وإجراءات طبية مختلفة. وكان للأطباء المسلمين العرب في العهود القديمة دور بارز لإحياء الطب وجمع المصطلحات الطبية وتدوين معاجمها ووثائقها بوجه منشود، حتى سارت فيهم المقولة المشهورة بأن الطب كان معدوما فأوجده بقراط، وميتا فأحياه جالينوس، ومتفرقا فجمعه الرازي، وناقصا فأكمله ابن سينا. وتتكاثر جهودهم بالتحديد في العصر العباسي، فبادروا لجمع الألفاظ الطبية وشرحها وتوضيح معانيها في كتب خاصة يمكن أن نعدها عن باكورة فن معاجم طبية متخصصة، ويقال إن أول معجم طبي عربي خاص بالاصطلاحات الطبية هو "كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية" لصاحبها منصور الحسن بن نوح القمري في أواخر الألفية العاشرة، (ص: 145).

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، الهند.

ويعالج الكتاب "نشأة المعاجم والمصطلحات العربية الطبية: منظور تاريخي" لصاحبه الدكتور محمد أكرم موضوعات مهمة ومبادئ أساسية للمعجم الطبي العربي المعاصر بشكل موضوعي، والدكتور محمد أكرم الذي يعمل كأستاذ مساعد لقسم اللغة العربية لجامعة دلهي، له غرام بالموضوع وأبعاده وولوع بدراسته ضمن إبراز مساهمة هذا الفن في إثراء اللغة العربية وتسهيل محتوياته على العارفين بلغة الضاد.

ولا يشك كل من له إلمام بالميادين الطبية أن الموضوع يحتل صدارة في مجالات الطبية العربية، وبزغت أهمية هذه المحاولة بأن طلاب الطب والأطباء العرب لا يجدون صعوبة في الكتابة باللغات المختلفة، ولكن تظهر الصعوبة إذا حاولوا الكتابة لغرض طبي باللغة العربية، وذلك لتغير مصطلحاته واتساع معارفه يوما فيوما.

يتناول الكتاب محتويات قيمة في عشرة أبواب إضافةً إلى مقدمة وقائمة طويلة للمصادر والمراجع، ويحرى لي التلميح إلى ما في هذه الأبواب بإيجاز.

يذكر الدكتور في الباب الأول علم المعاجم وتعريفه وتتطوره وتاريخ تدوينه وطريقة وضعه ومناهج ترتيبه وما إلى ذلك من قضايا هامة لفن المعاجم العربية بقسط من التفصيل. وبحثا عن نشأة المعاجم الطبية من منظور تاريخي وإحصاءً لأهم المعاجم الطبية العربية وفترة ظهورها في الباب الثاني يتطرق الباحث في الباب الثالث إلى إبراز الجهود الجبارة التي بذلها العرب في وضع المصطلحات الطبية، فبيّن ثلة من الأطباء العرب القدامى الذين أحرزوا السبق في المجال وقدموا إسهاماتهم القيمة إلى مجالات الطب كلها، كما يتناول البحث مدارس طبيبة ومجامع عربية لغوية وإسهاماتها في صياغة المصطلحات الطبية وتوحيدها ونشرها على مستوى العالم.

والباب الرابع والخامس من أشمل الأبواب وأكثرها استيعابا للبحوث الطبية، ومما يهمه القارئ في الباب أنه ذكر بتركيز خاص أصول وضع المصطلحات العربية والقواعد العربية الأساسية التي راعتها المجامع اللغوية العربية في وضع المصطلحات الطبية العربية. ويتم البحث في الأبواب الأربع الأخيرة بإيجاز عن اطراد المصطلحات الطبية العربية قديما وحديثا وتحديد معانيها، ويستوعب فيها جلّ مصطلحات تحدد أمراضا جسدية وعلل نفسية باللغة العربية والإنكليزية معا. وفي النهاية قائمة طويلة للمصادر والمراجع راعى فيها ترتيبا أبجديا.

ومما يشعر القارئ إبان قراءة الكتاب بأن المؤلف قد بذل بكل ما لديه من المساعي المشكورة في عرض هذا الكتاب المهم على الساحة العلمية بأسلوب رصين يراعي فيه ترتيبا منطقيا لا تعقيد فيه ولا التواء معتمدا على استخدام التعابير اللغوية الأكثر شيوعاً. وبالرغم من رشاقة الألفاظ ومتانة الأسلوب وسهولة المعنى التي يتحلى بها الكتاب، قد أمهل المؤلف عن إعمال القواعد الإملائية بشكل يورث القلق وربما يرتبك المعنى بين يدي القارئ، وكذلك تبث فيه أخطاء طباعية وتعقيدات لغوية يصعب الإشارة إلى جميعها في هذا المختصر. فمثلا يذكر في صفحة 98 اسم الشخص بـ "أحرن القس" بالحاء وفي الصفحة التالية يكتب اسمه بـ "أهرن القس" بالهاء، وكذا في الصحفة 101 عبارة "لتسهل على الأطباء والتراجمة أعمالهم"، وفي الصفحة 224 "ومن المعلوم أن صياغة المصطلحات كانت ما زالت".... وكتب في موضع "يعتبر هو أب للمعاجم الطبية العربية". ففي مثل هذه العبارات تلتبس المعاني وتغمض المطالب التي أرادها المؤلف تجسيدها من خلال الكتابة.

ومع ذلك كله قدّم المؤلف كتابا هاما أمام طلاب اللغة العربية وللباحثين في الطب وما يتعلق به، فالكتاب الذي يعتبر هو دليلًا في الموضوع يساعد الدارسين على تذليل الصعوبات اللغوية الطبية؛ لأن الباحث ربما لا يجد كلمة عربية طبية في المعاجم والقواميس المعاصرة. والكتاب يمتاز عما كتب في المجال من بضعة كتب أخرى في جمع الأشتات والمبعثرات من الموضوع، لأجل تناوله جوانب تاريخية ومطالب لغوية بطريق موضوعي، فإن كل ما ألف من عدة كتب حول الموضوع، كان يعالج طرفا من الموضوع ، إما يسرد مجرد المصطلحات الطبية العربية، أو يبحث عن نشأة المعجم الطبي تاريخيا فحسب. فتمس الحاجة إلى تأليف كتاب شامل باللغة العربية، فقد أنجز المؤلف هذه المهمة العلمية التي تعد صعبة المنال بأسلوب شيق، وسدّ الحاجة ومهد طريق المسيرة إلى الأمام للباحثين والمهتمين بالموضوع.

قراءة في كتاب

دليل المؤسسات المعنية....
دليل المكتبات المعنية....

غياث الإسلام الصديقي الندوي *
Email: ghayasul17@gmail.com

صدر كتابان حديثا بقلم **الدكتور صهيب عالم**، أحد أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي، وهما "**دليل المؤسسات المعنية باللغة العربية في الهند**"، و"**دليل المكتبات المعنية باللغة العربية في الهند**"، نشرهما **مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية بالمملكة العربية السعودية** ، الرياض، عام 2018. وقد نشر هذا المركز أهمّ الكتب العربية ضمن برنامجه للإصدارات. وتحت هذا البرنامج تمّ اختيار الدكتور صهيب عالم لإعداد دليل للمؤسسات التي تعتني باللغة العربية في جمهورية الهند.

فالكتاب الأول "**دليل المؤسسات المعنية باللغة العربية في الهند**" مفعم بمعلومات عن المؤسّسات والمعاهد التعليمية الهندية التي هي بمثابة عمود فقري لترويج اللغة العربية ونشرها في أرجاء الهند، ويشتغل فيها عدد ضخم من العلماء والأساتذة بتدريس هذه اللغة وآدابها وعلومها. يقع الكتاب في حدود 354 صفحة، ويشتمل على مقدمة المؤلف، وتمهيده، وبالتالي قائمة الجامعات والكليات والمدارس مع إيراد أهم المعلومات عن كل منها بجانب عدّة صور أنيقة لأبنيتها المتنوعة. اختار المؤلف أهمّ المؤسّسات والمعاهد من كل ولاية من ناحية الأهمية الخاصة في تاريخ الهند. كما قام بترتيب أسمائها حسب الحروف الهجائية لأسماء الولايات الهندية مثلا: آسام، أوترابراديش، بنغال الغربية، وبيهار، وهلمّ جرّا. يتحدث تمهيد الكتاب عن المدارس الدينية الأهلية والجامعات الحكومية المركزية والإقليمية ومناهج تعليمها المتنوعة وإسهامات الأساتذة الهنود في مجال الترجمة وتاريخ الأدب العربي. كما يستعرض أهداف المقررات الدراسية للجامعات الهندية، والهيئات المختصة باعتماد مؤسّسات التعليم العالي في الهند وآفاق

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، الهند.

انتشار اللغة العربية ووسائل دعمها في الهند. يعرّفنا هذا الكتاب بثلاث وثلاثين جامعة حكومية، وإحدى وأربعين كلية، وسبع وسبعين مدرسة دينية تقع في مناطق الهند المختلفة.

وأما الكتاب الثاني "**دليل المكتبات المعنية باللغة العربية في الهند**" فهو يهتمّ بإبراز أهمّ المؤسّسات البحثية التي تختزن عدداً هائلاً من الكتب العلمية والبحوث القيمة والمخطوطات النادرة بجانب كونها مراكز علمية يرحل إليها العلماء والمثقفون والباحثون لإرواء غليلهم في العلم والمعرفة. يقع الكتاب في حدود 124 صفحة، ويشتمل على مقدمة وتمهيد بقلم المؤلف، ثمّ قائمة المكتبات والأرشيفات واتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند، مع إيراد أهم المعلومات عن كل مكتبة، مثل: الاسم الرسمي، والعنوان، ورقم التواصل وغير ذلك. ويلقي المؤلف في التمهيد ضوءً على عشر من أهمّ المكتبات والأرشيفات التي تحتضن المخطوطات والوثائق والمستندات المعنية بهذه اللغة وآدابها وفنونها وتاريخ بلادها في الجزيرة العربية. وبالتالي يحيط الكتاب إحاطة علمية بخمس وأربعين من المكتبات والمراكز العلمية المنتشرة في مختلف أرجاء الهند. وممّا يزيد من قيمة الكتاب وأصالته وموثوقيته أنّه يتزين بصور رائعة للمباني المتعلقة بالمكتبات والمؤسسات.

عقب استعراض هذين الكتابين، يجد الباحث أنّهما إضافة ملموسة إلى ثروة المكتبة العربية، وأداة قيمة للاستفادة والإفادة، وإطلال على نواحي ضرورية مهمة فيما يتعلق بدور الهند في مجال خدمة اللغة العربية وآدابها، ومرآة صافية تنعكس منها جهود الهنود في سبيل اللغة العربية، وحبهم العميق معها. قد أنجز المؤلف هذين الكتابين بأسلوب علمي ولغة سهلة، واستقصاء الموضوع إلى حدّ كبير. فمن خلال دراستهما يطلع الدارس على واقع هذه اللغة وجذورها المترامية في ربوع الديار الهندية.

حوارات

حوار مع الأستاذ واضح رشيد الندوي

حاوره: محمد محبوب عالم *
Email: mahboobjnu@gmail.com

يسعدني أن أعّرف لقرّاء مجلة "الجيل الجديد" شخصيةً بارزة لها اختصاص في الأدب العربي والنقد العربي والتاريخ والحضارة الغربية، واهتمام بالغ بقضايا الفكر الإسلامي والغزو الفكري. وهذه الشخصية هي فضيلة الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي.

يُعَدُّ واضح رشيد الندوي من الأعلام البارزين المعاصرين الهنود الذين ذاع صيتهم في الأوساط العلمية والأدبية والاجتماعية بفضل ما يملكون من مهارة وبراعة في مختلف العلوم والفنون. لقد جمع الله في شخصية واضح الندوي عدة مواهب ومؤهلات، فإنه صحفي كبير ومحلّل سياسي بارز ومترجم قدير ومتقن اللغة العربية ومُطَّلِع تام على الفنون الأدبية قديماً وحديثاً ومتضلع من اللغة الإنجليزية.

يتمثل دوره البارز في مجال الصحافة العربية في الهند، حيث تتمتع إنجازاته الصحفية بالإعجاب والاستحسان في الأوساط العلمية والأدبية في داخل البلاد وخارجها. يتولى منصب رئيس التحرير لجريدة "الرائد" نصف الشهرية ورئيس التحرير المشارك لمجلة "البعث الإسلامي" الشهرية الصادرتين عن مؤسسة الصحافة والنشر بدار العلوم لندوة العلماء. وإن الصحافة لديه سلاح قوي في مقاومة الغزو الفكري ومواجهة الباطل وخلق مناخ دعوي وتربوي وإرشادي إلى ما هو الصدق والكذب وما هو الحق والباطل. ويضاهي في مقالاته الصحفية كبار الصحفيين العرب من حيث تقديم المواضيع الساخنة وتحليلها تحليلاً موضوعياً.

بدأ حياته العملية كمترجم ومذيع في إذاعة عموم الهند، نيو دلهي، وبعد عشرين سنةً قدّم استقالةً طوعية من منصبه وانخرط في سلك التدريس في دار العلوم لندوة العلماء، ولا يزال يتولى التدريس فيها أستاذًا للغة العربية وآدابها، ويعيش حياةً

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

حافلةً بالخدمات العلمية والأدبية والصحافية والاجتماعية. وإلى جانب ذلك، يشغل عدة مناصب إدارية وعلمية. وله مشاركات علمية كثيرة في مختلف المناسبات في داخل البلاد وخارجها. وتحظى المكتبة الإسلامية بأعماله الأدبية والعلمية والفكرية، ومن أهم أعماله: أدب الصحوة الإسلامية، الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند، حركة التعليم الإسلامي في الهند وتطور المنهج، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، إلى نظام عالمي جديد، الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، مصادر الأدب العربي، الشيخ أبو الحسن قائدا حكيما، تاريخ الثقافة الإسلامية، من قضايا الفكر الإسلامي- الغزو الفكري، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، وغيرها من الكتب القيمة الأخرى.

حاز الأستاذ واضح الندوي على جائزة الرئيس الهندي، وذلك تقديرا لجهوده الجبارة في مجال خدمة اللغة العربية وآدابها.

يسعى هذا الحوار لاستيعاب مختلف مراحل حياة واضح الندوي التعليمية والعملية والتدريسية. وأتمنى أن يقوم هذا الحوار بإضافة معلومات جديدة عن شخصيته للقراء.

*****

س: أولاً أود أن أعرف كيف بدأتَ مسيرة التعليم الابتدائي؟

ج: تلقيتُ التعليم الابتدائي من أمي الحنون، فكانت تقص عليّ قصصَ الأنبياء والصلحاء، ولهذه القصص دور كبير في تكويني الديني، وبناء شخصيتي الإسلامية، وتعلمتُ قراءة القرآن من الأستاذ أبي بكر الحسني الذي كان درّس في مدرسة فلاح المسلمين بتيندوا في راي بريلي أولاً ثم عمل في إذاعة عموم الهند (دلهي) التابعة لوزارة الإعلام والإذاعة للهند، ثم تتلمذت على والده الشيخ عزيز الرحمن وهو أستاذ شقيقي الأكبر محمد الرابع الحسني الندوي أيضاً. كما قرأت عليه الكتبَ الابتدائية للغة الأردية والفارسية. وبعد إكمال هذه المرحلة قرأتُ الكتب البدائية على الأستاذ جميل، ثم التحقت بالمدرسة الإلهية الواقعة في مدينة راي بريلي، وكان من زملاء الدراسة فيها الأخ مصباح الدين الحسني والأخ مرتضى، وأكملت فيها المرحلة الابتدائية والثانوية. ثم التحقت بدار العلوم لندوة العلماء حيث دخلت في السنة الأولى من العالية فأكملت

مرحلة العالمية ومرحلة الاختصاص في اللغة العربية وآدابها، ثم قضيت فيها سنة كمدرِّس مساعد بجنب دراسة متخصصة في الأدب العربي.

س: إن أسرتك هي أسرة عريقة في العلم والدين والفضل والصلاح. ولقد أنجبت هذه الأسرةُ أعلاماً كباراً ومشايخ نبلاء ومؤلفين وأدباء ورجال فكر ودعوة وإصلاح، فإلى مدى تأثرتَ بالجو العلمي السائد في أسرتك وكيف تأثرتَ به؟

ج: كانت جدتي من جهة الأم مربية حكيمة، تقص علينا قصصَ كبار العلماء والصلحاء في الأسرة وغيرها وتراقب على عاداتنا ونشاطاتنا مراقبة شديدة، وتنبهنا على أخطائنا، وكان بيتها ملاصقاً لبيتي ولذلك كنا تحت مراقبتها كل وقت. وكانت امرأة صالحة عابدة زاهدة، وأديبة شاعرة. وكانت تؤكّد على المحافظة على الصلاة وأدائها في مواعيدها، ولا تقبل أي تكاسل ومداهنة أو عذر في هذا الصدد، بل تؤاخذ على ذلك أشد المؤاخذة. وكانت نساء البيت يشتغلن بالمناجاة تحت إشرافها بصورة جماعية، فكان هذا الجو الديني يلعب دوراً حسناً في تكوين الذوق الديني وينشِّئنا على حياة الصلاح والصدق والعفاف. كما كان يقرأ كتاب "صمصام الإسلام" وهو يشتمل على تاريخ الإسلام ووقائعه، فنطلع بقراءته وسماعه على التاريخ الإسلامي وتترسخ فينا عظمة التاريخ الإسلامي، وبه يتكون فينا الذوق الدعوي والإصلاحي والحركي.

وبعد ما انتقلنا إلى لكناؤ كان يُشرف على تربيتنا وتعليمنا خالي الدكتور عبد العلي الحسني الذي كان جامعاً بين العلوم الدينية والعلوم العصرية. وكان يهتم بتربيتنا ودراستنا غاية الاهتمام. وكنا نذهب إلى دار العلوم لندوة العلماء في الصباح ونقضي فيها وقت الدراسة ثم نرجع إلى بيتنا ولا يسمح لنا بأن نمكث فيها بعد انتهاء الحصص الدراسية، ونقرأ ونطالع تحت إشرافه، وكان ولده محمد الحسني زميلنا في الدراسة وصديقنا فلا يميّز بيننا بل يعتني بي اعتناءه بولده.

س: متى التحقتَ بدار العلوم لندوة العلماء، وكيف تعلمت اللغة العربية. ومن هم الأساتذة البارزون الذين تعلمتَ منهم؟

ج. التحقتُ بدار العلوم لندوة العلماء في عام 1944م قبل ثلاث سنوات من استقلال الهند. وفي ذلك الوقت كان في الصف الذي بدأتُ الدراسةَ فيه أستاذان ندويان أزهريان الشيخ

محبوب الرحمن الندوي الأزهري والشيخ محمد عمران خان الندوي الأزهري، فكانا يتكلّمان باللغة العربية بلهجة عربية خالصة، وتأثرتُ بلهجتهما، ودخل في قلبي حبُ اللغة العربية. وكانا يُصرّان على أن يتكلم كل طالب باللغة العربية. وكانت الدراسة في ذلك الوقت بدون كتاب، بل كانت الدراسة مباشرةً، فكانت هناك فواكه صناعية في الصف. كان الشيخ محبوب الرحمن الأزهري يَخْرُجُ بالطلبة إلى الحديقة ويعرّف الأشياء والفواكه وما يُوجَد في تلك البيئة من الأشياء باللغة العربية، فكنا نتعلم اللغة العربية مباشرةً. وكذلك كان بجوار ندوة العلماء نهر يُعرَف بنهر "غومتي"، فكان يخرج بالطلبة إلى شاطئ النهر، ويعرِّفنا بالماء والسمك والرمل والحجارة والأشجار باللغة العربية. كنا نتعلم هذه الألفاظَ مباشرةً بدون كتاب. فهذا طريق مباشر لتعليم اللغة العربية كان في ذلك الوقت سائرا في ندوة العلماء في المرحلة الابتدائية. وكان هذا المنهج نفسه لخالي الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي أيضاً، فدخل في قلبي حُبُّ اللغة العربية بهذه الطريقة للتعليم.

س: ما هي الأوضاع الاجتماعية التي نشأتَ فيها؟

ج. كان عهد الطفولة عهد الصراع السياسي للحصول على الاستقلال من الحكم الإنجليزي، وكانت الحركات السياسية ناشطة لتحقيق هذا الغرض، وفي مقدمتها المؤتمر الوطني والعصبة الإسلامية، وكان العلماء وفي مقدمتهم المنتسبون إلى دار العلوم ديوبند، يؤيدون المؤتمر الوطني، والمتخرجون من الجامعات العصرية التي كانت تطالب بإنشاء دولة إسلامية، يؤيدون الحركة التي يقودها محمد علي جناح، ولذلك كان الصراع بين العلماء المحافظين وخريجي الجامعات العصرية. وكنت لانتمائي إلى جماعة العلماء والمدارس الإسلامية أشترك في الاجتماعات التي كانت تُعقد من قبل جمعية علماء الهند التي كان يرأسها شيخ الإسلام الشيخ حسين أحمد المدني، والاجتماعات للمؤتمر الوطني كذلك. وقد كان خالي الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني من مستر شدي الشيخ حسين أحمد المدني، وخالي الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي من محبيه ومؤيديه، ولذلك كنت أواجه في بعض المناسبات حملة الكراهية والعداء من قبل المنتسبين إلى العصبة الإسلامية. وقد شكلتُ أنا وبعض أصدقائي جمعية للطلبة مقابل جمعية الطلبة للعصبة الإسلامية، وكنت أعقد الحفلات للدفاع عن القضية

ومعارضة فكرة إنشاء باكستان، والدفاع عن العلماء.

وفي نفس العهد كانت معظم البلدان الإسلامية الأخرى تثور للتحرر من الاستعمار الغربي، وتواجه إجراءات القمع والكبت والاستبداد من نظم الحكم المحتلة، فنشأ في نفسي الامتعاض والاستنكار من الاستعمار الغربي وتصاعد إلى حد الكراهية للغرب، ثم استقلت معظم البلدان التي كانت ترزح تحت نير الاستعمار الغربي البريطاني، إلا الجزائر التي بقيت تحت الاستعمار الفرنسي، واتخذت فرنسا أقسى الإجراءات لإسكات صوت الحرية باختيار وسائل الوحشية والبربرية التي أدت إلى استشهاد مليون شخص، وكان في مقدمتهم العلماء وأصحاب الفكر الإسلامي السليم.

وبعد استقلال بعض البلدان حدثت قضية استيطان اليهود في أرض العرب فلسطين من قبل الانتداب البريطاني، ثم تمهيد الطريق لتحقيق وعد بالفور بإنشاء دولة اليهود في فلسطين في أرض العرب، وحدوث حرب بين اليهود والدول العربية المجاورة لفلسطين وخيانة الحكام العرب في ذلك الوقت إزاء التضحيات التي بذلها المجاهدون المسلمون المنتسبون إلى الإخوان المسلمين.

كان لهذه الأوضاع أثر بالغ في تشكيل ذهني، وكنت أسترشد في ذلك برأي خالي العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي والأساتذة الآخرين.

س: من هي الشخصيات التي تأثرت بها وكيف استفدت منها؟

ج: من الشخصيات التي أثّرت فيّ واستفدتُ منهم شيخ الإسلام الشيخ حسين أحمد المدني الذي كان يخوض المعركة، والعالم الرباني الشيخ عبد القادر الراي فوري وكانا يشرِّفان مدينةَ لكناؤ بالقدوم إليها وكنت أستفيد من مجالسهما، والعلامة أبوالكلام آزاد الذي كان يزور ندوة العلماء وخاصة خلال وجود السيد سليمان الندوي في ندوة العلماء وكنت أقتبس الأفكار منه.

وقد استفدت من عدد من العلماء بصورة غير نظامية وبعض العلماء بصورة نظامية خلال الدراسة المنتظمة. فمن العلماء الذين استفدت منهم بصورة غير نظامية العلامة السيد سليمان الندوي الذي كان مستشاراً تعليمياً لندوة العلماء في عهد دراستي بها، وهو من أخص تلامذة العلامة شبلي النعماني. ومن العلماء الذين استفدت

منهم بصورة نظامية الشيخ حليم عطاء السلوني شيخ الحديث بدار العلوم لندوة العلماء، والشيخ محمد أسباط من تلاميذ الشيخ عين القضاة، والشيخ عبد الحفيظ البلياوي صاحب مصباح اللغات، والشيخ عبد الله عباس الندوي، والشيخ محبوب الرحمن الأزهري، والشيخ محمد عمران خان الندوي الأزهري. ودرست الإنكليزية على الأستاذ عبد السميع الصديقي، والشيخ نور الحسن، والشيخ أحمد الأعظمي، والشيخ محمد إسحاق السنديلوي.

س: متى بدأتَ الوظيفة في إذاعة عموم الهند، وما هي المناصب التي شغلتَها فيها؟

ج: في عام 1953م عُيِّنت أساسياً لقراءة المواد الإذاعية التي كانت يعدها المترجمون العرب في إذاعة عموم الهند، وكان يصعب على بعضهم الحضور شخصياً لقراءتها في ساعة متأخرة في الإذاعة المسائية. ثم عُيِّنت في إدارة البرامج ومساعدة المسؤولين عنها، ثم فُوِّضت إليَّ مسؤولية استماع البرامج العربية من الإذاعات الأجنبية وتقديم ملخص هذه البرامج باللغة الإنجليزية إلى المسؤولين. وفي المرحلة الثالثة عُيِّنتُ مساعد رئيس القسم العربي. وفي المرحلة الرابعة، انتقلت إلى منصب مذيع ومترجم. وكان القسم العربي في ذلك العهد استولى عليه المذيعون المترجمون العرب الذين كانوا منتمين إلى بلدان مختلفة عربية عريقة مثل العراق وسوريا ومصر وفلسطين، وكان فيهم أدباء، وقصصيون، وكان منهم صحافيون فاستفدت من خبرتهم.

س: قضيتَ 20 عاما في القسم العربي لإذاعة عموم الهند، وكتب نذر الحفيظ الندوي في مقدمة الكتاب " إلى نظام عالمي جديد" أن التذوق الأدبي الخاص بك قد تطور خلال عملك في إذاعة عموم الهند، فأطلب منك أن تذكر بقدر من التفصيل كيف أدّت فترةُ عملك في الإذاعة دورا ملموسا في توسيع ثقافتك، وتفجير ملكتك في الصحافة العربية، وتنمية ذوقك الأدبي والتاريخي؟

ج: لما نُقلت إلى منصب المذيع والمترجم وجدت فرصةً للمطالعة والكتابة، وكنت أتردد إلى مكتبة مولانا أبي الكلام آزاد في "راج بهون" وكان مدير هذه المكتبة أحد معارفي، وكان يساعدني في المكتبة، فكنت أنتهز الفرصة بعد أداء المسؤولية الإذاعية وأقضي وقتاً في هذه المكتبة. ففي هذه المدة كانت تُتاح لي فرصة مطالعة الجرائد والمجلات العربية والكتب الفكرية في مكتبة الإذاعة التي كانت تشتمل على كتب

قديمة وكتب جديدة. وكذلك استفدتُ من مكتبة الجامعة الملية الإسلامية، ومكتبة مولانا أبي الكلام آزاد، ومكتبة المدرسة المجاورة للجامع الفتحبوري التي كانت تابعة للمدرسة الإنجليزية. وعلاوة على ذلك، كانت تُتاح لي الفرصة للقاء شخصيات عالمية كانت تزور الإذاعة لإلقاء أحاديث، وكذلك كانت تتاح الفرصة لإجراء مقابلات إذاعية معها، ومنها كانت شخصيات سياسية عالمية من دول العرب. كما استفدت من مكتبة جامعة جواهر لعل نهرو، وكان فيها بعض زملائي كالدكتور منور نينار والدكتور مسعود الرحمن والدكتور محمود الحسن، وأتيحت الفرصة للاستفادة من مكتبتها وتبادل وجهات النظر مع الشخصيات العلمية والفكرية العالمية. وقد استفدت من المذيعين العرب لما أكتبها على آلة الكتابة من أحاديثهم، فهذه المطالعات والقراءات واللقاءات كانت تساعدني في تكوين الفكرة والمعرفة الحديثة والذوق الأدبي والتاريخي، كما توسعت في هذه الفترة ثقافتي الإنجليزية ومعرفتي عن سياسة الغرب وحياتهم الاجتماعية والثقافية.

س: كنتَ تكتب المقالات لجريدة " الرائد " أثناء عملك في الإذاعة، باسم " محمد أبو مسعود الندوي"، ولكن عندما تركتَ الوظيفة في إذاعة عموم الهند، بدأتَ كتابة المقالات باسمك الأصلي. فهل السبب وراء ذلك القيودُ المفروضة على الموظفين الحكوميين من قبل الحكومة أو هناك سبب آخر؟

ج. أما كتابة المقالات في هذه المدة باسم "محمد أبو مسعود الندوي" فكان سببُها السبب الأول الذي ذكرتَه في سؤالك .

س: إنك تركتَ الوظيفة في إذاعة عموم الهند، وفضّلتَ عملية التدريس في دار العلوم على الوظيفة الحكومية مع أن هذه الوظيفة تدر مالا كثيرا، ما هو السبب الرئيس وراء تقديم استقالة؟

ج: السبب الرئيسي هو امتعاضي من الجو المادي الجامح في الإذاعة، والتأثر الشخصي بالشيوخ الكبار أمثال الشيخ عبد القادر الرائيبوري والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والشيخ محمد يوسف الكاندهلوي والشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي. فقد كنت أزور في ذلك الوقت مركز نظام الدين وسهارنبور ورائيبور لقضاء وقت في صحبة هؤلاء المشايخ والعلماء الربانيين لتزكية النفس وتحصينها من مفاسد الجو

المادي وشروره. كما أتردد إلى مركز الجماعة الإسلامية التي كان رئيسها في ذلك الوقت الشيخ أبو الليث الإصلاحي الذي درس في دار العلوم لندوة العلماء وكانت له صلة بمسئوليها. وكذلك كان خالي الشيخ أبو الحسن الندوي أحياناً يزور دلهي ويوصيني بالاستفادة من هؤلاء العلماء، فأعادت صلتي بالعلماء عاطفة دينية كامنة في نفسي وغلبتْ هذه العاطفةُ على الجوانب المادية وقبلت هذه البيئة الدينية عندما أتيحت لي الفرصة لقضاء فترة في دار العلوم لندوة العلماء في غياب أخي الأكبر الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي لأداء الحج، وأُسند إليَّ تدريس المواد التي كان يدرِّسها. وفي هذه المدة، وجدتُ بيئةً صالحةً في ندوة العلماء واستشرت الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي فأمرني بترك الإذاعة والانتقال إلى جو ديني، وقبلتُ هذا الأمر بدون استشارة أحد، وقدَّمتُ الاستقالة، فأثارت الاستقالةُ قضيةً في الإذاعة، ولم تقبل إلا بعد أشهر، لأن المسؤولين كانوا استغربوا لهذا الأمر، فقاموا بتحقيق لمعرفة خلفيات الاستقالة ولم يقبلوا إلا بعد أن صرحت لهم شخصياً أني قد اتخذت هذا الإجراء إيثاراً وتضحية لا لمنفعة مادية.

س: ما هي المناصب التي شغلتَها في دار العلوم لندوة العلماء؟

ج: أولاً أُسند إلي تدريس المواد الأدبية، ثم شغلت منصب مدير المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي الذي أنشأه سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، ثم عميد كلية اللغة العربية وآدابها، وأخيراً رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء.

س: تشغلُ منصبَ رئاسة الشؤون التعليمية لندوة العلماء، فهل أنت تشعر بأن هناك حاجة ملحة إلى إدخال إصلاحات وتعديلات في المقررات الدراسية القائمة منذ تأسيس ندوة العلماء؟

ج: لاشك في ذلك، وقد أدخلت بعد التحاقي بهذه الدار عدة مواد دراسية لم تكن من المقررات الدراسية التعليمية التقليدية، لكنها من المقررات الدراسية في الجامعات العصرية، كالأدب العربي الحديث، والفكر الإسلامي، والغزو الفكري، والنقد الأدبي، وعلم الاجتماع، وعلم النفس في المراحل الأخيرة بتأييد سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي وشقيقي الأكبر الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي، وهذا من اختصاص ندوة العلماء بالنسبة إلى المدارس الدينية. وأما المواد الدينية فلا تقل

في حجمها عن المدارس الدينية، ويشعر المسؤولون عن الإدارة بضرورة إدخال المواد الجديدة. وأما المواد العصرية الشائعة في المدارس العلمانية فهي مسئلة تحت البحث والدراسة، وعُقدت عدةُ مؤتمرات لدراسة هذا الموضوع ومنهج تطبيق الجمع بين الموضوعين، وأخيراً قد فُتح قسم جديد لدراسة اللغة الإنجليزية.

س: تحظى مقالاتك تحت" صور وأوضاع " بشعبية أكبر، ويقرأها كل من له شغف بالأوضاع الراهنة، لما فيها من تحليل الأوضاع الراهنة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وتعالج فيها الأفكار الغربية، وفلسفتها المادية دراسة وتحليلا. فما هي الأمور التي تميّز أسلوبَك وكتاباتك عن أساليب الآخرين وكتاباتهم، هل السبب وراء ذلك هو قدرتك الفائقة على اللغة الإنجليزية حيث تقرأ الجرائد والصحف والمجلات وتطالع الكتب الإنجليزية وتستفيد منها مباشرة؟

ج: أنا أحاول دائماً أن أقدم فكرة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي والفكر الإسلامي الحديث، ثم أستفيد من مطالعة الصحف والجرائد والمجلات العربية والإنجليزية والمعالجات للقضايا الإسلامية وأوضاع المسلمين في العالم كله. وقد استفدت من الكتب الإنجليزية للمفكرين كالسيدة مريم جميلة والدكتور محمد أسد وغيرهما بسبب معرفتي للغة الإنجليزية فاستفدت منها مباشرة. وأحاول أن أستخدم لغة صحفية، وأتابع الأسلوب التحليلي الحديث وذلك من توفيق اللّٰه وفضله على هذا العبد الفقير، وأما رأي القراء فهو يقوم على حسن الظن وأنا لا أستحق ذلك.

س: هذه حقيقة أن دار العلوم لندوة العلماء أنجبت العديد من الصحفيين، لكن في القرن الحادي والعشرين، يبدو أن الجو التعليمي في دار العلوم قد فشل في إنجاب صحفيين، وفي تربية الجيل الجديد في مجال الصحافة؟ بينما تتقدم المدارس الأخرى نحو الأمام في هذا المجال؟.

ج: لاشك في ذلك، فقد تغير الجو في المدارس الإسلامية، وقد بدأت المؤسسات الدينية الإسلامية الجديدة تصدر مجلات عربية، وذلك بفضل الاستفادة من المدارس العربية في البلدان العربية كمصر والسعودية، والاستفادة من زيارة العلماء والمدرسين من البلدان العربية. وأما ندوة العلماء ففيها قسم خاص للصحافة وهي تواصل جهدها في هذا المجال، وقد أصبحت مجلة "البعث الإسلامي" التي يرأسها الدكتور سعيد الأعظمي

الندوي والتي أنشأها المرحوم محمد الحسني، مدرسة بنفسها، وأعتقد أن هذه المجلة لها مستوى رفيع وتشتمل على بحوث وتحقيقات يكتبها دارسو الجامعات العصرية والمدارس العربية، ولها دور في خدمة اللغة العربية والدعوة الإسلامية في الهند، ويستفيد منها الناس في المدارس الإسلامية والعربية. وأما صحيفة "الرائد" فهي وصلة بين الصحافة الهندية والصحافة العربية، وقد تخرج من مدرسة الرائد عدد من الصحفيين يقدِّمون خدماتهم في هذا المجال.

س: كيف تنظر إلى فن الصحافة؟ وما هي الفروق الواضحة التي تلاحظها بين الصحافة في الماضي والصحافة في الحاضر؟.

ج: إن وجود وسائل الإعلام الحديث والتواصل الاجتماعي قد قلل من أهمية الصحف لأن وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي تحمل مفاجأة، والصحف تستغرق أربع ساعة، فالناس يستفيدون من وسائل الإعلام الحديث، ولكن الصحافة لم تفقد أهميتها، لأنها تبقى محفوظة وتصبح مرجعاً للمواد التاريخية وتبقى إفاديتها في المستقبل.

س: ما رأيك في رفع مكانة الصحافة العربية؟

ج: لابد من رفع مكانة الصحافة العربية من التحرر من استيلاء الإعلام الغربي وإيجاد مصادر حرة لانتقاء الأخبار وبثها، وإيجاد الشعور الإسلامي في الصحافة العربية وتوفير الوسائل المادية التي تفتقر إليها، وتمثيل المشاعر الإسلامية.

س: أخيراً ألتمس منك أن تتقدم بكلمات لخريجي المدارس الدينية الذين يلتحقون بالجامعات العصرية بهدف مواصلة الدراسات العليا، تمهّد الطريق إلى مستقبلهم المشرق ونجاحهم في الدنيا والآخرة، وذلك في ضوء تجاربك من الحياة؟.

ج: النصيحة الأولى المخلصة أن يحتفظ خريجو المدارس الدينية الدارسون في الجامعات العصرية بشخصيتهم الدينية وميزتهم الإسلامية، ولا يتطرق إليهم مركب النقص بالنسبة إلى عهدهم الماضي، وأن يصبحوا دعاةً يستفيدون من العلوم الجديدة لخدمة وطنهم وأمتهم.

في النهاية، أتقدم بكلمات الشكر والامتنان إليك على منح هذه الفرصة السعيدة لإجراء هذا الحوار المفعم بالمعلومات القيمة عن جوانب مختلفة من حياتك، والآراء المفيدة.

حوارات

حوار مع الأديبة د. سناء الشعلان (شمس الأدب العربيّ)

حاورتها: خولة خمري *
Email: khaoula.khamri@hotmail.com

معنا في هذا الحوار الكاتبة المتميزة "شمس الأدب العربي" و" أيقونة الأدب العربيّ" الأديبة الأردنية الفلسطينية الأصل الحائزة على نحو 63 جائزة في مجال الأدب والنّقد والبحث العلميّ، فضلاً عن أنّ لها نحو 45 مؤلّفاً بين مؤلف روائيّ وقصصيّ ومسرحيّ ونقديّ وأدب أطفال، إلى جانب مئات الأبحاث والدّراسات والمقالات المنشورة في مجلات محكّمة عالميّة وعربيّة ومحلية وعشرات الصّحف والمجلات الأدبية والنّقديّة المتخصصة.

*****

س: بداية، كيف تقدّمين نفسكِ للمتابعين لأدبكِ؟ وخلاصة ما عايشته خاصّة أنك فلسطينيّة؟

ج: أنا أنزع دائماً إلى تقديمي نفسي عبر منجزي الإبداعيّ والنقّدي والإعلاميّ والأكاديميّ والإنسانيّ، ولا أرى نفسي وقلمي وتاريخي خارج قضيتي الفلسطينيّة التي تشغل منجزي. ولذلك لا يمكن أن أقدّم نفسي إلاّ بكوني كاتبة من كتّاب الجيل الجديد من كتّاب المقاومة الفلسطينيّة، وروّاد الثورة على الفساد والمفسدين.

س: يقال إنّ المعاناة تخلق العظماء وتصنعهم، كيف ترى سناء الشعلان ذلك؟

ج: لا أرى ذلك، ولا أذهب إلى ما تذهب إليه؛ فهذه مقولة صنعها لنا الظّالمون والأوغاد والفاسدون ليجعلوننا نقتنع بالفوائد المزعومة للمعاناة والحرمان والظّلم، ونستكين لحيواتنا التّعيسة، في حين يتمتّعون هم بالحياة والسّعادة والملذّات؛ الحقيقة أنّ المعاناة تسرق المبدع من إبداعه، كما تسرق الإنسان من إنسانيته؛ فكم مبدع هجر إبداعه

* إعلامية جزائرية، وباحثة في قضايا التعددية الثقافية والتعايش بين الأديان.

بسبب معاناته وقسوة حياته! وكم من إنسان غادر إنسانيته، وتوحّش، واقترف أشنع الجرائم وأبشعها بسبب الظّلم الذي تعرّض له.

س: تواجه المرأة المبدعة – في الغالب -الكثير من التّحدّيات، ما أبرز التّحديات التي تواجهكِ؟ وكيف تعملينَ على تجاوزها لتحقيق التّوازن في حياتكِ؟

ج: لا أعتقد أنّ التّحدّيات التي أواجهها أو واجهتُها كانت بسبب أنّني امرأة، ولكنّني أعتقد بأنّها بسبب أفكاري ومبادئي والتزامي بما يمليه ضميري عليه، وبما أنا متقنعة به من أعماق وجداني من قيم الأخلاق والمساواة والعدالة والحرّية، وهي قيم لا يؤثر في أصالته وجودها في أعماق مبدع حقيقة أنّه ذكر أو أنثى، المهم وجودها في ذاته.

س: لكلّ كاتب قضية يحملها بداخله. ترى ما هي قضية سناء الشعلان ؟ وكيف تعمل على تجسيدها؟

ج: العدالة والحريّة والخير والجمال هي القضايا التي أؤمن بها، وأعيش لها، وأكتب لها، وقضيتي الفلسطينيّة العادلة هي تجسيد لهذه القيم جميعها، وأخال أنّها قضيّة الإنسانيّة كاملة؛ فهي أيقونة الضمّير الإنسانيّ في العصر الحديث.

س: كيف تقرأ سناء الشعلان التّحول الرّهيب على مستوى القضية الفلسطينيّة من ناحية التّداول السّياسيّ لبعض الحكومات العربيّة ؟

ج: لطالما كان هناك خونة للأهل والقوم والأمّة، وأولئك لم يغيّروا من عدالة القضايا، ولا منعوا اللّه من أن يتمّ نوره. وخلاصة القول إنّ خيانة من خان، وتخاذل من تخاذل، وضَعْفُ من ضعف، لن تغيّر جميعها من عدالة القضيّة الفلسطينيّة، ولن توقف عجلة الثّورة والمقاومة حتى النّصر.

س: السّاحة الثّقافية العربيّة تشهد تهافتاً كبيراً على ما تقدمينه من إبداعات أدبيّة، كيف تفسرينَ ذلكَ لاسيما في ظلّ الأوضاع الرّاهنة التي تمرّ الأمة بها؟

ج: قالت العرب: البضاعة الجيّدة تعلن عن نفسها، والسّوق هو الحكم، ولذلك من الطّبيعيّ أن يعيش الأدب المبدع، وأن يستمرّ، وأن ينتشر، وأن يخلد في النّهاية، في إزاء حتميّة أن يموت الهراء والعمل القبيح في الظّل دون أن يأبه به الجمهور أو التّاريخ أو الخلود.

س: كتاباتكِ تتميز بالرّومانسيّة الطّافحة والمشاعر الجياشة، كما تتميّز بالتّمرّد والسّخريّة والتحدّي والإصرار وحبّ العدالة والحرّيّة، ما مدى وجود هذا في شخصية سناء؟

ج: أنا موجودة تماماً في إبداعي من حيث القيم والأفكار، لا من حيث الأحداث وتاريخ الشّخوص. وعندما يحضّر الحبّ والتّمرّد والسّخريّة والتّحدّي والإصرار وحبّ العدالة والحرّية أحضر أنا. أعتقد أنّ الإبداع الحقيقيّ يتقطّر من وجدان المبدع وفكره ورؤيته لذاته وللآخر وللكون ولحقائقه.

س: لقد زرتِ الهند أكثر من مرّة. فماذا تركت هذه الزّيارات في قلمك وتجربتك العلميّة والإنسانيّة؟

ج: من النّاحيّة العلميّة والإنسانيّة والخبراتيّة فقد انفتحتُ على حضارة غنيّة وعملاقة وجذورها ضاربة في عمق التّاريخ الإنسانيّ. وقد أُتيح لي أن أقابل قامات علميّة سامقة، وأن أستفيد من علمها وتجاربها وأفكارها. وأمّا من النّاحية الإبداعيّة، فقد تأثّرتُ بالكثير من تفاصيل الهند، وهذا التّأثّر وصل إلى حدّ أنّ الهند حضرت في روايتي الجديدة التي ستصدر في القريب.

س: قديماً، لاسيما بعد نكسة حزيران ، كان للكاتب دور كبير في تفعيل الحراك السّياسيّ، بماذا تفسرين التّراجع الرّهيب لدور المثقف في الحراك السياسيّ العربي اليوم؟

ج: في زمان الخراب والضّعف والتّراجع والتّخلّف والهزيمة والخيانة يتراجع كلّ جميل وحقيقيّ، ويتصدّر الموقف كلُّ شيء رديء ومزيّف، ولذلك من الطّبيعيّ أن يُقرّب الفاسدون والرّويبضة وأهل الهوى والفساد. في حين يُصمّت العلماء والمصلحون وأهل الرّأي والمشورة بالجبر، بل ويُطاردون، ويشرّدون في الأرض، ويُفتك بهم شرّ فتك، وهذا من نراه في الوقت الحاضر، ويفسّر سبب صمت النّخب العربيّة، وثرثرة الحمقى والمغفلين والخونة والأدعياء.

س: سناء، تتميزيّن بجمال أخّاذ وبسحر كبير، ما شاء الله، ما مدى تأثير ذلك في تقبّل الجمهور لأدبكِ وتهافته عليه؟

ج: لا شكّ أنّ الجمال هو بوّابة القبول والرّضا والودّ، وهو نعمة من اللّه تعالى أشكره عليها كما أشكره على سائر نعمه. وعندما يقترن الجمالُ بالإبداع والإنسانيّة يغدو مؤثراً وجامحاً، ولا أعرف مدى تأثير جمالي في قرّائي لا سيما الرّجال منهم، ولكن لا بدّ أنّه يقدّمني لهم بعين الرّضا والقبول والاهتمام، ولعلّه يثني على تجربتي الإبداعيّة، ويزيدها جمالاً من منطلق الجمال الدّاخليّ والخارجيّ للمبدع.

س: القرّاء يحبّون دوماً معرفة الحياة الخاصّة لمن يقرؤون لهم، فهل تعشق سناء الشعلان؟ وما هي مواصفات فارس أحلام سناء؟ وما هي تفاصيل حياتها الخاصّة، وهل هي متزوّجة أم لا؟ وهل عندها أطفال؟ وكم عددهم؟

ج: على الرّغم من تحفّظي على الحديث عن حياتي الخاصّة، إلاّ أنّني أقول إنّني أعيش حياة اعتياديّة على المستوى الشّخصيّ، وأعيش العشق بتفاصيله العملاقة التي هي أكبر من مجرّد رجل وامرأة، ولم أتزوّج في حياتي، وبذلك ليس عندي أطفال. ورجل أحلامي هو رجل حقيقيّ بكلّ ما في ذلك من حنان وعطاء وتعاظم على الصّغائر ووجدان حي وضمير دائم الاستيقاظ وكرم الرّوح واليدين والفكر.

س: ماذا علّمتكَ حرفة القلم والإبداع؟

ج: علّمتني أنّ القلم الذي لا يكتب بالحقّ وللحقّ يستحقّ أن يكُسر، وأنّ اللّه ذكر القلم في محكم تنزيله لأنّه صوت الحقيقة والعدالة، ويجب أن يكون كذلك.

س: أنتِ أكاديميّة. فماذا تقدّم الأكاديميّة للمبدع؟

ج: الفكر الأكاديميّ بما ينطوي عليه من بحث عن الحقيقة، هو يقدّم للمبدع الجدّية والصّرامة والحزم والوضوح والعدالة، ولكن الأجواء الأكاديميّة في عوالمنا المتخلّفة تحارب الإبداع، وتقزّمه، وتسعى جاهدة كي تحوّل المبدع إلى صورة من صورها المتخلّفة الرّجعيّة.

س: هل الكِتابة راحة وأمن وسلام مع الذات والمجتمع؟

ج: هي على نقيض ذلك تماماً؛ هي قلق وصدام مع الذّات والمجتمع والآخر عندما تكون مخلصة للحقيقة والصّدق.

وفي الختام، أشكرك سيدتي على منح هذه الفرصة لإجراء هذا الحوار مع حضرتك رغم انشغالاتك الشديدة.

تقرير عن الندوة

"الملتقى التنسيقي لرؤساء أقسام اللغة العربية"

إعداد: أ.د. مسعود عالم الفلاحي *
Email: masoodfalahi@gmail.com

قرر مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية عقد "الملتقى التنسيقي لعمداء كليات اللغة العربية ورؤساء أقسامها في السعودية والهند" وذلك لمدة خمسة أيام خلال الفترة ما بين 12-16 أكتوبر 2018م. وجّه مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الدعوة إلى عمداء كليات اللغة العربية ورؤساء أقسامها في الهند لحضورهم الملتقى الدولي، فتلقينا الدعوة مستبشرين ومبتهجين للغاية حيث اننا دُعينا إلى البلد الذي هو محط أنظار المسلمين ومهبط الوحي، ويعتبر كل مسلم زيارة هذا البلد سعادة ليس فوقها سعادة لأن أرض الحجاز هي مسقط رأس نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ومنبع العلم والنور. فقال شاعر وهو يصف شدة حنين المسلمين إلى زيارة أرض الحجاز:

بأكناف الحجاز هوًى دفينٌ يؤرقني إذا هدت العيون
أحِنُّ إلى الحجاز وساكنيه حنين الإلف فارقه القرين

وأما الغرض لهذه الرحلة الأكاديمية فهو سام جدا لأنه يتعلق بخدمة اللغة العربية، وهي لغة تتميز بخصائص وميزات لا يوجد لها نظير ومن أهمها أن الله سبحانه وتعالى اختارها كلغة الكتاب السماوي الأخير الذي فيه هداية للناس أجمعين.

وصدق الشاعر السعودي المعاصر عبد الرحمن العشماوي عندما قال:

لغة الوفاءِ شريفةٌ كلماتُهـــــا فيها عن الحبِّ الأصيلِ بَيـانُ
يسمو بها صدقُ الشعور إلى الذُّرا ويزُفُّ عِطْرَ حروفها الوجدانُ
لغةٌ تَرَقْرَقَ في النفوس جمالُهــا وتألَّقتْ بجلالها الأَذهـــــانُ

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خواجة معين الدين الجشتي الأردية والعربية والفارسية، لكناؤ، أترا براديش، الهند.

وقد زادني سرورا وبهجة أن هذا السفر المبارك كان من المقرر أن يتم بمعية كوكبة علمية ورموز الأدب العربي في الهند، بمن فيهم أساتذتي وخلاني ورفاقي. عندما وصلنا إلى أرض الحجاز، نزلنا بفندق "طيبة ميلينيوم". توجهنا صباح اليوم التالي إلى صالة الملتقى، حيث وجدنا رجال التنظيم في مركز الملك عبد الله الدولي وأساتذة الأدب العربي في السعودية ينتظروننا بفارغ الصبر والتوق، وقد علت وجوهَهم علائمُ الفرح والسرور، وتهللت وجوههم بشرا، وكانوا يزينهم الوقار والعلم والخلق، كما قال ابن دريد:

"لَهُم المَهَابَةُ والجَلَالَةُ والنُّهَى وفَضَائِلُ جَلَّتْ عَنِ الإِحْصَاءِ"

فاستقبلونا أحسن استقبال ورحّبوا بنا ترحيبا حجازيا معروفا، ملؤه الصفاء والوفاء والمودة والخلوص والأريحية، وقد أعجبنا جدا بحسن الإدارة والتنظيم، كل شيء في موضعه، وكانت فقرات الملتقى ومحاوره مطبوعة، فعلم كل مشارك نصيبه من العمل والوقت المتاح. وأما الإقامة والطعام وأنواع التسهيلات المتاحة فهي أمر لا يُوصف، بل الأمر كما قال ابن الرومي الشاعر العباسي:

"لكلّ نزيل قد أعدَّ عتاده فللضيف ترحيب ومَثْوًى مكرمُ"

جلسات الملتقى:

جرى الملتقى العلمي لليومين المتتاليين، بدءً من صباح السبت 13 أكتوبر إلى مساء الإثنين 14 أكتوبر 2018م.

في اليوم الأول، السبت، عُقدت جلستان، وبدأت فعاليات الجلسة الأولى في الساعة الثامنة والنصف صباحا بعنوان "الهند في خدمة اللغة العربية: التاريخ والامتداد" وذلك برئاسة الدكتور نايف بن سعد البراق، تحدث فيها كل من أ. د. ثناء الله الندوي وأ. د. أشفاق أحمد وأ. د. مسعود عالم الفلاحي راقم السطور، ود. محمود حافظ عبد الرب وأ. د. محمد إشارت ملا وأ. د. منظور أحمد خان وأ. د. عائشة رئيس كمال ود.جمشيد أحمد، وتناول الجميع مختلف الموضوعات ذات الصلة بمحور الجلسة.

وتلتها الجلسة الثانية وهي حلقة نقاش بعنوان "إنجازات المركز ومستقبل أعماله في الهند"، وترأس هذه الجلسة الدكتور عبد الله بن صالح الوشمي، وشارك

فيها كل من أ. د. محمد نعمان خان ود. محمد المباركي، واستمرت هذه الجلسة حتى الساعة الثانية عشرة.

ومن حسن التنظيم أن إدارة الملتقى قد قررت مسبقا للضيوف، برنامج الزيارة المتكاملة لما في المدينة المنورة من معالم إسلامية رائعة، فخرجنا مع بعض رجال الإدارة بعد صلاة العصر لزيارة معرض الحرمين الشريفين ومعرض القرآن الكريم. وبعد صلاة المغرب زُرنا قسم المخطوطات بالمسجد النبوي. وأما زيارة الروضة الشريفة والصلاة فيها التي كنا نتلهف إليها بشوق كبير، وكان داعي الشوق يمرح في قلوبنا من الهند فقد تحققت بعد صلاة العشاء، فقمنا أمامها بغاية من الأدب والاحترام وقدمنا هدية الصلاة والسلام على رسولنا إمام الأنبياء، وخيم علينا الهدوء والوقار لعظمة صاحب الروضة الذي بعث رحمة للعالمين.

و في اليوم الثاني، الأحد، انعقدت جلستان: فالجلسة الأولى عُقدت بعنوان "الهند والعالم العربي: الاقتراض والمثاقفة" وترأسها د. عبد الرحمن بن محمد السلمي. وكان من المتحدثين في هذه الجلسة كل من أ. د. ولي أختر ود. نعيم الحسن الأثري، وأ.د. حبيب الله خان وأ. د. محمد أيوب وأ.د. محي الدين كوتي وأ. د. رضوان الرحمن وأ. د. محمد إقبال حسين ود. السيد عليم أشرف وأ. د. مجيب الرحمن.

وتلتها حلقة نقاش حول موضوع "الجامعات السعودية والهندية: إمكانات العمل المشترك والتبادل المعرفي"، تحت رئاسة د. سعد بن محمد القحطاني، وتحدث فيها كل من د. أمين الشنقيطي ود. حسن بن عبد الحميد بخاري وأ. د. محمد ثناء الله الندوي وأ.د.محمد أيوب.

وكان من المقرر أن نقوم في المساء بجولة بالباص، فقمنا بزيارة النادي الأدبي بعد صلاة المغرب.

وفي اليوم الثالث، الإثنين، كان لنا أن نزور مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وتوجهنا بعد صلاة الظهر إلى زيارة سمو أمير منطقة المدينة المنورة.

وفي يوم الثلاثاء، وهو يوم المغادرة، شعرنا بفرح وحبور، لأن الحنين إلى الوطن أمر طبيعي، وقد تغنى به الشعراء قديما وحديثا، ولكن فراق المدينة أشد على مؤمن

من فراق وطنه، فألقينا نظرة حب وشوق إلى المدينة المنورة وربوعها المباركة وأوديتها السهلة وجبالها الشامخة التي فيها وعليها ظهرت معجزات النبوة المحمدية، وفكرنا كيف خرج صوت خافت من هذه المدينة، فعَمّ الكون كله، هذه هي المدينة التي كثرت أفضالها على البشرية وغزرت عطاياها على الكون، وأدهشت معجزاتها العقول الإنسانية، أجل! هذه هي المدينة التي اضطررنا إلى مغادرتها ولكن هذا الفراق كان جسديا ليس روحيا، فحب المدينة يخالط الروح، ويترسخ في القلب، ويجري فينا مجرى الدم، وصلوات الله وسلامه على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

نشاطات أخرى:

قمنا إلى جانب فعاليات الملتقى بأمور دينية وسياحية أيضا، بكل شوق ورغبة، منها زيارات لجبل أحد التاريخي الشهير المبارك، والمساجد التاريخية الأثرية والأماكن التاريخية في المدينة وضواحيها، ورافقنا في هذه الجولات السياحية دليل أهلي كانت لديه معلومات ضخمة عن الأماكن تاريخا وفضلا.

بالمناسبة لقد أنعم الله علينا بزيارة مكة المكرمة وبيته العتيق، فقمنا بأداء العمرة. وقد مكثنا هناك مع إخواني ورفاقي وأساتذتي أ.د. ولي أختر ود. نعيم الحسن الأثري وأ. د. محمد أيوب وأ. د. رضوان الرحمن وأ. د. منظور أحمد خان، وأ. د. أشفاق أحمد لأربعة أيام، قمنا خلالها بزيارة الأماكن التاريخية، مثل جبل الرحمة، وغار حراء، وجبل ثور، وغيرها من الأماكن التاريخية الأخرى.

قد مرت هذه الرحلة كطيف يسير، وبدت كأننا في حلم لذيذ، وأبعدنا عن لذته مشاغل الحياة ومتاعبها، وجعل الخيالُ يناجي الشاعر السعودي عبد الرحمن العشماوي ويسأله أن ينشدنا قصيدته الرائعة: مأرز الإيمان، لنجدد ذكرى المدينة، ونبقيها في ذاكرتنا للأبد، ومن كرم الشاعر العربي الأصيل أنه بدأ ينشد بصوت رخيم قصيدته، التي جاء فيها:

هل أنت في حلم يمر سريعا ... لما دعاك إليه جئت مطيعـــا
هذي أمامك طيبة ورحابها ... قد بوركت في العالمين ربوعا
هذي المدينة قد تألق فوقها ... تاج يرصع بالهدى ترصيعـــا
هذي سقيفتها تلوح أمامنا ... فنرى بها شمل الرجال جميعا

هي مأرز الإيمان في الزمن الذي يشكو بناء المكرمات صدوعا
هذا قباء، أما رأيت البـــدر في ساحاته لما استتم طلوعـــا
أو ما تشاهد روضة من جنـــة مخضرة أو ما تحس خشوعـــا
أو ما ترى جذع اليقين قد ازدهى وامتد عبر الكائنات فروعـــا
أو ما تشم المسك في أرجائهـــا أوما تشاهد خندقا و بقيعـــا
مالي أراك وقفت وحدك جامدا ما بال عينك لا تفيض دموعـــا
هذا هو الوادي المبارك لم يزل في الحب في زمن الجفاف ربيعا
هذا هو الجبل الأشم كـــأنه يصغي ليسمع شعرك المطبوعا
أحد يحب رسولنا ونحبـــه مازال رمزا للوفاء بديعـــا
ما أنت في حلم فهذي طيبـة قد أوقدت للتائهين شموعـــا

لاشك أن هذه الرحلة كانت علمية مفيدة وممتعة للغاية. فقد بالغ القائمون على الملتقى في الإكرام وحسن الضيافة، مما ترك آثارا طيبة في نفوسنا حملناها إلى بلادنا العزيزة. لقد أثبتوا بحسن صنيعهم أن العرب هم العرب، عرب المروءة والكرم، وعرب الأريحية والجود والسخاء، وعرب الصدق والوفاء، وعرب الوقار والسكينة، وعرب الثقافة والأصالة، وعرب السلام والوئام، وعرب الإيمان والإسلام، جزاهم الله خير الجزاء وجعل ما يقدِّمونه للعلم والأدب من خدمات جليلة، في ميزان حسناتهم يوم القيامة آمين يا رب العالمين.

تقرير عن المحاضرة

"وضع التعليم العالي بالعراق في مرحلة ما بعد داعش"

إعداد: محمد فهيم*

ألقى معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي لجمهورية العراق الدكتور عبد الرزاق الجليل عيسى محاضرة حول "وضع التعليم العالي بالعراق في مرحلة ما بعد داعش"، نظّمها مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي وذلك في الخامس من شهر أكتوبر عام 2018م.

بدأت الحفلة بتقديم تعريف موجز عن المحاضر ومؤهلاته العلمية والسياسية من قبل رئيس المركز الحالي البروفيسور بشير أحمد الجمالي. سلّط البروفيسور رضوان الرحمن ضوء مستفيضا على مجلة "الدراسات العربية" المحكمة التي يصدرها مركز الدراسات العربية والإفريقية منذ السنوات الخمس الماضية بدون انقطاع، بحيث تم تدشين العدد الخامس من المجلة على يد الضيف العربي الكريم بحضور الأساتذة والطلاب بعدد كبير.

أول ما قدّم المحاضر هو تعريف الجامعات العراقية الواقعة في أنحاء البلاد وتاريخها وعددها. ثم سلّط الضوء على كيفية دخول تنظيم داعش في العراق وماخلف وراءه من الدمار والخراب والخسائر في الأرواح والأضرار بالممتلكات. وأشار إلى المحافظات التي سقطت في أيدي داعش وتحررت منها فيما بعد. كما قدّم إحصائيات الجامعات من حيث عددها وعدد المراكز والأقسام التابعة لهذه الجامعات، بالإضافة إلى عدد الطلاب قبل تنظيم داعش وما بعدها، وكيف انخفض عدد الطلاب في الجامعات فجأة بعد حزيران 2014م، وكيف فازت الحكومة العراقية الآن في إعادة إعمار الجامعات إلى حد كبير، حيث تستمر المحاولة إعادة إعمارها. خلال المحاضرة، أكّد الدكتور على عدم خلاف بين السنة والشيعة في الشعب العراقي خاصة بين الوزراء والمثقفين والموظفين والأكاديميين.

قدّم رئيس المركز الأستاذ بشير أحمد الجمالي عدة مقترحات أمام الوزير حول تبادل بعثات الطلاب من البلدين. وفي الأخير، قدّم البروفيسور مجيب الرحمن كلمة الشكر والتقدير للضيوف الكرام والحضور الرزينين.

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند.

تقرير عن الندوة

"أدب الأطفال"

إعداد: غياث الإسلام الصديقي الندوي *

عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية ندوتها الثامنة والثلاثين حول موضوع "أدب الأطفال" في جامعة الفيصل ببلدة تاجبور في مقاطعة بجنور بولاية أترابراديش، وذلك خلال الفترة 3-4 من شهر نوفمبر عام 2018م.

انعقدت الجلسة الافتتاحية برئاسة فضيلة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي، نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية، مدير دارالعلوم لندوة العلماء. ألقى فيها الأستاذ إقبال أحمد الغازيبوري الندوي كلمة سماحة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية والدول الشرقية، نيابة عنه. ثمّ قدم فضيلة الأستاذ نذر الحفيظ الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء، تقريرا سنويا للأمين العام لرابطة الأدب الإسلامي العالمية فضيلة الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، نيابة عنه. وتقدّم الشيخ سراج الدين الندوي رئيس جامعة الفيصل المضيفة بكلمة ترحيبية، عقب تعريف موجز بالجامعة ونشاطات علمية ودعوية وخيرية وأكاديمية فيها. كما قدّم كلمة الوفود عديد من ممثّلي المراكز العلمية.

تمّ عقدت أربع جلسات أكاديمية ترأسها البروفيسور أنيس الجشتي بونه، ولاية مهاراشترا، والشيخ محمد خالد الندوي الغازيفوري أستاذ الحديث الشريف بدارالعلوم لندوة العلماء، والبروفيسور شاه رشاد عثماني رئيس قسم اللغة الأوردية، كلية أنجمن الجامعية، بهتكل، ولاية كرناتكا، والبروفيسور شفيق أحمد خان الندوي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها سابقاً بالجامعة الملية الإسلامية، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي، فرع نيودلهي على التوالي. قُدمت فيها حوالي ثمانين مقالة باللغتين العربية والأوردية حول أدب الأطفال، تناوله الأساتذة والباحثون بالعرض والنقد والتحليل، وناقشوا أهميته وضرورته عبر العصور ولا سيما في العصر الراهن. كما أحاطوا

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، الهند.

بجوانبه المختلفة ومزاياه المتنوعة، بالإضافة إلى إلقاء ضوء على إسهام شخصيات بارزة في هذا المجال. وشدّدوا على مراعاة مستويات الطفولة في إعداد كتب الأطفال والمقررات الدراسية لهم، وتوظيف التكنولوجيا الحديثة في العرض وممارسة التدريبات الخاصة بها.

وعلى هامش الندوة، انعقدت حفلة عامة حول الرسالة الإنسانية، حضرها عدد كبير من الهندوس الواردين من القرى المجاورة. خاطب فيها عديد من المفكرين المسلمين والهندوس ولفتوا أنظار الناس إلى تكريم بني آدم والانسجام الطائفي والتفاهم المتبادل، وذلك برئاسة الشيخ بلال عبدالحي الحسني الندوي نائب رئيس حركة الرسالة الإنسانية، الذي حثّ الجماهير على خلق بيئة التفاهم بين أبناء الديانات المختلقة المتواجدة في أرجاء الهند، ونبّههم من عواقب وخيمة للعنف الطائفي والتطرف المذهبي، ودعاهم إلى التمسك بالأسس الإنسانية والقيم الخلقية النبيلة التي تؤدّي إلى الأمن والسلام في المجتمع.

انعقدت الجلستان الرابعة والاختتامية للندوة برئاسة البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي، وألقى الدكتور محمد يسين ذكي مدير الجامعة المضيفة كلمة شكر وامتنان، عبّر فيها عن مشاعره وانطباعاته تجاه الضيوف والمساهمين وأشاد بدورهم في إنجاح هذا البرنامج. كما قدّم اقتراحات ونتائج توصلت إليها الندوة من خلال المقالات المقدمة. حضر هذه الندوه كثير من المعنيين بالأدب والثقافة من مختلف أرجاء الهند وخارجها، بالإضافة إلى عدد كبير من ممثلي الجامعات والمراكز العلمية بما فيها جامعة ندوة العلماء لكناؤ، وجامعة علي كره الإسلامية، ودارالعلوم ديوبند (وقف)، ومظاهر العلوم بسهارنبور، والجامعة الإسلامية بهتكل، وجامعة بهوبال، وجامعة مومباي، وجامعة جواهر لال نهرو، وجامعة دلهي، والجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي.

تقرير عن الندوة

"أدب المقالة في الخليج العربي"

إعداد: توصيف الرحمن *

عقدت جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد ندوةً دوليةً استمرت ثلاثة أيام خلال الفترة 13-15 من نوفمبر 2018م، بعنوان "أدب المقالة في الخليج العربي".

توزعت الندوة على ثماني جلسات شارك فيها كبار أساتذة وباحثون من الجامعات من مختلف البلدان العربية ومن أرجاء الهند. وممن شاركوا فيها من الباحثين العرب الأستاذ الدكتور عبد الله القتم من الكويت، والأستاذ الدكتور سعيد العيسائي من سلطنة عمان، والأستاذ الدكتور أبو قصي آل زبار من جمهورية العراق. كما شارك فيها عدد كبير من الأساتذة والباحثين الشباب من شتى الجامعات في الهند.

استهلت فعاليات الندوة في جلستها الأولى بتلاوة القرآن الكريم ثم بكلمة ترحيبية ألقاها الأستاذ السيد جهانغير رئيس قسم الدراسات العربية. وحضر مدير الجامعة إي سريش كمار الندوة كضيف رئيس، وقدّم كلماته المفعمة بالنصح والدعوة إلى البحث والتحقيق ونشر العلم. وكان الأديب الكويتي البارع الأستاذ عبد الله القتم ضيف الشرف في هذه الندوة، والذي ألقى كلمة عبّر فيها عن شكره للقائمين على هذه الندوة، وعلى توجيههم مسار الاهتمام بالأدب الخليجي. وتتابعت الجلسات الأخرى في الأيام الثلاثة التي قدم فيها الأساتذة والباحثون مقالاتهم القيمة حول موضوعات متنوعة ذات صلة بمحاور الندوة. وترأس الجلسات الثماني الأساتذةُ الكبار الذين شرّفوا الندوة بحضورهم الميمون وبكلماتهم القيمة.

وكانت الجلسة الختامية عبارة عن انطباعات وكلمات الشكر والتقدير من جانب الأساتذة العرب والهنود الذين قاسوا عناء السفر الطويل لحضور هذه الندوة، فعبّروا عن امتنانهم للجنة التنظيمية التي لم تأل جهدا في إنجاح الندوة تنسيقا وعلميا. وانتهت الجلسة الختامية بكلمة الأستاذ السيد جهانغير رئيس المؤتمر من خلال قصيدة عربية عبّر فيها عن امتنانه وشكره لجميع الضيوف الكرام والمشاركين في الندوة.

* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند.

تقرير عن الندوة

الاتجاهات العامة في التفسير البلاغي والبياني

إعداد: سعيده واجل مير*

نظّم قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، أونتي بورة، في ولاية جامو وكاشمير، مؤتمرا دوليا استغرق يومين بعنوان "الاتجاهات العامة في التفسير البلاغي والبياني" خلال الفترة 16-17 من شهر أكتوبر عام 2018م.

بدأت فعاليات المؤتمر بالكلمة الرئيسة التي ألقاها أ. د عبد الماجد القاضي، الأستاذ بقسم اللغة العربية، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، وتحدث فيها الدكتور عن الخطاب القرآني من منظور أدبي ولغوي وفكري بقدر من التفصيل.

بهذه المناسبة، سلّط الدكتور شمس كمال أنجم، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه، راجوري، ضوءً مستفيضًا على إعجاز القرآن الكريم من نواح عديدة تطرق إليها المفسرون الذين كشفوا الغطاء عن كثير من أسرارها.

وتحدث كل من مدير الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، الأستاذ مشتاق أحمد الصديقي، الذي كان ضيف الشرف في هذه الندوة، وعميد كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الأستاذ عبد السلام بهات، ورئيس قسم اللغة العربية الدكتور عبد المجيد أندرابي، عن أهمية موضوع الندوة وأبعادها المختلفة في كل زمان ومكان.

لقد شارك في هذه الندوة نخبة من أساتذة اللغة العربية وآدابها والباحثين والباحثات فيها من داخل البلاد وخارجها، وقدّموا أوراقهم البحثية التي تطرقت إلى مختلف جوانب موضوع المؤتمر.

وبالمناسبة، تم تدشين كتابين للرحيل الدكتور عارف القاضي وهما "آراء في الأدب الإسلامي" و"العلامة أبوالحسن علي الحسني الندوي حياته وآثاره" والذي كان رئيس قسم اللغة العربية في نفس الجامعة قبل وفاته.

* باحثة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة بابا غلام شاه بادشاه، راجوري، جامو وكاشمير.

انطباعات

بعد تحيات وتسليمات!

مجلة "الجيل الجديد" عنوان جميل لمحتوى خلّاق ومحاولة ناجحة لعدد من الشباب الأكاديميين، أعلنوا التخصّص في جواهر لال نهرو قسم اللغة العربية، وهم من العدد الأول كانوا ناجحين باهرين ممتعين جذّابين للقارئ، وكانت هيئة التحرير والهيئة الاستشارية هيئتين متابعتين لكل مادة علمية في الدراسات اللغوية والأدبية والثقافية، والدراسات الإسلامية والفكرية والإبداعات الأدبية واستعراض الكتب ومقابلات مع أشخاص.....

ونجحت المجلة في أن تكون منبراً علمياً للجامعة ومحكّمة برئاسة التحرير الأستاذ الدكتور رضوان الرحمن ومساعد التحرير محمد محبوب عالم.

وبرزت وفق القواعد العلمية في التوثيق والعودة إلى الكتب القديمة والحديثة والمواضيع التي تمثّل العالم الهندي والعالم العربي مشجّعة طلاب الدكتوراه على الاشتراك والمناقشة في أقسام منها، ومساعدة على العمل الصحفي في إجراء المقابلات في لباس جديد يعيد للثقافة العربية حيويتها وأناقتها وحضارتها ومبرزة علماء الأمة وهويتها لكي تقف أمام العالم.

وهذا العدد يواكب أعياد اللغة العربية في كل الدنيا وتمكين العربية، وكم من العلماء اعترفوا بمكانة هذه اللغة التي قدّمت للحضارات باقات العلم والثقافة والحضارة ضمن لغة القرآن الأزلية.

وفي جامعة جواهر لال نهرو ترى طلاباً تحبهم ويحبونك من أجل هدف العلم والعربية ويغارون على هذه اللغة كغيرتهم على عرضهم.

من أجل ذلك كلّه لا بدَّ من اختيار شعر عربي يزيّن يوم العربية .... ويبهجها

وفي قصيدة محمود درويش قافية من أجل المعلقات يفتخر بلغته

أنا الدليل.... من لغتي ولدت على طريق الهند....

هذه لغتي... أنا لغتي

هذه لغتي قلائد من نجوم حول أعناق الأحبة....

فلتنتصر لغتي على الدهر العدو على سلالاتي عليَّ....
هذه لغتي ومعجزتي عصا سحري
حدائق بابلي ومسلتي وهويّتي

أ.د. خلدون صبح

جامعة دمشق ، سوريا

5 ديسمبر 2018م

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

سلام عليكم!

إنه لمن دواعي سروري أن كانت المجلة الدولية المحكمة مجلة الجيل الجديد الصادرة عن مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي بدولة الهند الشقيقة البوابة الأولى التي فتحت لي آفاق البحث العلمي بنشر أول بحث لي بعنوان "*أثر الثقافة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية بين الثابت والمتغير: مقاربة في كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه*"، فاللسان يقف اليوم عاجزا عن شكر جميع القائمين على المجلة وعلى رأسهم رئيس التحرير ومساعده فخالص تشكراتي لهما.

وفي الختام أدعو جميع الباحثين من الدول العربية والإسلامية إلى نشر أبحاثهم ودراساتهم في هذه المجلة العلمية المتميزة التي تفتح أبوابها لكل متعطش للعلم تثمينا لإنجازاتهم وسعيا منها للاستفادة والإفادة ... ودفع الشباب الطموح لتحقيق قفزات نوعية في مجال البحث العلمي.

خولة خمري

إعلامية جزائرية

وباحثة في قضايا التعددية الثقافية والتعايش بين الأديان

الجزائر

6 ديسمبر 2018م

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انطباعات

رئيس التحرير لمجلة "الجيل الجديد"

تحايا مباركة!

مجلة "الجيل الجديد" هي مجلة فتيّة شابّة، لكنها عريقة أصيلة بما تضمّه بين دفتيها من علم غزير، ودراسات عميقة، وتُعدُّ رافدًا من روافد الثقافة الراقية، وينبوعَ فِكْرٍ مُتَجَدّد العطاء، ونبراسًا يضيء دروب الباحثين.

هي مجلة علميّة متميّزة تراعي مُخْتَلف أذواق القُرّاء، بما اشتملت عليه من دراسات علميّة رصينة تُشبعُ نَهَمَ الدارسين والمهتمين باللّغة، والأدب، والثقافة، والفكر، والدراسات الدينيّة الإسلاميّة.

والمجلّة تفتح النوافذ لاستشراف مستقبل واعد لعدد من المبدعين في كتابة الشعر، والقصة القصيرة، والخاطرة؛ بما تنشره من إبداعات تستحق التقدير، وحوارات راقية تُسلّط الضوء على شخصيات متميّزة لها بصمتها الواضحة في الحياة الثقافيّة.

بارك الله في الأقلام الواعدة، والقلوب المخلصة، والعقول المُفكِّرة.

ولكم جميعًا تحيّة إجلال وتقدير، وأصدق الدعاء بالتوفيق.

د. نورة علي خليل

جامعة الإمارات العربيّة المتحدّة

15 نوفمبر 2018م

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انطباعات

حضرة رئيس التحرير المحترم

تحية طيبة!

يسرني أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان لإدارة مجلة "الجيل الجديد" على ما بذلته وقدّمته من جهود علمية مخلصة، في سبيل النهوض بالبحث العلمي -الذي أصبح منارة للتواصل بين المجتمعات قاطبة -في تخصص اللغة العربية وآدابها، وتشجيع الباحثين في هذا الصدد، وإقامة شبكة من التواصل والتكامل بين أهل الاختصاص لخدمة العربية، وبحث القضايا والموضوعات التي تتعلق بها، ونشرها بالكيفية التي تتوافق مع معطيات العصر الحالي، وتعزيز الهوية والثقافة العربية، وغرس القيم الإسلامية؛ وذلك للارتقاء الفعليِّ بالمجتمع.

لقد اطلعت على الكثير من البحوث التي تم نشرها بالمجلة، فوجدتها ذات قيمة علمية وراقية ومتميزة تخدم لغة القرآن الكريم.

فكل الشكر والتقدير إلى جميع كتابها، والقائمين عليها، والعاملين بها، راجيةً أن يكون في هذا خير دعم معنويّ للجميع في سبيل النهوض والارتقاء بالبحث العلمي على وجه العموم، وبالدراسات العربية والإسلامية على وجه الخصوص.

سائلةً الله تعالى للجميع مزيدًا من النجاح والتوفيق.

دعاء إسماعيل عبد الفتاح الشاذليّ

باحثة الدكتوراه في اللغة العربية والدراسات الإسلامية

جمهورية مصر العربية

30 أكتوبر 2018م

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

انطباعات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس التحرير الموقر لمجلة "الجيل الجديد"

بعد تحية طيبة!

بادئ ذي بدء دعني أقدّم باقات الشكر والتقدير إلى من يقومون بمهمّة إصدار هذه المجلة الغرّاء. ولي غاية الفرح والسرور لأهنّئ جميع من يصطفُّون وراء هذه الخطوة العلمية الكبيرة في تاريخ اللغة العربية بالهند. نرى في هذا الصدد، أن الدال والمدلول في اسم المجلة قد اتفق بكل معناها حيث تعتني "الجيل الجديد" بنشر كتابات الباحثين الجدد وبحوثهم العلمية حتى يتمكّن الجيل الجديد من علماء اللغة العربية من خلال هذه المجلّة من إظهار قدراتهم الفكرية والعلمية واللغوية. فلا شك أن هذه المحاولة الأكاديمية القيمة في تاريخ مجال العربية البحثي، لتُسجّل بماء الذهب في قلوب القراء والملاحظين.

وبحسن حظي لاحظت العدد السالف للمجلة، فوجدتّها ثرية بإبداعات فكرية وفنية مستحقة للقراءة ومفيدة جدا لمحبي اللغة العربية وعلومها وآدابها. تتميز هذه المجلة بترتيبها الجميل وأسلوبها الأنيق وهيئتها الحسنة تميّزا بالغا من بين المجلات العربية الصادرة في الهند.

في الواقع، كانت هذه المجلة من متطلبات الباحثين الجدد لإتاحة الفرص الذهبية لهم ليشاطروا آرائهم النفيسة الأدبية، ولنشر إنتاجاتهم الإبداعية ولتأكيد التبادلات الثقافية والعلمية فيما بينهم. لا أبالغ في قولي إن هيئة الإدارة للمجلة تستحق الثناء والتقدير تثمينا لخدمات محرريها ومساعديها لأنها نجمة طالعة على عرصات الباحثين الجدد.

محمد شريف النظامي

مدرس اللغة العربية، المدرسة الابتدائية الحكومية، مينام كولم

مقاطعة ترفاندرم، ولاية كيرالا، الهند

30 سبتمبر 2018م

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

R.N.I No DELARA/2017/74554

ISSN: 2581-3455
NO.3-2018

AL- JEEL AL- JADEED
(New Generation)

An International Half-Yearly Refereed Journal, Centre of Arabic and African Studies, School of Language, Literature and Culture Studies, Jawaharlal Nehru University, New Delhi.
Issue.No.03 July-December 2018

R.N.I No DELARA/2017/74554

ISSN: 2581-3455

AL- JEEL AL- JADEED

International Half-Yearly Refereed Journal

Vol. No.1 | Issue. No.03 | July-December 2018 | New Delhi

DESIGNED BY: SALAM KHAN
Mob.: 9015698045 salamkhan091@gmail.com

Printed and Published by Prof. Rizwanur Rahman. Centre of Arabic and African Studies.
Printed at J K Offset Printers, 315, Gali Garahya, Jama Masjid, Delhi-110006.
Published from Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi-110067.

Editor: Prof. Rizwanur Rahman